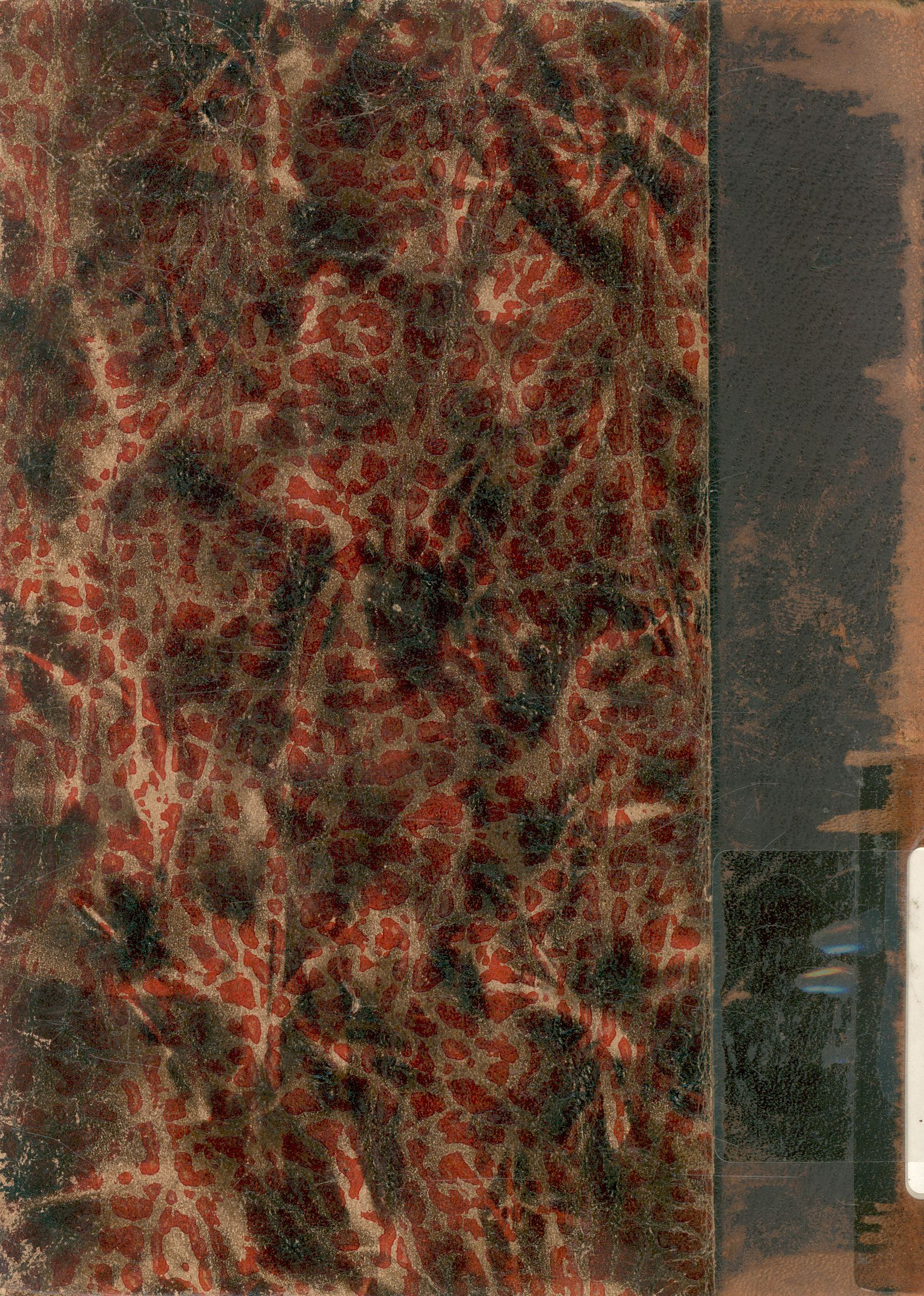
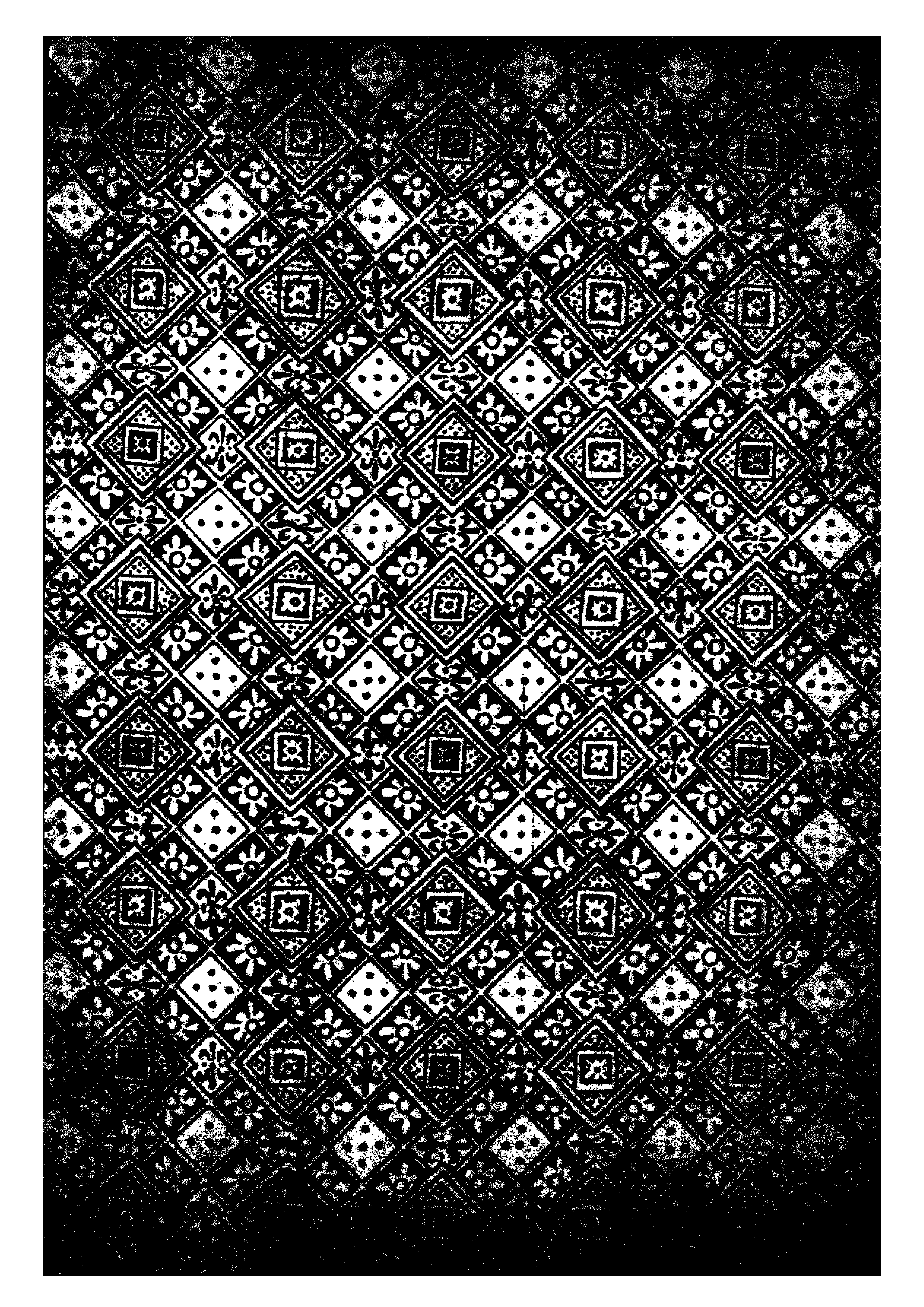
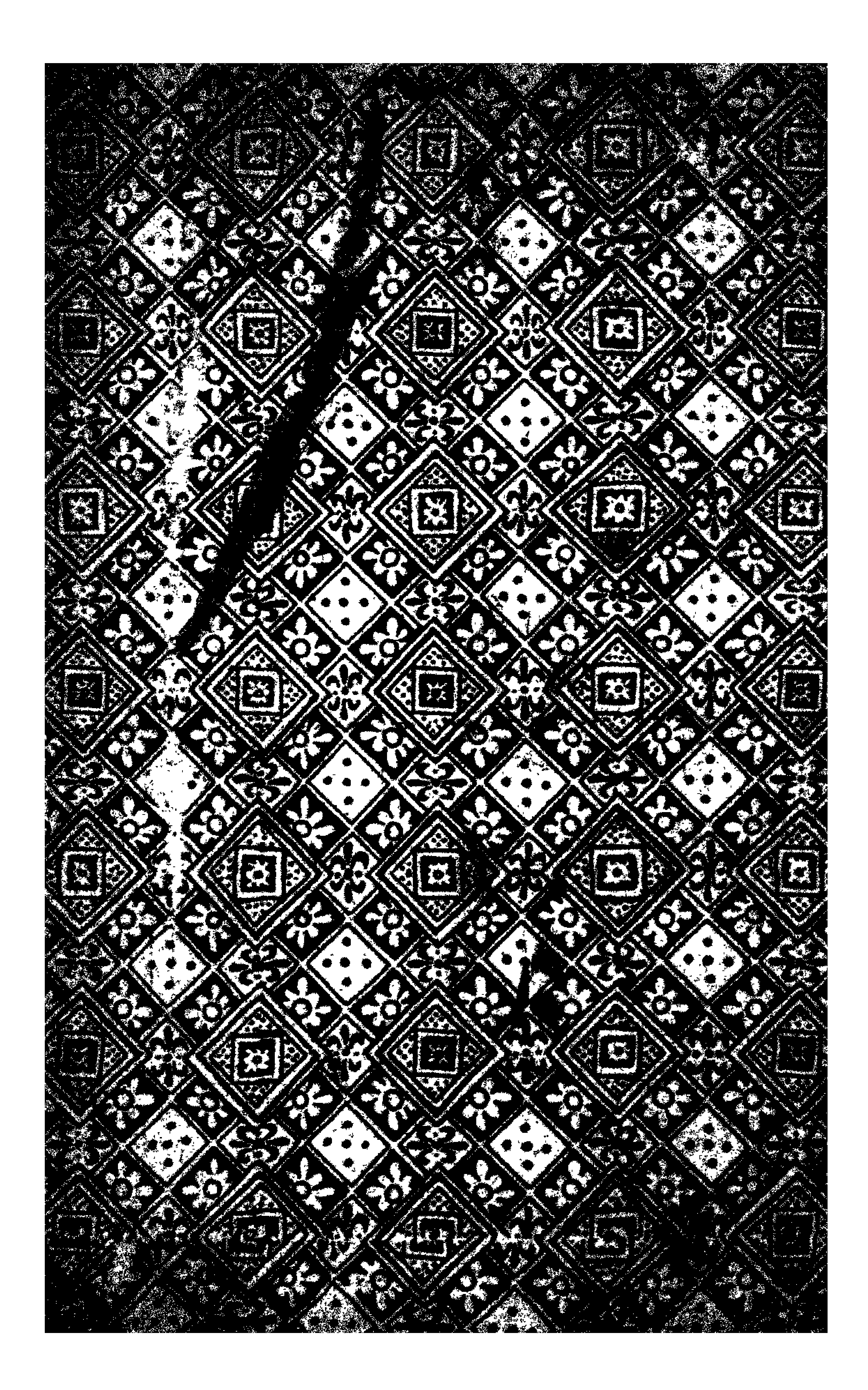






روح التعاون

عربه وشرحه

حسين على الرفاعي

دكتور فى الحقوق من باريس وحاصل على دبلوم
فى العلوم الجنائية وموظف بوزارة المالية

١٣٤٠ هـ — ١٩٢٢ م

اهداء الكتاب

الى والدى السيد على بك الرفاعى

انى مدين لك لمساعدتك وتشجيعك لى على السير فى الطريق الذى لمحت منه ضوء العلم واهتديت به فى حياتى العقلية فاعترافاً بفضلك أهدى اليك هذا الكتاب .

ولدك المطيع

حسين على الرفاعى

كلمتى الى العمال(١)

أيها العامل ذلل بالتأنى كل شاق
فك عنك الاسر واكسر كل غل ووثاق
ثم عش ما عشت حرا

قد قضيت العمر عبدا خادماً فى الناس غيرك
فانهض الآن مجدا والتمس بالسعى خيرك
ولتكن عبد المصرا

واستعينوا بالتعاون تبلغوا كل المراد
واتركوا هذا التهاون واطرحوا ثوب الرقاد
فكفانا الدهر نوماً

لا يسرنك وقت أنت فيه اليوم عاطل
انما العطلة مقت ليس فيها مجد عامل
وكفى بالجد فخرا

وأنر بالعلم فكرك فهو نور فى الظلام

---

(١) كتبت كلمة نثرية موجهة الى العمال فتفضل حضرة الاستاذ الشيخ احمد اعجوبى ووضعها فى قالب نظمى لتكون أنشودة العمال يتغنون بها فى روحاتهم وغدواتهم تفريجا للنفس وعظة لمن يتعظ منهم

وبه ترفع ذكرك وبه نيل المرام
ان ترى كالهام ذخرا

واذا أنفقت فاسلك خطة المقتصد
قرشك الابيض ينفع في الزمان الاسود
وبه تدفع فقرا

عامل الناس برفق وبخلق حسن
كن أخا حزم وصدق في احتمال المحن
فاعلا للخير برا

واقرن الجد بتقوى وبدين وصلاح
فبتقوى الله تقوى وترى كل نجاح
ويعود العسر يسرا

وأطع امر الولاه واحترم كل نظام
شاكرا فضل الاله قائلا قول الكرام
ربنا حمدا وشكرا

الاعتراف بالفضل واجب

كلمتي الى المغفور له الاستاذ عمر بك لطفي

من أنكر حقك فى هذا المضمار فقد كفر . ومن لم يذكرك فى كل مجتمع تعاونى مصرى فقد جحد . ومن لم يعترف بفضلك فقد ظلمك . ومن ظلمك فقد أساءك . ومن أساءك فقد خان الانسانية.

مكانك محفوظ فى أفئدتنا . وعظم همتك ثابتة فى قلوبنا . أنت مؤسس فكرة التعاون فى بلادنا فلك منا ومن خلفنا عاطر الثناء . وأقل ما يمكننا القيام به نحو خادم الانسانية والمدافع عن الحقوق المهضومة والساعى لسعادة المتألمين أن نسميك «أب التعاون المصرى» بل أب الاصلاح أو صاحب النهضة الحديثة المصرية

عشت بيننا فأحسنت صنعاً . ومت فتركت أثرا حميدا يترنم به العالم المصرى المتنور . قم واهدأ وطب نفساً فنحن ناسجون على منوالك .

اطمئن ياساكن عالم السكينة بعيداً عن لؤم الانسان وتلاعب يد الحدثان فقد قمت بواجبك وأكثر وأخلصت فأفلحت اذ بذرت الحبة الطاهرة فى أرض بلادك . وفى نفوس مواطنيك وأحبابك . ووضعت مصل الاصلاح الاقتصادى فى شراييننا . ورغم ان فاجأتك

المنية وانتزعتك اليد القوية من بيننا لم يقف الدم فى عروقنا ولم يثبط موتك عزائمنا بل قام بعدك اخوك وحذا حذوك واقتدى بعملك واقتفى أثرك فصار ينشر مبدأك بخطبه فترعرعت وأينعت زهرة الحبوب التى غرستها فى أرواحنا قبل مفارقتك الابدية لنا . وأخذ الكل يسعى فى تحقيق بغيتك السامية . فقامت الحكومة بشطر والشعب ببعض مما ينتظر منهما ولكن لم يصل حتى الساعة جميل مجهود الطرفين الى النهاية ولم يوفق التعاون فى بلادنا الى الغاية

هذا جميل الشعب والحكومة عائد جماله علينا وراجعة مزاياه الينا فياحبذا لو استمرا وتضامنا فى مهمتهما الشريفة وعملا يداً واحدة وبقلب لا يشوبه الترهات والاحقاد ولا الاراجيف والافساد . وعسى ان يتم المشروع فتنبثق أشعة نجاحه الى مضجع ساكن الجنان المرحوم الاستاذ عمر بك لطفى لتنيره انارة الشمس العالم فى رائعة النهار فتبيت روح أب التعاون المصرى فى كنف ربها هادئة مطمئنة مستبشرة متهللة مبتهجة بسعادة أهل وطنها خاصة والانسانية عامة

فتفضلى أيتها الروح الطاهرة الابية بقبول اعترافى لفضلك واحترامى وشكرك . ورجائي من الله أن يوفقنا جميعا لما فيه خير الانسانية المتألمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المعرب

يتغلب الحق على القوة ولو بعد حين

تزول القوة الجائرة ولا يبقى الا الحق — التعاون أكبر عضد للدفاع عن الحقوق المهضومة

— ١ —

كانت القوة (١) الجائرة منشأ الحق (٢) في غابر الازمان ولا زالت كذلك بين الحيوانات وبعض الافراد والامم فى وقتنا الحاضر ولكن لم يعف أثرها ويندثر شرها الا بانتقال العالم من نظامات قديمة بالية الى عصرية راقية بفضل انتشار الحضارة والمدنية والعمران والعلم وتأثير كل ذلك فى العقول والاخلاق

---

(١) القوة الغشماء عبارة عن تنفيذ مايريده الانسان عنوة واقتدارا وبلا مسوغ قانونى

(٢) الحق هو كل مصلحة أدبية أو مادية يدافع عنها القانون وشخصية كل انسان كامنة فيما لديه من الحقوق التي يسمح له القانون التمتع بها متى أراد ويدافع له عنها اذا تعرض له آخر أو آخرين لحرمانه من هذا الانتفاع .

وتتغير الانظمة بتطور مدارك الانسان . فلكل جيل أنظمة خاصة ملائمة لما وصل اليه فهمه من المعرفة وقوة الادراك . ولذلك يختلف الاسترسال فى استعمال هذه القوة باختلاف درجات الاذهان وطهارتها وخلوها من المفاسد والاوهام . فيقل الاعتماد على القوة الطائشة كلما انتشر العلم الصحيح والمبادىء القويمة ويزداد كلما تفشى الجهل وسرت جراثيمه فى القلوب السوداء [١]

يهمنا والحالة هذه تتبع سير هذه القوة اجمالا لمعرفة ما وصلت اليه سلطتها بعد تسعة عشرة جيلا خلت ولذلك نقول كلمتين على كل مما يأتى

(١) القوة والحيوانات المفترسة

(٢) القوة والانسان

(٣) القوة والامم

كان ولا زال السبع ملك الحيوانات وسيدها والمتصرف فى أرواحها متى استطاع الي ذلك سبيلا بفضل قوته الجسمية وارادته الوحشية وقساوته الجهنمية . يخضع له الجميع خشية بطشه فيفتك بمن

---

(١) قال ليون بورجواه « تفقد القوة الغشماء حقوقها ـ ان كان لها حقوق ـ كلما تقدم العالم جيلا عن جيل » نقلا عن كتاب ادجار ميلهو « حق القوة وقوة الحق » ص ٦١١ طبعة سنة ١٩١٥

كره ويصطفى من أحب وهوى . فهو صاحب السلطان المسيطر الذى بيده الملك فى عالم الوحوش الكاسرة . ولقد سرى فى روح هذه الفئة تغلب القوى على الضعيف كلما سنحت الفرص . ولا مبرر يشفع لهذا الاغتيال الا القوة المجردة عن العقل . وستستمر هذه القوة ظافرة بين هذا الفريق من المخلوقات مادامت عقوله معدومة وبأسه شديدا لا يردعه الا الحديد والعقل السديد . عقل الانسان . والقوة الخالية من المعرفة خطر عظيم فهى كالسيف القاطع فى يد الطفل يضرب بحديه خبط عشواء فيصيب على غير هدى ويضر من حيث لا يدرى ولا أمل فى استئصال هذه القوة ولا فى تهذيبها اذ ليس هناك وسيلة لنشر المبادىء النظامية بين هذه الحيوانات وسيبقى هذا حالها مدى الدهر يأكل قويها ضعيفها لانها حرمت مزية العقل

أما الانسان فقد انتشر فى أنحاء الارض بعد ان انقسم الى أسر وقبائل وطوائف وشعوب متباينة الاديان مختلفة المذاهب متعددة المقاصد وصار يأخذ كل منهم جنسية الجهة التي ينشأ فيها وينتفع بخيراتها ويعيش تحت سمائها وبين أهلها وفى كنفها . وكان يستولى الفرد فى بادىء الامر على كل ما يريده عنوة واقتداراً كلما سمحت له قوته البدنية وخارت أمامه قوة صاحب الحق . فكان يتولد حق الاول بسقوط حق الثانى . وكان الامر فوضى بينهم . واستمر الحال كذلك الى ان تنورت أفكارهم وتثقفت عقولهم وانتقلوا من ظلمات

الجهل الى نور المعرفة . وسنوا القوانين اللازمة لردع كل معتد أثيم . وحددوا العقوبات الضرورية لكبح جماح القوة الطاغية وايقافها عند حدها وقهرها حتى تذعن للحق مهما ضعف صاحبه . اذ ليست قوة الحق فى قوة أجسام من يطالبون بها بل فى شرعية هذه المطالبة فيتساوى ضعيف البدن وقويه أمام العدالة . ولقد فازت قوة الحق وحازت قبولا عظيما بين جميع المتنورين من أفراد الامم. وكفاك شاهدا ماقامت به الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ دفاعا عن حقوق (١)

---

(١) اعترفت الجمعية الفرنسية التي انعقدت بين ٢٠ و ٢٦ أغسطس سنة ١٧٨٩ بحقوق الانسان الطبيعية في ثمان عشرة مادة نقتبس منها مايأتى :

١ ـــ يولد الانسان حرا ويموت حراً متساوى الحقوق

٢ ـــ الغرض من كل هيئة سياسية المحافظة على حقوق الانسان الطبيعية التى لا يمكن سقوطها مهما طال امدها وهذه الحقوق هى الحرية والملك والامن ومقاومة الظلم

٣ ـــ الشعب وحده صاحب السياده فلا يجوز لاى هيئة أو شخص استعمال سلطة لايكون مصدرها الشعب

٤ ـــ الحريه هى امكان الانسان عمل كل مايريده على شرط ألا يضر بالغير

٥ ـــ ليس للقانون سلطة غير منع ماهو مضر بالهيئة الاجتماعية

الانسان المهضومة بما بثته فى أرواح الافراد من حب التخلص من ذل القوة وهوانها

تتكون الامم من الافراد وبما ان أفراد جميع الامم الراقية قبلوا الدفاع عن الحق ونبذوا الخضوع للقوة الظالمة كان من البدهى ان تتخذ جميع الامم هذا المبدأ شعارا لها ولكن كانت ولازالت حتى عهد قريب كل أمة تسعى جهدها للجلوس على منصة السيادة والاستيلاء على صولجان القيادة لتضرب بيد حديدية من خالفها وتسلط نارها الحامية على من عصاها وتصب جامات غضبها ونقمها على من أبى مشاركتها فى الظلم وبات العالم منذ قرون فى حروب طاحنة واضطرابات

---

٦ — يعبر القانون عن الارادة العامة فلكل وطنى حق الاشتراك — شخصياً أو بواسطة نائبه — فى وضعه

٧ — لايجوز اتهام أو ايقاف أو حجز أي انسان في غير الاحوال التى ينص عنها القانون

٨ — لايجوز للقانون وضع عقوبات غير ضرورية

٩ — لايجوز اقلاق أى انسان بسبب افكاره ولو كانت دينية مادامت لم تخل بالامن العام

ومذابح لا تقل فظاعة عن أعمال الوحوش عنـد افتراسها غنيمتها ولـكن لا يفل الحديد الا الحديد ولا يقتل القوة الا القوة ولا يبقى الا الحق الذى لا تعلو عليه قوة .

لم يفشل العلم فى مهمته الاصلاحيـة بل تمـكن من بث روح الشفقة وعاطفة الانسانية فى قلوب كبار المفـكرين واستفزهم ونهض بهممهم الى دعوة العالم للدفاع عن حقوق الامم التى هى من متممات حقوق الانسان فقام شارل لمونيه (Lemonnier) الديموقراطى الفرنسى وقرأ على الجمعيـة العمومية لمؤتمر السـلام الدولى المنعقد فى سنة ١٨٧٣ ما وضعه من الحقوق الطبعية (١) للامم . ولقد سار

---

(١) وهذه هى الحقوق الطبعية لـكل أمة

١ ــ الامم متساوية فيما بينها من الحقوق بصرف النظر عن سعة الارض أو كثرة العدد

٢ ــ الامم أحرار وانما كل منها مسـئول عن أعمال رعيتها وحكومتها

٣ ــ حق حرية الامم وتوليهم شئون أنفسهم غير قابل المساومة ولا يسقط بطول المدة

٤ ــ لا يجوز لاى شخص أو حكومة أو أمة التصرف لاى سبب كان فى أمر أمة أخرى كضمها أو فتحها أو التغلب عليها بأى وسيلة كانت

على منواله ليون بورجواه حيث نادى فى مؤتمر لاهاى المنعقد فى سنتى ١٨٩٩ و١٩٠٧ بتكوين جمعية الامم للتعاون على الدفاع عن حقوق الضعفاء من الامم فقال « ليس أمام ما نسعى فى تحقيقه ما يسمونه بأمة صغيرة وأمة كبيرة بل الكل سواء . ولكن اذا نجح عملنا ألسنا نكون أفدنا الضعفاء أكثر من الاقوياء ؟ وهلا نعمل لصيانة حقوق الضعفاء من شر استعمال القوة ؟

---

٥ ـ لا بد لصحة العقود والمعاهدات التى تعقد بين الامم من أربع شروط

(أ) قدرة الطرفين على التعاقد

(ب) قبول الطرفين الشروط بلا مؤثر على ارادتهما

(ﺣ) لا بد أن يكون غرض التعاقد اكيد واضح

(د) لا بد أن يكون سبب التعاقد شرعى غير مخل بالامن ولا الآداب

٦ ـ يعتبر لاغى ـ لكونه مخل بالامن والآداب ـ كل شرط أو عقد أو معاهدة قصدها

(١) الاعتداء على استقلال أمة أو أمم أو أشخاص

(ب) حرب غير دفاعية (أى هجوميه)

(ﺣ) الفتح أو الغزو أو احتلال أو قسمة أو تجزئة أو تنازل أو ضم أو امتلاك الكل أو

سادتى الامر كذلك بين الامم كما هو بين الافراد . فالانظمة الدولية كالتى نهتم لها ستكون ضامنا كافيا لحقوق المغلوبين على امرهم .ولو وازنا بين جنود وسيوف المنازعات التى يلتجأ فيها الى القوة لوجدنا بينها جنودا صغارا وكبارا . وأقوياء وضعفاء. ولو وضعنا السيوف فى كفتى الميزان لوجدنا فيها ثقيل الوزن وخفيفه. ولكن لوأريد وزن الحقوق لزال التفاوت ولتساوت حقوق الضعفاء والاقوياء .وهذا الشعور هو الذي جرأنا على الاقدام على مانسعى له الآن . كل آمالنا ترمى الى مصلحة الضعفاء فعساهم يعقلون غرضنا فيشتركون معنا فى مجهوداتنا التى نبذلها للاصلاح مستقبل الانسانية شيئا فشيئا بفضل الحق » (١)

وكلما تقدمت المدنيـة ضعف بأس القوة الجائرة والعكس بالعكس. ولا بد من الوصول الى طريقة تسهل اشتراك جميع الامم الكبيرة

جزء من أرض أمة أخرى لم يوافق أهلها على ذلك

٧ — لكل أمة أعتـدى عليها حق الدفاع عن نفسها بكل مالديها من الوسائل .

٨ — يحرم الجهاد اذا خرج عن حد الدفاع ومال الى الغزو أو الفتح» ادجار ميلهو ـ حق القوة وقوة الحق ـ ص١٨ ـ ٢٠

(١) ليون بورجواه ـ جمعية الامم ـ ص١٢٤ طبعة سنة ١٩١٠

والمتمدينة فى مساعدة الامم التى يستهان بحقوقها » (١) ولـكن لا يتسنى للامم ذلك بغير تضافرهم وتعاونهـم وعملهم يدا واحـدة حتى تـكون غاية كل أمة كغاية ادوارد هريو (٢) نحو بلاده « غايتى علاء شأن بلادى بتعاون العالم أجمع لمصلحة جميع الامم »

— ٢ —

فكرة سامية فكرة تعاون الامم حبا فى دفع الشر عن كل أمة لا تستطيع الدفاع عن نفسها مع عدم مساس حريتها بأذى نظير هذه الخدمة الجليلة . ولقد ظهرت فى حيز الوجود هذه الفكرة الحقة رغم ما صادفها من العراقيـل وكما أن الامم تتعاون للعمل يدا واحـدة لمنفعة كل منها ولصالح العالم أجمع ورغبة فى رفع لواء العدل وجعل الحق رمزا صادقاً للمدنية الصحيحة يجب كذلك على الافراد العمل جماعات لايقاف الحيف الذى ينالهم من غيرهم وليتمتعوا جميعاً

---

(١) نيويورك تيمس عدد ٨ نوفمبر سـنة ١٩١٤ المقالة السادسة من المقـالات التى نشرت تحت عنوان « دروس الحرب لامريكا »

(٢) ادوارد هريو « Herriot » فى كتابه (Créer) ص ٣١ من الجزء الأول طبعة سنة ١٩٢٠

تما وهبهم الله من الحقوق الطبيعية التي حرمتهم اياها الايادى الظالمة « حقيقة لم تنص التعاليم السماوية على المساواة فى المعايش والمراتب ولكنها لم تقل ان هناك فئة كتب عليها الموت جوعا بينما الآخرون يملأون بطونهم من غيران ينتابهم العطب أو يداهمهم الموت »(١) « واذا كان هناك عدد كبير من النـاس يموتون من ألم البرد فليس لقلة الخبز والملابس — اذ المخـازن والمتاجر غاصة بها — بل لان الكثير من الناس منغمسون فى الترف مع الكسل» (٢) « فاذا تزمر المضطهد والمستغل عند مطالبته بحقوقه فهو لايثور على الهيئة الاجتماعية بل يسعى فى تحريرها حينما يعمل لتحرير نفسه (٣)

فلو تخلص العامل بفضل التعاون من الجور الذى يحيق به من قوة أصحـاب الاموال لنجي السواد الاعظم بنجاته ولتمكن من

---

(١) اللورد لفر هلم — ست سـاعات عمل فى اليوم ومسائل أخرى صناعية — ص ٨

(٢) سيزار لومبروزو — الفوضيون — ص ٢٣٣ عربه من التليانية الى الفرنسية الدكتوران هامل ومارى

(٣) اجين فورنيير — رسالة على مذهب الفردية — ص ٨ من الطبعة الثانية سنة ١٩٠٨

العمل طلق اليدين ولانتفعت الامـة باجمعها بفضـله ولارتقت وارتفعت الى أوج السعـادة بسعيه « لان كل من اشـتغل لنفسه فقد اشـتغل لغيره وكل من اعتنى بغيره فقد اعتنى بنفسه » (١) « والتعاون لايهم فئة واحدة من النـاس بل الجميع وبالاحرى يهم العالم أجمع » (٢) فمتى تأكد أصحاب الاموال والمعامل من صدق نظرية العمال فى التفافهم بعضهم حول بعض وتعـاونهم وتآزرهم على مافيه خـير لهم وللجميع لانضموا اليهم مخيرين لامصيرين وصاروا يداً واحدة يد العمل والنشاط . يد مساعدة من خانته قواه عن كسب معاشـه وعاكسه الدهر فحرمه التمتع بلذة العمل . يد السعادة العامة . هذا دورهم فليحسنوه . ومن عمل عملا صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها

التعـاون سر الحياة . يهم الطبقة المسيطرة قبل غيرها لانه سيرشدها بنبراس العدل الى مافيه صـلاحها ويهديها الى الصراط المستقيم فيحسن صـنعا مع العمال ومتى حسنت حال هذه الطبقة التى يتوقف عليها كيان جميع الطبقات أخلصوا وانكبوا على أعمـالهم مختارين لامضطرين وحباً فى العمل لاخوفا من شر الرؤساء وأنجزوا

---

(١) بوجليه « Boug'é » التضامن — ٢٢

(٢) ليون بورجواه ـ سياسة التبصر الاجتماعى — ص٢٢

كل ما يسند اليهم بدقة ومتانة فيسعد العامل . و بسعادته يسعد أصحاب الاعمال والاموال . و بسعادتهم يطيب عيش الجميع « العمال وأصحاب الاموال آخذان فى الارتقاء وسيعرفان عما قريب بفضل العلم أن مصالحهما واحدة ونجاحهما موقوف على نجاح كل منهما »(١)

التعاون نوع من أنواع الاشتراكية الذى يوصى العمل بكل سكينة للوصول الى تحقيق السعادة العامة بسعادة العمال المهضومى الحقوق بسبب غلواء المموّلين الجبابرة الذين لايحسبون لهم حسابا والذين لايعملون الا لتنفيذ أحلامهم القتالة الضارة بمصالحهم أكثر من ضررها بمصالح العمال . ولكن كلما ازداد هؤلاء الجبابرة القساة فى قوة الجور ازداد العمال اتحاداً وكلما أصلوهم بسعير ظلمهم تضاعفت عزائمهم وقويت ارادتهم فى التعاون على درء مصائب القوة الظالمة التى تفتك بحقوقهم وتسخر بوجودهم وتهزأ بشخصيتهم

يخضع الافراد للقوانين خوف شرها ولكن يطيع المتعاونون نظامهم اختياراً وحباً فى فائدة الجماعة . ويبذل كل منهم جهد المستطاع فى احترام ماوضعته هذه الهيئة المنتظمة ميلا الى الحصول على نصيبه من السعادة العامة . فالتعاون دعامة الهيئة الاجتماعية

---

(١) اللورد لفرهلم ست ساعات عمل فى اليوم ومسائل أخرى صناعية — ص ٥٠٤

ل حياتها اذ يدافع عن الحق بالحق وللحق وهذا مجهود كبير وحمل ثقيل البداية ولكنه هين لين طيب النهاية متى اعتاده الجميع

قال ليون بورجواه مخاطبا العمال « انه لتاريخ عجيب مملوء بالدروس والآمال تاريخ جمعياتكم وغرفتكم الاستشارية . ياله من ابتداء وعر وياله من جهاد عظيم !

لقد اطلعت على رسالاتكم الواحدة بعد الاخري فوجدت فيها أرقاما كبيرة فى صغرها وكثيرة فى قلتها كالمائتين والخمسة والعشرين فرنكا التى تمثل رأس مال أحدى جمعياتكم وكالخمسة أو الستة عمال المتشبعين بفكرة التعاون والذين يجتمعون للعمل فى غرفة صغيرة لعمل حقير حبا فى الوصول الى الغاية السامية المشتركه (التعاون) . وصارت هذه الجمعيات تزداد شيئاً فشيئاً — رغم ما نالها من التثبيط والمقاطعة والخسائر — وتنتشر بفضل عظم الفكرة الى أن أصبح لها القدح المعلى بين ديموقراطيتنا العاملة . ولا عجب فى انها تمثل الآن امتن نظام لرأس المال والعمل

حقاً ان هذه النتائج المادية ليست مما يستهان بها ! حقا انه بفضلكم ضمنتم سعادة كثير مما كانوا سيحرمون منها ولكن فضل التعاون يظهر فى أوجه أخرى غير مادية اذ له مزايا عملية وأخلاقية. وانتا نعلم ان هذه المزايا الأخيرة أعز عندكم من الاولى

نعم لكم الحق فى القول بان ما فعلتموه لم يكن لمجرد منفعتكم

الشخصية بل انكم أفدتم بفكرتكم التعاونية من التجأ اليكم للحصول على عمل يتعيش منه . ومن مدهشات قدرة التعاون تأثيره فى المرتابين فى صلاحيته والذين يستنكرونه » (١)

ولقد كان الدكتور وليم كنج ممن اعتنوا بأمر الانسانية وبذلوا جهدهم لاصلاح حالها . ووقف عنفوان شبابه للاخذ بناصر الطبقات البائسة فنشر بفضل مجلته الصغيرة الحجم الغزيرة المادة فكرة التعاون فى انجلترا . وقام بعده من هذبوا مبادئه وساروا شوطاً بعيداً فى تعديلها ولكنهم لم يحفظوا المؤسس المكان الذى يستحقه اعترافا بعظم الدور الذى لعبه فى تاريخ التعاون ومع ذلك لم يحرم العالم ممن ينصرون الحق ولو طال الزمن اذ اهتم الدكتور هانز ملر بهذه القضية واراد أحياء ذكراه خدمة للحق وللانسانية فنشر فى التقويم (٢) السنوى لحركة التعاون الدولية لسنته الثانية الجزء الكبير مما كتبه الدكتور كنج على صفحات مجلة المتعاون

---

(١) ليون بورجواه — سياسة التبصر الاجتماعى — ص ١١٠ — ١١٥ طبعة سنة ١٩١٤ . وهذه مقتطفات من الخطبة التى القاها فى الغرفة الاستشارية لجمعيات العمال الانتاجية ومصرف التعاون فى ١٤ يونية سنة ١٨٩٦

(٢) طبع هذا التقويم بالفرنسية فى لوندرا سنة ١٩١٣

وينقسم هذا التقويم الى قسمين . الاول تحت اسم « احصاء التعاون الدولى » و الثانى تحت اسم « القسم الادبى — الدكتور وليم كنج ودوره فى تاريخ التعاون » فتركت منه القسم الاول الذى لايحتوى الا على اعـداد وعنيت بتعريب وشرح الجزء الاخـير الذى سميته « روح التعاون » لشدة انطباق الاسم على المسمى . ولم اتبع ترتيب المؤلف تماما بل قدمت فيه وأخرت ما رأيت الفائدة فى تقديمه أو تأخيره . وأضفت اليه القليل اللازم وقسمت الفصول وأعطيت لكل قسم اسما مناسبا لما تضمنه كل ذلك مع المحافظة التامة على روح المؤلف .

فاذا اردنا حقيقة اعادة مجدنا السابق وكسب حقنا المغبون يجب علينا العمل بكل ما لدينا من المواهب الطبيعية والعلمية مع المثابرة وأن يساعد الغنى الفقير بماله والفقير الغنى باعماله وكل منا الآخر بما أوتى من ذكاء وفطنة . وهذا روح التعاون بل روح نجاح الامم . ويجب علينا العمل بمقتضى الأنظمة الاقتصادية الحديثة مع المحافظة على الانظمة القديمة المناسـبة لحياتنا الاجتماعية الحـالية . ويجب علينا أيضا لم شعثنا وضم صفوفنا وتكاتفنا بصرف النظر عن الفوارق الدينية اذ ليس للوطنية دين غير العمل جماعة وباخلاص وتوجيه

قوانا المادية والادبية نحو غرض واحد « سعادة الجميع » لان الوطنية الاقتصادية الحقة أشد بأساً وأقوى مراساً من الوطنية المسلحة بالقوة الحديدية

أنما الحياة مسرح يلعب عليه كل منا دوره فمن أحسن تمثيل نصيبه فقد أ... السامعين وأقر عيونهم وأفادهم ونال عطفهم و أما من خانته مواهبه فليس له أمل الا فى تسامحهم . م ؟



مقدمة المؤلف الدكتور هانزملر

الدكتور وليم كنج والدور الذى لعبه فى التعاون مؤتمر ليفربول وما قرره بخصوص (مجلة المتعاون) ونتيجة هذا القرار ـ نصيب مجلة الدكتور كنج من الاهمال ـ رأى فيكتور اميههبر في هذه المجلة واعتباره كنج أبا التعاون تاريخ حياة الدكتور كنج ـ مؤلفاته

ـ ١ ـ

كان مؤتمر ليفربول الذى عقد فى الستة أيام الاولى من شهر كتوبر سنة١٨٣٢من أوائل المؤتمرات التى كونتها شركات التعاون الانجليزية . ولقد تباحث المجتمعون فى جلسته الختامية عن الطرق الواجب اتباعها لنشر فكرة التعاون · فانتهز (المسترم . هرست)ـ رئيس المؤتمر وأحد أنصار التعاون المخلصين لهذه النهضة فى هذا الوقت ـ فرصة هذا الاجتماع لتوجيه نظر المجلس الى الكاتب النابغة النادر المثال صاحب مجلة المتعاون التى طبعت بين سنتى ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ فى بريتون هذا البلد الذى انشئت فيه احدى شركات التعاون الأولى التجارية فقال :

« من العار الذى لاتمحى وصمته عن المتعاونين أن يصير مآل

هذا الكاتب الى النسيان مع انه كان السبب فى ضم عدد عظيم من الناس لمساعدة قضيتنا . ولقد نفدت مع الأسف أعداد الكتاب فاصبح من المتعذر بل من المستحيل الحصول على نسخة واحدة منه الآن »

واقترح الخطيب أن يرجى « المؤلف الفاضل المحب للانسانية » فى اعادة طبع كتابه لأنه من المؤكد أن يكون اقبال الناس على اقتنائه وقراءته عظيما خصوصا من جانب الذين انتموا الى حركة التعاون ولم يطلعوا حتى الآن على هذا الكتاب الثمين. ثم أيد الخطيب فى فكرته (المستر ستيلز والمستر ويج) — وهما من رجال التعاون ومن أصحاب النفوذ فى هذا العصر — فى المناقشة التى دارت بينهما بخصوص اقتراح (المستر م ٠ هرست) وقررا أن المتعاون هو من أحسن ما كتب حتى الآن فى هذا الموضوع

وقام عضو آخر وهو (المستر بير) فعبر عن شدة سروره باقتراح الرئيس وقال أن ضميره كان يدفعه منذ زمن طويل الى محادثة المؤلف — لما كان بينهما من المكاتبات — فى أن يعيد طبع كتابه على شرط أن يجعله مناسبا لما أوجدته حالة التعاون الآن . ومع ذلك فهو لا يندم على عدم تنفيذه رغبته هذه لعلمه بما سيحدثه مثل هذا الرجاء من التشجيع والتأثير العظيم فى نفس المؤلف اذا صدر من المؤتمر . وانى لأكون سعيداً لو كلفنى المؤتمر القيام بهذه

المأمورية لما سينالنى من الشرف عند اجتماعى بالمؤلف . فبناء على اقتراح المتعاونين (كارسون وولسون) قرر المؤتمر ما يأتى :

(١) أن يشكر المؤتمر محب الانسانيه والكاتب العظيم صاحب مجلة المتعاون التى ظهرت فى بريتون وذلك لما نشره على صفحات مجلته من المعلومات الثمينة المعضدة على ازاعة وتقوية دعوتنا

(٢) يكلف المستر بير) بتبليغ هذا القرار للكاتب ويرجوه باسم المؤتمر ان يتفضل باعادة طبع مجلته مع مايدخله عليها من التغييرات والاضافات التى يراها لازمة

فكانت نتيجة قرار مؤتمر ليفر بول والمناقشات التى سبقته ان صار لمجلة الدكتور كنج — لانه هو الكاتب العظيم المقصود بالذات ولم يذكر اسمه فى المؤتمر — مكانة عظيمة بين متعاونى هذا العصر وفضلا عن ذلك فقد اتضح ان كتابه أثر تأثيراً عظيما فى حركة التعاون

التى أخذت فى الازدياد أثناء هذه السنوات (١٨٢٨ — ١٨٢٩ — ١٨٣٠) والتى يظن انها استمرت فى الانتشار بعد هذه السنين الثلاثة

ورغم ما كانت عليه مجلة المتعاون من البساطة — لانها كانت شهرية محتوية على أربعة صحائف ذات حجم صغير — فقد شاع أمرها فى كثير من مدن انجلترا التى ظهر فيها أول شركات

الاستهلاك (١)

اننا لا نبالغ اذ قلنا أنه كان لمجلة الدكتور كنج الفضل فى حركة التعاون فى انجلترا عند نشئتها . ولا شك فى ان أغلب من

---

(١) يوجد ثلاث أنواع لشركات التعاون :

(ا) شركات التعاون للاستهلاك : وهى عبارة عن اشتراك نفر من الناس للتعاون على شراء لوازم المعيشة بالجملة ليوزعونها على الاعضاء حسب طلبهم . واصدق مثل لهذا النوع ما يسمونها بشركات (The Rochdale Pioneers) التى أسست فى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٤٤ بجوار مانشستر والتى سار على وتيرتها الشركات المسماة (Wholesales) والتى يكاد ان لايحصى عددها الآن . وقد يدخل ضمن هذا النوع الشركات الزراعية التى تقوم بشراء الاسمدة بالجملة لتوزعها على الاعضاء والمزارعين وكذلك الشركات التى تقوم ببناء منازل تؤجرها للاعضاء بايجارات قليلة مناسبة لحالهم (تالير ـ القانون التجارى ص٤٣٤ الطبعة الثانية سنة ١٩٠٠ ثم كتاب شارل جيد الخاص بشركات التعاون للاستهلاك)

(ب) شركات التعاون للاقراض : وهى عبارة عن اشتراك

انضموا الى هذه النهضة وعملوا على مساعدتها كانوا مدفوعين بتأثير هذه المجلة . ومع ذلك فالفضل كل الفضل لهؤلاء الذين ساعدوها فى تنظيم شركات التعاون ولو أن هذه المساعدة لم تكن ترمى — كما يظن الدكتور كنج — الى هذا القصد بالذات فى انجلترا الجنوبية والوسطى

عدد من الناس للتعاون على أقراض الاعضاء المال اللازم لقيامهم باعمالهم الحيوية اليومية وعلاوة على ذلك فان للاعضاء حصة فى الارباح بعد تصفية الحسابات السنوية وأحسن مثل لهذا النوع الشركات التى أسساها فى المانيا (Raiffeisen) و(Schulze, — Delitzsch) «كتاب شارل جيد فى الاقتصاد السياسى ص ٤٧٠ الطبعة الثالثة سنة ١٩١٣ وكتاب تالير السابق الذكر ص ٤٣٤ »

(ح) شركات التعاون للانتاج : وهى عبارة عن اشتراك عدد من عمال حرفة واحدة للتعاون على انتاج ما يقدرون عليه من البضائع تحت مباشرة واحد منهم مسئول امامهم عن الادارة . وغرضهم من ذلك الاستيلاء على جميع ثمرات أتعابهم وتقسيمها بينهم فينالون بهذه الطريقة حظا من الكسب أوفر مما لو اشتغلوا عند

— ٢

سنبحث فى موضع آخر عن الدور الذى لعبته مجلة المتعاون فى تاريخ هذه الشركات ولكننا نكتفى هنا بالقول فى أن قرار مؤتمر التعاون الذى عقد فى لفربول سنة ١٨٣٢ لم يتمكن من المحافظة على كيان هذه الجريدة العظيمة النادرة منعها من الوقوع فى عالم النسيان . ولقد نوه (هولى اوك)فى جريدته (تاريخ التعاون) مرات

أصحاب الصنائع الذين لا يعطون للعمال الا جزء زهيد من ثمرات انتاجهم

واليك ماقاله (بول لروا بوليبه) فى هذا الصدد فى كتابه الموجز فى الاقتصاد ص ١٥٥ من الجزء الثانى من تعريب حافظ بك ابراهيم وخليل بك مطران :

بعض هذه الجمعيات تجعل غرضها جمع رؤوس الاموال واقراضها لاعضائها على ضمان معلوم فتعرف بالمتعاونات المالية وبعضها تشترى البضاعة جملة ثم تبيعها لاعضائها أشتاتاً فتعرف بالمتعاونات الاستهلاكية وبعضها تؤلف بين جمهور من اهل الحرفة الواحدة يعملون بلا وهين (Patron) ثم يبيعون مصنوعاتهم فتعرف بالمتعاونات الانتاجية

كثيرة عن مجلة كنج ولكن لم يكن هذا التنويه الا عرضا . ومع ذلك فنحن مدينون له لانه برهن لنا بما قاله عن مجلة المتعاون في الدكتور كنج لم يكن مجهولا عند رجال التعاون العصريين ولو ان المطلعين منهم على هذه المجلة التي كانت فيما مضى أعجوبة عصرها — كانوا قليلين.

لم يبق من هذه المجلة الا نسخ معدودة . واذا وفق بعض المشتغلين بتجارة الآثار في انجلترا — بعد العناء والبحث الطويل — العثور على نسخة تامة من هذا الكتاب لقوموها بثمن فادح . فمن ذلك يظهر لنا السر في أهمل مبادىء كنج الخاصة بالتعاون «١»

اننا لا نوجه كل تبعة هذا النسيان الى المتعاونين الذين حاولوا عادة طبع هذه المجلة في سنة ١٨٣٢ لان ما قرره مؤتمر ليفربول (من رجاء المؤلف لاعادة طبع كتابه) قد نفذ في الحال ودليل

---

(١) ولو ان قلة انتشار هذا الكتاب سبب هدنة وقتية سكتت فيها الحركة الفكرية المتعلقة بالتعاون إلا أن تقدم العلوم الصحيحة والآداب بعث في القوم روح جديدة (حب الاطلاع) وما كان من البعض الا أن بحث ونقب وأخذ شيء كثير من مبادىء كنج واخرجوها للعالم في قوالب متعددة مع المحافظة على روح مؤسسها

ذلك الرسالة «١» التي كتبها الدكتور كنج فى ٣ ابريل سنة ١٨٣٣ (للمستر هرست) رئيس المؤتمر وهذه الرسالة ترشدنا الى السبب فى عدم اعادة طبع مجلة المتعاون وفوق ذلك فهى تشمل مجمل مقاصد الدكتور كنج واليك نصها :

« سررت عند تسلمى رسالتك المؤرخة فى ٢٥ مارس وما

ومن هنا يتبين لنا أن المباديء الصحيحة القائمة على دعائم قوية لا يمكن أن تموت موت ابدى بل ربما تندثر لحين من الدهر بسبب غياهب تعرقلها وحوائل تعوقها ولكن لا تلبث أن تزول هذه الأسباب العرضية فتظهر بأجلى مظاهرها وربما كانت أشد سلطانا ووطأة عن ذى قبل

(١) وجدت هذه الرسالة ضمن خطابات (المسز بيرون مطلقة اللورد بيرون) التي طبعها (هولى أوك) سنة ١٨٣٢ في الاعداد الاولى لمجلته « أخبار التعاون » وهذه الرسالة تدلنا كيف ابتدأ التعاون فى (هيدر سفيلد) ولقد وصلت هذه الرسائل الى (هولي أوك) بواسطة (كروفت) الذي كان مقيما فى (هيدر سفيلد)

حال دون حضور المؤتمر «١» الا عدم امكانى مفارقة منزلى وقلة رغبتى فى الظهور بين الجمهور . ولقد وصلنى بعد رسالتك هذه كتاب (المستر بير) الذى عبر فيه عن شكر المؤتمر لمؤلف مجلة المتعاون ورجا أن يعاد طبع المجلة . فارسلت اليه مع ردى على خط به ما بقى عندى من نسخ مجلتى ليتمكن رجال التعاون الاستفادة منها ورجوته نظير ذلك ارسال محاضر الجلسة اذا تيسر له ذلك

ولكى اعفيك من التعب طلبت منه أيضا أن يعيد لى نسخة منقحة من مجلة المتعاون ثم عرفته بموافقتى على ملاحظاتهم الا أنه لا يمكنى القيام بحصر وفات الطبعة الجديدة وألححت كثيرا بضرورة جعل الاخلاق والدين أساس جميع المجهودات المبذولة الرفع شأن وتحسين حال طبقة العمال

ولقد بلغت اليوم سن الشيخوخة الذى لا يمكنى فيه كتمان افكارى حقيقة دعت أسباب عديدة الى قلة الكلام فى « الاخلاق والدين » عند ما كان التعاون فى بادىء أمره ولكن الحال قد تغير الآن . فكم من متعاون برهن منذ ذلك العهد على أنه أهل للاحترام والثقة

---

(١) يقصد الدكتور كنج فى هذه الرسالة الكلام على مؤتمر التعاون الذى عقد فى عيد (الباك) فى (هيدر سفيلد) سنة ١٨٣٣ والذي دعاه اليه (المستر هرست)

ولقد شهد له بذلك دفاعه الصادق عن قضيتنا فحق له الآن التصريح بمبدئه الخاصة . ورغم ما قمنا به فيما مضى من التجارب الكثيرة فان أملنا فى هذه اللحظة عظيم يفوق آمالنا الماضية ولذلك نحن نجسر على المجاهرة باعلان أسباب حبوط مساعينا السالفة

صديقك وأخيك الذى يجلك كثيرا

كنج

يفهم مما تقدم ان الدكتور كنج عدل عن اعادة طبع مجلته خوف ما كان يتوقعه من المصروفات الجسيمة . فلا لوم ولا تثريب عليه فى ذلك اذ ان أول طبعة من مجلته كلفته نفقات عظيمة وزيادة على ذلك كان المتعاونون القائمون فى ذاك الوقت بتنظيم المؤتمرات والذين كان عليهم تحمل ما يلزم من النفقات لاعادة طبع المجلة لا يملكون من وسائل ذلك شيئا يستعينون به على القيام بهذه المهمة. ولم يكن لدى مؤتمرات التعاون نظامات مالية مرتبة ولا ايرادات ثابتة يرجع اليها عند الحاجة . ولم تكن دعوة التعاون منتشرة انتشارا كافيا للحصول على المال الضرورى لمصاريف النشر وأما الاقبال على شراء محاضر مؤتمرات التعاون فكان قليلا جدا لدرجة ان القائمين بتوزيعها كانوا يلاقون عناءاً شديداً فى بيعها

كل هذا يرشدنا الى السبب فى بقاء عدد قليل لا يذكر من مجلة المتعاون .تداول بين الناس وخصوصا فى الثلاثين سنةالاخيرة من القرن التاسع عشر التى ابتدأ فيها خمول هذه الحركة وهبوط رغبة اقتناء مطبوعات التعاون . وفضلا عن ذلك كله لا زالت هذه المجلة الصغيرة النفيسة يتحدث بها فى مجتمعات التعاون ومحافظ عليها بكل اعتناء فى مكاتب التعاون الخاصة .

— ٣ —

لم يكن وقوع نظر فيكتور اميه هبر (الالمانى الجنس) على مجلة كنج من قبيل الصدفة بل سافر لانجلترا فى وسط القرن التاسع عشر لدرس حركة التعاون . واليك رأيه فى هذه المجلة :

« مجلة المتعاون التى كان يقوم بطبعها الدكتور كنج فى برايتون هى من أحسن ما أخرجه الادب فى بابها لما جاءت به من توقد الاراء ووضوحها وسلاسة الاسلوب ودقة البيان »

وفضلا عن ذلك فان مجلة كنج لم تساعد مع حسن سمعتها على احياء ذكرى صاحبها . ولقد مضى عشرات من السنين ولم يهتم أحد بكتبه لدرجة أنه لم يذكر اسمه ولا آراءه فى فهرست كتب التعاون الانجليزية الحديثة الا عرضا . ولم يعرف أحد منزلته خارج

بريطانيا العظمى — على ما أظن — منذ (هبر)

ولقد اطلعت أثناء وجودي في انجلترا سنة ١٩٠٨ على مجلة كنج المحفوظة في دار الآثار الانجليزية وكان قد وجه نظري اليها ما كتبه (هبر) عنها وما جاء به (بانجمان جونز) من المقتطفات في مؤلفه الجليل الخاص بشركات الانتاج التعاونية فوجدت ان كنج كاتب غزير المادة واسع الافادة . ولم يقتصر ذكاه على نظرياته الحكيمة في التعاون بل اتى بأشياء كثيرة نافعة لعصرنا الحاضر ولشركات التعاون الحديثة . ولا يليق لشركات التعاون نسيان هذا الرجل العظيم .

وكلما تعمقت في القراءة والبحث ازدادشغفي بمعرفة ماكان لكنج من التأثير في حركة التعاون الانجليزية عند نشأتها لذلك شرعت في دراسة نشأة التعاون في انجلترا ولكن ما استنتجته من هذه الدراسة لا يتفق مع كثير من الآراء التي كانت منتشرة في ذاك الوقت . ولقد ظهر لي انه يجب ان يقدر جهاد كنج ودفاعه عن قضيتنا بأكثر مما قدروه به حتى الآن ولهذا السبب يلزم تغيير الرأي السائد القائل بان (روبرت أون) (١) هو أب التعاون الانجليزي . ولكي أمهد

(١) كتاب التعاون تأليف (جوزيف كليتون) ص ٩ — وكتاب تاريخ التعاون تأليف (هولي أوك)وكتاب حركة التعاون

طريق الوصول الى هذه الغاية سأتبع فى عملى هذا أمرين :

(١) ان أبين للمشتغلين بالتعاون طريقة كنج مع نقل ما يلزم لذلك من مجلته

(٢) أن أوضح الدور الذى لعبه كنج فى تاريخ التعاون لكى أحفظ له فى تاريخ حركتنا المقام السامى اللائق به

وقبل تأديتى هذا الواجب أرى من الصواب أن أقدم للقراء بعض معلومات عن تاريخ حياة الدكتور وليم كنج باختصار ولكنى مضطر فى هذا البيان الى الاكتفاء بما جاء فى مقالة (هولى أوك) التى ظهرت سنة ١٨٩٢ فى القاموس الوطنى لتراجم تواريخ عظماء الرجال فى عددها الحادى والثلاثين بلوندرا ثم المقالة التى كتبها أحد أبناء (د . م . هل) — صراف برينجهام — فى مجلة المتعاون التى طبعها (بتمان) من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٦٩ وهذه المقالة مملوءة بالحقائق لان كنج نفسه اطلع عليها وأدخل فيها بعض تعديلات قبل نشرها

— ٤ —

ولد وليم كنج فى ١٧ ابريل سنة ١٧٧٦ فى (ابسويش) التى

في بريطانيا العظمى تأليف (بوتر)

كان فيه والده مديرا (١) للالعاب الرياضية فعلمه فيها تعلما متقنا . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره الحقه بمدرسة (وستمنستر) فاصطحب فيها بكثير من الشبان الذين كان لهم ذكر عظيم فى تاريخ بلاده فيما بعد — منهم اللورد (راجلان) الذى وصل الى تبة القائد العام للجيش الانجليزى فى حرب الكريم — ثم تردد بعد ذلك على جامعتى كامبردج واكسفورد

وكان الدكتور كنج مولعاً فى بادىء أمره بالفلسفة وعلوم الدين ثم شعف بدراسة العلوم الرياضية لانه كان يعتقد فى أنها أساس جميع العلوم . فاز فى امتحان الرياضة سنة ١٨٠٩ درجة الثانى عشر أى الثانى عشر بين أحسن الرياضيين ونال فى السنة نفسها لقب عضو فى كلية (بيترهوس)

ولقد أثرت فيه محاضرات الدكتور (سميث) التى القاها بجامعة كامبرج فى التاريخ الحديث تاثيرا عظيما . وكان يلقى هذا النابغة دروسا فى الفلسفة الخلقية والاقتصاد السياسى فمن هذا الوقت تكونت أفكار كنج الاجتماعية . ولما تم دراسته عين مربى فى أسرة (جورج سميث) المالى العظيم بلندن

وكانت تسمح له هذه الوظيفة بدراسة الطب فى مستشفى

---

(١) يدعى (هولى أوك) ان جون كنج) كان قسيساً

(سان بر تلميه) ولما توصل بهذه الطريقة الى الحصول على الدبلوم من جامعة كمبردج ابتدأ فى سنة ١٨١٩ الاشتغال بمعالجة المرضى وتخصص بعدئذ فى الطب وصارت تزداد سمعته وبراعته فى هذا الفن الى أن أعطى لقب عضو فى كلية الاطباء الملوكية

وفى سنة ١٨٢٣ اقدم على انشاء مدرسة الحراسة (GuardianSchdol) — نظام فى التعليم مجهول فى ذاك الوقت — ثم اشترك بعد سنتين فى تأسيس مدرسة صناعية التى فيها محاضراته فى الوقت الذى كان يلقى فيه فى نفس المدرسة (الدكتور بير كبك وموبيس ركاردو)وغيرهما محاضراتهم . فمكنه نشاطه هذا واقدامه من الاحتكاك بطبقة العمال والصناع . ونتج عن ذلك ان الذين قاموا فى سنة ١٨٢٨ بتأسيس احدى شركات التعاون الاولى كانوا على الاخص من تلاميذه كما ابان ذلك فى خطابه الذى كتبه للورد (بروجهام)

وقد تعرف كنج فى بريتون بمطلقة الشاعر الكبير (اللورد بيرون) المسماه (المسز نوييل بيرون) التى وهبت وقتها ومالها للمنفعة العامة وللاعمال الخيرية. فعند ما استشارته عن أفضل الطرق لتحسين حال العمال المشتغلين فى حقولها وجه نظرها الى التعاون فكل ما حصل عليه من الخبرة أثناء سعيه فى حل المسألة الاجتماعية خلا عملياً وكل ما درسه من آداب الاجتماع فى ذاك

العصر وملاحظاته الخاصة العميقة عن الامور الاجتماعية أدى به الى عقائد دفعته نفسه على اظهارها للملأ وتحقيقها . فرضاة لرغباته الشخصية نشر مجلة المتعاون السالفة الذكر التى كان يشتمل كل عدد من أعدادها الثمانية والعشرين بحثا تاما يرجع الفضل فيه لقلمه . وقد ظهر أول عدد من هذه المجلة فى أول مايو سنة ١٨٢٨ وطبع الاخير منها فى أول أغسطس سنة ١٨٣٠ واستهل أول أعداد مجلته الصغيرة الحجم بهذا الرمز الذى يشف عن حسن تفاؤله بالمستقبل:

« العلم والتعاون هما قوة عظيمة
والقوة المبنية على المعرفة هى سعادة
والسعادة منتهى آمال الانسان »

— ٥ —

كتب الدكتور كنج فى مائة واثنتى عشرة صحيفة من مجلته كل ما كان فى نفسه عن التعاون ولم يتدخل بعد ذلك بأى وجه من الوجوه فى حركة التعاون التى حدثت فيما بعد . وأكبر شاهد على ذلك خطابه الذى كتبه (للمستر هرست) وكان يتجنب بقدر الامكان الاشتراك فيما يتعلق بقضية التعاون لانه أراد — منذ عين طبيبا عاما لمستشفى بريتون — التفرغ لتأدية وظيفته . واستمر على هذا الحال حتى سنة

١٨٦١ ولكن رغم ذلك كله كان يتتبع بكل اهتمام تقدم حركة التعاون الى أن مات فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٦٥ وأكبر دليل على أنه لم يعرض كلية عن مسألة التعاون هو أنه لما تأسس فى سنة ١٨٨٠ (متعاون) جديد — قام بطبعه (لونج فيلد) ثم خلفه (بمان) وصار يطبعه فى مانشستر ليكون لسان حال جمعيات الاستهلاك — رحب به وأظهر له شدة سروره

وبين مؤلفات الدكتور كنج مجلد خصصه فى سنة ١٨٤٢ للكلام على معهد التعليم الذى أنشأه الدكتور (فللنبرج) المربى السويسرى المشهور فى (هوفويل) وهذا الكتاب يهم حركة التعاون بطريقة غير مباشرة . وكل ما ألفه عدا ذلك خاص بالمسائل الطبية مثال ذلك (الرسائل الطبية التى كتبها سنة ١٨٥٠ — محاضرة للجمعية الجراحية القروية التى ألقاها سنة ١٨٥١ — رسالة عن داء الخنازير التى نشرها فى الجريدة الطبية) وطبع بعد موته كتاب دينى ظهر فى سنة ١٨٧٢ ومن المحتمل أن يكون هذا المجلد الذي سماه « افكار واقتراحات خاصة بتعاليم المسيح » هو ثمرة أعمال شيخوخته

يقول (هولى أوك) فى كلامه أن (المسز بيرون) تركت فى وصيتها ثلثمائة جنيه خصصتها لطبع مختارات كنج ولكننا لا نعرف اذا كان (هولى أوك) دقق النظر وتحقق من صحة ما جاء به من هذا القبيل أم قاله جزافاً . وكل ما يمكننا تأكيده هو عدم اعادة طبع شيء

كا من مختـارات كنج وفى الغالب أن هـذا المبلغ قد خصص لطبع مستاب كنج الدينى السابق الذكر

لم يبذل أحد منذ هذا العهد جهده لاحياء ذكرى الدكتور كنج . وكان سبب اهمال مؤلفاته هو تجنبة الاجتماع بالقائمين بالادارة والمحرضين على حركة التعاون الانجليزية اثناء النصف الاخير من القرن التاسع عشر . ومن المرجح أن (فانسيتارت نيل — وتوماس هيوج — وولدلو — وميتشـل) وغيرهم لا يعرفونه الا باسمـه

يقول (هولى أوك) انه استند فى كتابته المذكرات الخاصة بتاريخ حياة كنج على ما كان بينهما من الصـلات الشخصيـة ولـكن غمـوض ما جاءنا به من المعلومات فى هذا الصـدر تجعلنا نرجح انه لم يكن بينهما صلات متينة . ولوأنه ليس لدينا معلومات اوسع من ذلك عن الدكتور كنج فان ما تركه لنا من المجـلدات كاف للاعتراف بتفرده وتعمقه وذكائه .

كل هذا يدلنا على سبب جهل هؤلاء الـكتاب قيمة الدكتور كنج ولذلك لم يقدروه حق قدره . وبما أنه قد تبين لنا أن أكثر أفكاره نافعة فلنا كبير الامل فى أن حركة التعاون الحالية ستجـد فى كنج رائداً كبيراً ونبرساً منيرا . ومع ذلك فنحن لم نحيي ذكرى مجلته حباً فى تأديه واجب الاعـتراف بفضلها فقط بل لانهـا مفيـدة لعصرنا الحضر

الفصل الاول

التعاون والغرض منه

ماهو التعاون — كيفية التعاون — وجهة نظر
الدكتور كنج للتعاون — الفرق بين خطتي
روبرت أون وكنج — العمل سر التعاون

— ١ —

لم تكن مجلة التعاون التي طبعها الدكتور كنج من مايو سنة ١٨٢٨ الى أغسطس سنة ١٨٣٠ جريدة ككل الجرائد بل كانت عبارة عن بحث في التعاون مقسم الى سلسلة مقالات ولو ان بعضها كان بعيد الصلة بالتعاون الا ان مؤداها كان يرمي دائما الى فكرة التعاون الاساسية . فكان يتخيل للقارئ أن الكاتب سعى جهده في القاء دروس غرضه منها نشر نظريات التعاون ومسائله العملية . ولا نبالغ اذا قلنا انه اذا جمعت كل أعداد هذه المجلة لكونت مجلدا وافيا خالدا في هذا الموضوع . ولقد أصاب مؤتمر ليفربول في اعتباره هذه المجلة كأحسن ما كتب في هذا المعنى

وأبدى المؤلف — بناء على هذه الخطة — رأيه فى أول أعداد مجلته عن أصل وغاية التعاون . وبما انه لم يقصر فيما كتبه لا فى البيان ولا فى قوة الفكر استحسنا نقل نبذ من عباراته وتعاريفه . وقد عرف التعاون بما يأتى :

« غرض شركات التعاون كغرض غيرها من الشركات — شركات تبادل النجدة (١) والنقابات وصناديق التوفير — وهو اتقاء العقبات التى تقف فى طريق كل من أراد العمل للحصول على ربح يومه

ان ما يجب على التعاون مقاومته من العراقيل التى تقف فى طريقه تحتاج الى مجهود عظيم وكثيرا ما تصادفنا هذه العقبات عند قضاء لوازم معاشنا وضروريات أسرنا . وزد على ذلك ما نكابده من مصائب

---

(١) هذه الشركات (Societe de Secours Mutuel) عبارة عن تكاتف الاعضاء لدرء المصائب التى تهدد الانسان فى كل لحظة كالامراض والشيخوخة والموت وقد كانوا يسمونها بشركات الاخوة لما لها من المآثر . وتتكون هذه الشركات غالباً من العمال الذين يتعهدون بدفع أقساط شهرية تتراوح بين فرنك ونصف وثلاثة وذلك حسبما تستدعيه لوازم كل جهة

البؤس (١) الذى يؤول اليه أمرنا اذا لم تنجح فى مسعانا »
وضع الدكتور كنج جدولا واضحاً منظما شرح فيه حالتي الفقر

وجدت فيها هذه الشركات التي تضمن للاعضاء ما يأتى

١ — مصاريف العلاج (الطبيب والادوية وغيرها) عند المرض

٢ — تعويض العامل العاطل بسبب مرضه أو شيخوخته وذلك بان تعطيه نصف ما كان يتقاضاه من عمله قبل عطلته

٣ ـ مصاريف الدفن عند الوفاة ومساعدة أرملته وأطفال المتوفى

ولقد زادت مطامح هذه الشركات فمالت الى القيام بأعمال خيرية أخرى لمحاربة الامراض الخبيثة (السل) والمشروبات الروحية (شارل جيد ـ دروس فى الاقتصاد السياسى ـ ص ٧٤٥ من الطبعة الثالثة سنة ١٩١٣)

(١) المعدم هو البائس والبؤس هو ما يكابده الانسان من شدة سوء حالته المادية وعدم امكانه الحصول على قوت يومه. واذا استمر هذا الضنك وأعقبه الضيق تلو الضيق اعترى صاحبه اليأس

والبؤس الذين يتخبط فيهما جزء عظيم من الانجليز . ولم يهمل فى بيانه الصلة التى بين تفاقم الجرائم والفقر وخص منها الجرائم التى ترتكب ضد الملكية ثم قال عند استئنافه الكلام فى موضوعه « ان التعاون مساعد على تجنب هذه الرذائل وساعي فى ابادتها ولكن رب قائل

والقنوط خصوصا اذا كانت نفسه ضعيفة لا تقوى على مقاومة الشقاء بالصبر والجلد . فالعامل مثلا اذا أغلق فى وجهه سبل الرزق وأوصدت له أبواب الكسب فما حيلته وما وسيلته للحصول على خبزه اذا كان وحيدا وخبزه وخبز من هو مسؤول عن قوتهم اذا كان عليه مسؤولية؟

يقول (هومير) فى الاوديسه « ليس للبطن الجائعة آذان والجوع مجلب مصائب كبيرة للناس » ويرى (اجزنوفون) ان البؤس أكبر عامل وأقوى محرض على ارتكاب الجرائم الى ان قال (من ضمن معاشه لا يعرض نفسه لارتكاب الجرائم » نقلا عن جوزيف فان كان في كتابه ـ أسباب الجرم الاقتصادية ـ طبعة سنة ١٩٠٣ ص ١٦ . وقال افلاطون فى جمهوريته « حاذروا أن يدخل شدة الاثراء والفقر فى الحكومة لان الاول مسبب الخمول والكسل والثانى (شدة الفقر) محرض على دناءة النفس وحب الشر »

يقول « بما ان هذه الحالة السيئة لا بد منها لانه لا يمكن مقاومتها فلا مناص اذاً من تحملها » ومع ذلك فأن نفس هذا الاعتراض يوصلنا الى عقدة المسألة التي تعترضنا . ومتى عرف الداء سهل الدواء. وهذا العلاج هو التعاون . ولبيان ذلك سأوضح جلياً ماهو القصد من التعاون

التعاون هو كما يدل عليه لفظه عبارة عن العمل أو الاشتغال جماعة لخير الجماعة . اذ الاشتراك في العمل يزيد في جميع الاحوال ثمرته ويولد قوة جديدة . فيتم هذا العمل بسرعة اذا تعاون على انجازه عدد كبير من العمال . وما لا يقدر عليه فرد واحد يقدر عليه اثنان . وما تعسر على عدد قليل تيسر على عدد كبير (يد الله مع

فالبائس اليائس اما ان يجد في بلاده انظمة تغنيه شر الوقوع في المهالك واما لا وفي هذه الحالة لا يتردد في ارتكاب الجرائم كالسلب والنهب والقتل متى وصل به البؤس لدرجة فقدان الشعور الى أمره الى السجون وما مرزجه في ملاجيء القتلة الا افتقار بلاده الى الانظمة الاقتصادية المساعدة على تخفيف آلام البؤس . تطغى عليه هيئة بلاده الاجتماعية فيطغى عليها ولكن شتان بين الطغيانين وشتان بين مآل الاثنين . تطغى الهيئة الاجتماعية على البؤساء بعدم الاهتمام بهم ومتى حاول التخلص من بؤسه

الجماعة) ولكن لا بد فى كل هذه الاحوال من ثلاث شروط جوهرية:

(١) اتحاد العمال الذين يشتغلون سوياً ليتسنى لهم القيام بالعمل حق قيام

(٢) أن تكون الغاية المقصودة من هذا العمل راسخة حاضرة فى أذهانهم دائما

(٣) أن تربطهم مصلحة واحدة

ولكن الامر غير ذلك الآن لان تيار مصلحة كل منا ذو اتجاه خاص وكثيرا ما يكون مخالفاً لتيار مصلحة غيره وكأن الفرد منا يشتغل ضد مصلحة الآخر ولربما يفهم من ذلك اننا أعداء بعضنا لبعض . ورغم ذلك فنحن نشتغل لغيرنا لا لمنفعة أنفسنا مباشرة ولا نحصل من اشتغالنا للغير الا على نصيب ضعيف من ثمرة أعمالنا التى قدرها البعض بالثمن وقومها البعض الآخر بالربع فلتجنب ذلك يجب علينا الشروع فى العمل لمصلحتنا لا لمصلحة الغير فقط واذا

حسبما ترأى له زجته فى السجون فهي تطغى عليه في البدء والنهاية

وما عاقبة هذا الطغيان الا عائدة على الهيئة الاجتماعية بالخذلان وسيبقى الجرم ما دامت الانظمة الاجتماعية ظالمة لاتهتم بأمر البؤساء والعكس بالعكس

وفقنا على وسيلة تخولنا الاشتغال لانفسنا مباشرة لبقى لنا كل ثمرة أتعابنا . ولكن ما الحيلة والحالة هذه للحصول على هذه الامنية

— ٢ —

نحن مجبرون الآن على البحث عن صاحب معمل أو مصنع يتفضل علينا بعمل نتقاضى منه أجورنا اليومية الضرورية لمعاشنا اذ ليس لدينا رأس المال الذى يغنينا عن ذلك فى هذه الساعة . ومتى تمكنا من كسب قوتنا وقوت من نعوله صح لنا العمل للحصول على رأس المال الذى نبتغيه وسيتضح لنا عن قريب بان ذلك ليس بعسير « سنحصل على رأس المال بالتعاون والتوفير »

كثير منا له فى صناديق التوفير — التى نجحت فى جمع رؤوس أموال ذات أهمية كبيرة — مال وافر ولم يتوصلوا الى جمعه الا باستمرارهم على ايداع مبالغ صغيرة فى هذه الصناديق . كل هذا يدلنا على أن الامر سهل ممكن . وما تقدم ذكره ليس الا طريقة من الطرق الموصلة الى الحصول على راس المال ولكن هناك طريقة أخرى موصلة لنفس الغاية المنشودة :

يجب للوصول الى هذه الغاية من تكوين شركة لجمع رأس مال صغير بواسطة الاكتتابات ومتى كبرت قيمتها صح أن يشترى بها البضائع الضرورية للمعيشة اليومية التى توضع فى مخازن صغيرة ليشترى منها المشتركون جميع لوازمهم . وتعتبر مكاسب هذه التجارة رأس مال مشترك بين الاعضاء يخصص لشراء بضائع أخرى من ذاك القبيل لتزداد دائرة اعمال الشركة . فلدينا الآن بابان للحصول على رأس المال :

(١) الاكتتابات الصغيرة القيمة المستمرة التحصيل

(٢) الارباح الناشئة عن الاتجار بالبضائع اللازمة للاعضاء ولو انهم يستخدمون الآن هذه المبالغ فى أعمال صغيرة الأهمية الا انها مع صغرها تأتى بمكاسب قليلة متزايدة تزايداً مضطرداً سريعاً وبذلك يتيسر للشركة فيما بعد استعمال هذه الاموال فيما تراه اكثر نفعاً واكبر ربحا وعندئذ يتسنى للشركة استخدام بعض الاعضاء فى نفس العمل حفظاً على ثمرة أعمالهم من الضياع وليكون هذا العمل ملكا مشتركا بينهم بدلا من أن يغتنى به نفر محدود من الاغنياء (١)

---

(١) ليس الغرض هنا مقاطعة الاغنياء وحرمانهم من مزايا املاكهم بل القصد الوحيد هو الا يشتغل هؤلاء العمال البسطاء لملء خزائن نفر معلوم بينما هم يموتون جوعا . وكان لهؤلاء الاغنياء

وستسهل هذه الطريقة للشركة استخدام جميع الاعضاء بالتدريج لان رأس المال يزداد شيئاً فشيئا ومتى تم اشتراك جميع الاعضاء فى نفس العمل صارت مصلحة الجميع ومصالح كل فرد منهم محفوظة لاشتراكهم فى العمل يدا بيد . وباشتغال الجميع لا يبقى واحد منهم عاطلا عن العمل . ومتي صار لديهم ممتلكات واسعة لا يبقى فيهم فقير ولا مجرم . واذا مرض أحدهم عالجته الجماعة على نفقتها

واذا تمكنت الشركة من الحصول على رأس مال وافر حق لها التفكير فى شراء أراض زراعية ليقيموا بها ويستثمروها . وقد يتيسر لهم — خلاف ذلك — صنع بعض أدواتهم الصناعية وجميع ضروريات الحياة من مأكل وملبس ومسكن . وتعاون كهذا خليق بان يسمى اشتراكا في العمل لمصلحة الجماعة . واذا فضل بعض المشتركين السكنى فى المدن عن الاقامة بين الجماعة فليس هناك مانع من ذلك على شرط دوام استمرار الانتفاع بمزايا التعاون . وبما انهم محتاجون فى جميع احوالهم للوازم المعيشة فيجب عليهم اخذها من مخازنهم الخاصة

ا حق في الحياة فلجميع الناس على مختلف طبقاتهم هذا الحق . ومن كان له هذا الحق الطبيعي وجب عليه السعي لقضاء هذه الحياة سعيدة بعمله وكده مع محافظته واحترامه حقوق غيره

ويحتم عليهم ارسال اولادهم الى المدارس لتثقيف عقولهم ولكن لماذا لا يرسلونهم الى مدارس يشيدونها باموالهم لهذا الغرض السامى فيتلقون فيها مايفيدهم ويجعلهم رجالا أشرافا مستقيمين فى سيرهم . وهناك تتعلم البنات الاعمال المنزلية وغيرها من الاشغال النافعة الضرورية لهن . ولكن اذا استمر الامر على ما هو عليه الان (من انتشار الجهل) فلا بد ان يسوء حالهم كل سنة عن التى قبلها ولازداد بؤسهم وجرمهم . وأما اذا اشتركوا فى العمل بالطريقة السالفة تكون لديهم رأس مال يوصلهم الى عيش رغد وحصلوا بعد سنين قلائل على استقلالهم وتخلصهم من مخالب المموّلين المستبدين الظالمين

يجب علينا قبل الانتهاء من هذه النقطة ذكر بعض ملحوظات هامة خاصة بالمبادئ الادبية والدينية التى يلزم أن يؤسس عليها هذا النظام الاقتصادى الاجتماعى الجديد .

ولا حاجة للقول بان اساس اجتماع كهذا لا يمكن ان يكون غير حب الغير كمحبتنا لانفسنا وهذه هى نفس السنن الدينية الاجتماعية التى علمتنا اياها جميع الكتب المقدسة ومؤلفات علماء الاجتماع والتى ستكون قائدنا ورائدنا فى عملنا هذا

ويصعب علينا تنفيذ المبدأ القديم القائل بانفراد كل منا فى عمله والمشى وراء مصالحه الخاصة طارحا خلف ظهره مصالح الغير

وأما اذا اشتركنا سويا فى العمل فان هذه الشركة ستحافظ على مصالحنا الشخصية أكثر من محافظتنا عليها بانفسنا وعندئذ تتفق مصالحنا الخاصة مع واجباتنا الاجتماعية »

— ٣ —

هذا مختصر ماجاء فى أول أعداد مجلة المتعاون ولكن قبل الاستمرار فى شرح افكار كنج السالفة نرى من الضرورى ذكر بعض ملحوظات خاصة بوجهة نظره عند شروعه فى درس الموضوع (التعاون) . لاشك فى أن فكرة الدكتور كنج اصلاحية محضة لانه يرى أن التعاون :

(١) سينقذ عددا كبيراً من الناس — وفى مقدمتهم العمال — من الاستعباد والفقر والشقاء الجسمى والعقلى

(٢) سيكون على العموم أكبر واقوى سلاحا ضد الفاقه .

فوجهة كنج الاساسية لاترمى الى مساعدة طائفة معينة بل تصوب سهامها الى تنفيذ الفكرة العظيمه الخالده الا وهى فكرة « الاصلاح الاجتماعى »

لا يريد الدكتور كنج محاربة الوسيط الاشل ولا يرغب فى اكثار قوة الانتاج ولا يود معونة اصحاب المكاسب الصغيره فقط بل همه الاكبر وغايته القصوى هى تحسين قواعد حياتنا الاقتصادية

باجمعها وان ينجى العمل من ربقة الذل والتبعية لاصحاب رؤوس الاموال

ولوأن كنج لم يصرح فيما كتبه بوجود تنافر ظاهر بين مصالح أصحاب الاموال والعمال فان أراءه ليست بغامضة بل تقرأ من بين سطور ما كتبه . فاذا لم نحافظ على الغرض الاصلى من رأس المال وأتبعنا فكرة تنافر مصلحة رأس المال مع العمل أى الاستمرار فى العمل بالطريقة المتبعة الان لادى ذلك الى بؤس عدد كبير . وخوفا من الوقوع فى هذا الشرك حول كنج دفته منذ هذا العهد الى المبدأ القائل بان « لاسلم الا باستهجان جميع الوسائل الاقتصادية المحتمة على العامل المحتاج لقوت يومه وضع قوته العملية تحت رحمة صاحب الاعمال والاستسلام له لكسب عيشه الضرورى الضئيل »

يرى الدكتور كنج أن التعاون هو السبيل الوحيد لانقاذ العامل من نفوذ هؤلاء الظلمه لانه موصل الى اعطاء الفقير من العمال السلاح اللازم له للتخلص من ضرورة وجوب خدمة صاحب الاعمال وليتمكن حينئذ من العمل لمصلحته ولمصلحة من شاركه فيه

فاقصى آمال التعاون هى « تحرير العامل والمحافظة على كرامته » ولكن يجب على المتعاونين — اذا رغبوا الوصول الى هذه الامنية — جمع رأس المال أو بعبارة أخرى تكوين ملك خاص لهم يشمل على جميع وسائل الانتاج

أما الخطة الثانية التى يعززها الدكتور كنج للحصول على رأس المال فهي موقوفة على انشاء المخازن التى يجب على جميع المشتركين قضاء لوازمهم اليومية منها ولكن ليس القصد من هذه الطريقة حصول المشتركين على مكاسب عاجله بل تكوين رأس مال فقط ليساعد فيما بعد على تشغيل الواحد بعد الآخر من العمال فى خدمة الجماعة . وبما أن هذه الفكرة سامية يجب اذا البدء بالتعاون فى الاستهلاك — بطريقة الشراء المشترك — ليحصل المشتركين على فوائد سريعة ذات قيمة كجودة وقلة اثمان اللاوازم وغيرها من الحاجيات الضرورية للاستهلاك اليومى . وبالجملة فالفكرة الاساسية التى يرمى اليها الدكتور كنج هى « تكوين ملك مشترك بين العمال » ومن هنا يظهر لنا الفرق بين خطته وبين خطة « روبرت اون » (١)

---

(١) روبرت اون هو اسكوتلاندى ولد سنة ١٧٧١ وتوفى سنة ١٨٥٨ وكان شيوعيا غير متطرف اي لم يعمد الى تنفيذ دعوته باشعال نار الثورة ضد خصومه . وتنقسم حياته العملية الى ثلاث اطوار :

المدة الاولى — شب كأبيه عامل بسيط فنبغ وصار صاحب اعمال صغيرة بفضل مائة جنيه اعاره والده اياها . ولقد اشتغل

— ٤ —

يقول (روبرت اون) « لاسلم الابانشاء الشركات الغنية ذات الثروة الطائلة » أو بعبارة أخرى لابد من انشاء مستعمرات زراعية صناعية بروؤس أموال عظيمة بينما يرى الدكتور كنج أنه من

انى نسج الاقطان بجد ونشاط حتي اجتاز العقبات الاولية فى الحياة . وتمكن بذكائه وفطنته ـ وهو فى الثلاثين من عمره ـ ان يكون شريكا لصاحب مصنع كبير فى (نيولانارك باسكوتلاندا) وعندئذ بدأت الهيئة الاجتماعية تترنم بذكره وتتحدث باصلاحاته التي ادخلها في هذا المصنع : كتحديد عدد ساعات العمل وتحديد سن قبول الصبية وانشاء صندوق للتوفير خاص بالعمال وتنظيم مخازن لتموينهم وتشييد مدارس خاصة بهم المدة الثانية ـ ولم يقف عند هذا الحد في اصلاحاته بل استرسل في غلوائه وغادر بلاده الى امريكا طلبا لتنفيذ مبدأه وانشأ في مقاطعة (انديانا) مستعمرة سماها (نيوهارمونى) سنة ١٨٢٥ ولكن خاب ظنه وطاش سهمه وفشل سعيه وعدل مضطراً ـ عن فكرته عملياً وعمد اليها كتابياً

الحكمة والروية استعمال الطريقة التى رسمها للتعاون حتى يتسنى للعمال أن يظهروا للعالم مالديهم من القوة العملية ، ولقد اسهب فى العدد الرابع من مجلته فى شرح رأيه وحاول خفية دحض الحجج التى.

المدة الثالثة — فاستبدل العمل بالقلم وأسس سنه ١٨٣٤ جريدته (الانجيل الخلقى للعالم الجديد) وبعدذلك جمع أشتات هذه الجريدةواستخلص زبدها في مجلد طبعه سنة ١٨٤٥ بنفس أسم جريدته حبا في نشردعوته

ومع انه ساعد العمال مساعدة محسوسة جوهرية فانه لم يهتم بالتعاون اهتمامه بنشر الشيوعية. ولايغرنا كثرة استعماله في جميع كتبه لفظة (التعاون) لان هذه الكلمة كانت تدل فى ذلك الوقت على معنى غيرالمقصود منها الآن اى كان يرمى(اون) باستخدامها الى الشيوع

واما كونه اسس مخازن لتموين العمال فهذا لايدل على انه اراد بذلك انشاء شركات الاستهلاك التعاونية. واكبرشاهد على ذلك تنصله وسخطه عليها لأنها لم تكن الا عبارة عن دكاكين قليلة الاهمية .

وكان غرض (اون) تكوين وسطا اجتماعى جديدولذلك يصح لنا ان نسميه ابا لما يعرفه علماء الاجتماع في عصرنا الحاضر بعلم

أقامها (أون) دفاعا عن نظرياته . واليك أقوال كنج فى هذه المناسبة .

ينزعج العمال كلما سمعوا الكلام على التعاون لاعتقادهم أنه ليس فى استطاعتهم تنفيذ فكرة التعاون لان هذه الفكرة نفسها كانت ترفق دائماً بضرورة وجود مبالغ عظيمة لتنفيذها . ولقد استمر البعض منهم فى غلوائه فحدد خمسمائة الف شلن كاقل مبلغ تمكن الناس من القيام باى عمل من أعمال التعاون . وذهب آخرون تقديره بخمسة وعشرين مليونا من الشلنات . فشروط كهذه لم تكن لتقرب الناس الى التعاون وتحببهم فيه وتشجعهم على الاهتمام بامره بل كانت تأتى بنتائج عكسية لانها كانت تنزع من قلوبهم

(étiologie) القائل بان الانسان خاضع لتأثير الوسط لذى ينشأ ويعيش فيه . ونظريته قريبة فى علم الاقتصاد من نظرية (لامارك) في علم تراكيب الجسم (biologie) القائل بان التراكيب الجسمية تتغير بتأثير الوسط على الاعضاء . فالانسان حسب رأي (اون) ليس شريراً ولا خيراً ولكنه يتطور حسب الوسط الذى يعيش فيه اى انه يكون شريراً متي كان النظام الاجتماعى الذي يعيش فيه فاسدا والعكس بالعكس (شارل جيد ـ دروس فى الاقتصاد السياسى ص ٥٦٢ وشارل جيد وشارل رست — تاريخ المباديء الاقتصادية — ص ٢٧٠ و٢٧٣ من طبعة سنة ١٩٠٩ وجوزيف كليتون ـ التعاون ص ٩

وعقيدتهم كل أمل فى التعاون فكانوا يقاطعون كل من أراد مفاتحتهم فى هذا الباب ولذلك كانوا لا يعتقدون فى أن التعاون ينجح بلا رأس مال وافر

يكفى العامل للابتداء فى التعاون أجره المعتاد وزميل شريف . واذا وفقا هذان العاملان وعثرا على عامل ثالث مثلهما يميل للانضمام اليهما لحق لهم أن يقولوا « لا ينحل الحبل الثلاثى بسهولة » وعندئذ يجوز لهم الاكتتاب اسبوعيا لتكوين رأس مال مشترك بينهم ليتجروا فيه سويا بشراء البضائع اللازمة لعملهم . فيقتصدون بهذه الطريقة قليلا من المال الذى يضيفونه الى مالهم المشترك الذى جمعوه فى بادىء امرهم

واذا اتبع هذه الخطة عدد آخر من العمال لازداد رأس مالهم ولتمكنوا من الاقدام على اعمال اكبر أهمية من الاولى ولتيسر لهم ادخار ما يلزم من البضائع لسد جميع ما يحتاجون اليه ولاستطاعت متاجرهم مزاحمة المتاجر الاخرى فيعم النفع وتزداد الارباح بنسبة نجاح الاعمال .

فاذا احتاج الجمهور مثلا لكمية عظيمة من صنف مخصوص من البضائع فعلى الاعضاء الاشتراك فى صنعه ولكن اذا ظهر لهم بعد ذلك أن المكاسب الناتجة عن هذا العمل غير كافية للقيام بمصاريفهم وجب عليهم فى هذه الحالة الاكتفاء بانتاج حوائجهم

قط فيتسنى لهم بهذه الكيفية التخلص — على الاقل — من الذل والاستعباد »

— ٥ —

ان ما تقدم ذكره ليس الا مجمل مبادىء التعاون التى يستنتج منها عدم لزوم رأس مال كبير لوضع الحجر الاساسى لانشاء شركات التعاون . اذ العمل وحده هو أساس وسر التعاون . فعلى العامل أن يأخذ من نتيجة عمله ماهو ضرورى لمعيشته اليومية وكل ما بقى عنده بعد ذلك يصير ربحا . وبتجمع هذه الارباح واضافتها على غيرها يصبح لديه رأس مال لا يستهان به فيتيسر للعمال انتاج مايلزمهم من المأكل وماشابه ذلك من ضروريات الحياة . ولكن يجب عليهم لتنفيذ ذلك مراعاة واتباع الخطط والمناهج التى يسلكها الآن اصحاب رؤوس الاموال الطائلة

ويجب على طبقة العمال الشروع فى فتح مخازن تكون ملكا لعدد صغير يخصصونها للغاية السابقة على شرط أن يشترى منها جميع المشتركين لوازمهم فيحفظوا بهذه الخطة جميع المكاسب لانفسهم والا ذهبت الى التجار الآخرين فتغنيهم وتمكنهم من الحصول على الثروة كلها . وقصارى القول أن هذا المكسب وحده هو النبراس الذى يهتدى به التجار والشركات الكبيرة فى

العالم اجمع . ولم يصل جميع تجار لندن وليفربول ومصرف انجلترا المالى الى حالة اليوم من السعة والرخاء الا بهذه الطريقة . واذا كان الامر كذلك فما على طبقة العمال الا فتح المخازن الآنفة الذكر

وقد تقدر المبالغ التى تصرفها طبقة العمال — بصرف النظر عما اذا كان هذا الصرف فى محله أولا — بملايين من الجنيهات التى ربحها وحده كاف لتأسيس أو شراء شىء كثير من المصانع والمعامل . ولكن السبب الوحيد الذى يمنع العمال عن الاعتماد على أنفسهم والسعى وراء التخلص من ربقة الذل والعبودية هو عدم معرفتهم « كيف يعملون » وأما من قال بان السبب فى ذلك راجع لعدم توفر الوسائل لديهم فقد اخطأ

ولاحظ الدكتور كنج فى سنة ١٨٢٨ الصلة التى بين الارباح التجارية وتكوين رؤوس الاموال فاعترف بان الربح الناشىء عن البيع هو ينبوع رأس المال وثروة التاجر وأصحاب المصارف المالية وغيرها من الشركات التجارية . وأكثر من هذا وذاك تأكيده بان الأمر متوقف على طبقة العمال للاقرار فيما اذا كان يجب ترك هذه الارباح لاصحاب الاموال الحاليين الشرهين الظالمين أو تحويل دفتها نحو أنظمة العمال الحديثة (التعاون) . ولقد ظهر للدكتور كنج أيضاً أن قوة العمال الحقيقية كامنة فى قوتهم الاستهلاكية .

فاذا انتظمت هذه الفئة واشترت كل لوازمها من مخازنها لاصبحت قادرة على جمع كميات ذات أهمية اقتصادية عظيمة . فتأخذ شكل رأس مال يوصلها الى الحصول على مصانع وأراض ليشتغل فيها العمال لمصلحتهم الخاصة . فوقوف كنج على حقيقة قوة العمال الاقتصادية جرأته على نقد نظرية (روبرت اون) المدعى الولاء والاخلاص لخدمة الانسانية

ظهر (لاون) عجزه على تحقيق نظريته بدون مساعدة الاغنياء ذوى النفوذ والسطوة . ورأى انه يجب على هذه الطبقة الغنية تقديم جميع المعدات لتنفيذ تجاريبه وخبرته لحل المسألة الاجتماعية الاقتصادية . ولقد جاء الدكتور كنج بعكس ذلك لانه لم يعتمد فى نجاح نظريته الا على مجهودات وهم طبقة العمال ورأى أيضاً انه لاينقص هذه الفئة شئ من قوة العمل والمقدرة على القيام بحق قيام بل هم مفتقرون الى قوة الادراك والعلم ومعرفة قيمة قوتهم وقدرتهم على كيفية استعمالها لتنشلهم من مخالب أصحاب الاموال

وقال الدكتور كنج فى العدد الخامس من مجلته ان التربية من أهم أسباب انتشار التعاون وتحرير طبقة العمال . فاذا استنارت وتمكنت من الاشتراك فى التعاون صعب على أى قوة فى الوجود الوقوف فى طريق تقدمها ورقيها . وسنبين فيما بعد ان جميع قوى العالم مستمدة

ن قوة هذه الطبقة . وان جميع قوى الطبقات الاخرى الحالية مكتسبة
ن اضهادها واستيلائها على جميع قوى طبقة العمال . فاذا أدركت
هذه الطبقة المهضومة الحقوق سر وجودها فى بؤسها الحالى وعرفت
مالديها من القوة لابد انها ستبذل قصارى جهدها لاسترداد قوتها
الاقتصادية وعندئذ يتعذر على الطبقات الاخرى استغلالها والسيطرة
على ينابيع ثروتها ولكن لايمكن للعمال استرداد هذه القوة واستخدامها
بما يضمن سعادتهم بغير التعاون

الفصل الثانى

نظرية التعاون الاقتصادية

طبقة العمال وحدهاقابضة على زمام العمل
— سبب عدم حرية تصرف العامل فى عمله —
التعاون ورأس المال — الفائدة التى تعود على
التعاون من التوفير

— ١ —

لما كان الغرض من انشاء مجلة المتعاون نشر التعـاون بطريقة عملية عمد الدكتور كنج فى أول اعدادها لاقامة الحجج القاطعة على ان التعاون مشروع كله فوائد لطبقة العمال فاخذ يبث النصائح والارشادات فى سبيل تأسيس شركات التعاون .

وان ما كتبه فى هذا المعنى من الاهمية بمكان الا انه يجب تأجيل الكلام عليه فى مبحث آخر وسنخصص هـذا الباب للكلام على أساس نظرية كنج فى التعاون

لقد أسهب فى العدد الثامن من مجلته مفصحاً عن رأيه فى هذا

الشأن لذلك ننقل اهم ماجاء فى هذا العدد تحت عنوان « لوازم التعاون الثلاثه » قال :

« لبيان ضرورة استقلال جميع اعضاء أى جمعية كانت من جمعيات التعاون فى اعمالها يجب ان نبرهن انها وحدها قابضة على الاساس الذى يبنى عليه كل استقلال ممكن فى هذا العالم . وهذا الأساس هو العمل . اذ العمل هو الكل فى الكل بمعنى ان من جد واشتغل انفتحت امامه ابواب الحصول على كل ما يريد .

لاينكر عاقل ان هذا العمل فى حوزة طبقة العمال وحدهم بل يجوز أن نقول انه ملكهم واحتكار لهم . فلا قانون ولاقوة يمكنها أن تغتصبهم اياه لان قوة أى طبقة كانت من الطبقات ليست الا نوعا من انواع قوة العمل . وهذا العمل لايوجد الا فى يد طبقات العمال . وليست قوة الانسان أو قوة أى طبقة كانت من الناس الا السلطة التى ترمى الى الاستيلاء على ادارة العمل . فنحن نود لهذا السبب ان تتيقظ هذه الطبقة (العمال) الى هذا القصد الذى ربما يحرك هممهم الى السعى وراء ما فيه خير لهم باستعمال كل مالديهم من القوة التى لا ينافسهم فيها أحد .

ولكن ما دامت هذه الطبقة متوانية مهملة لاتبذل جهدها بتحقيق هذه الغاية فلا غرابة اذا بقيت هذه القوة فى يد المستولين عليها الآن ليستخدموها فى مصالحهم الخاصة بدلا من التعاون . وبما أن

طبقة العمال هي وحدها صاحبة هذه القوة والامر موكول اليها فيما اذا كانت تريد العمل لنفسها أو لغيرها . لسعادتها أو لسعادة غيرها

العمل هو الحجر الاساسي للحياه . ومفتاح بابها واصل كل مادة حيوية لازمة لها . وبما ان العمال هم القابضون على زمام العمل كان يجب أن يكونوا فى حال احسن مما هم عليه الآن ولذلك لابد لهم من العمل بجد واجتهاد لنجاح التعاون فيتسنى لهم تحسين معاشهم

— ٢ —

من العجب ألا يكون للعامل حق حرية التصرف فى عمله الخاص مع أنه هو وحده القابض على زمام الاعمال . أننا لانخشى الاعتراف بان هذا هو حاله الآن والسر فى ذلك جلى ظاهر « لانه ليس لديه رأس مال » يرجع اليه لقضاء حاجاته اثناء عمله من ملبس ومأ كل ومسكن وهذا هو ما يسمونه بوجه عام « رأس مال » (١)

(١) « رأس المال انما يمثل تضامن الماضي والحاضر والمستقبل وهو يمد بجذوره الى ابعد زمان خلا ويدلى بفروعه الى اقصى غايات الآتي » نقلا عن كتاب بول لروابوليه - الموجز في

وان كان التعريف السابق لرأس المال اجمالى فانه كاف لغرضنا هنا . الانسان محتاج فى عمله لرأس مال يساعده على المعيشة حتى يتمم ما أسند اليه من الاعمال . ويتضح من ذلك أن كل من توفر لديه رأس المال كان قادرا على الاستمرار فى عمله بلا انقطاع . وبما أن العامل معدما لا يملك رأس مال فهو مجبر والحالة هذه على الاشتغال عند من بيده المال . ولكن ليس من المستحيل حصول العامل على رأس المال الذى هو عبارة عن نتيجة العمل الذى يؤديه يومياً . وأن ما يفيدهم فائدة صحيحة هو ما يقتصدونه من ثمرة أعمالهم ليرجعوا اليه عند الحاجة . فكل من كان بيده عمل قادر اذا شاء على تكوين رأس مال وانما

الاقتصاد ـ تعريب حافظ بك ابراهيم وخليل بك مطران. ص ٨١٠ من الجزء الاول

« كل مدخر وفر عن فطنة فهو رأس مال » عن الكتاب السابق الذكر ص ٨٢ من الجزء الاول . وعرف كارل ماركس رأس المال في كتابه المسمى « رأس المال » بانه عبارة عن « العمل المتجمع » وعرفه شارل جيد في كتابه « دروس فى الاقتصاد السياسى » ص ١٣٦ بما يأتى « كل ثروة تأتى لمالكها بايراد غير الذى يكسبه من عمله »

وعرف كاميل بيرو في كتابه « دروس في الاقتصاد السياسى

ينقصه لتحقيق هذه الامنية ادخار شيء قليل مما يكتسبه من المال ليتسنى له قضاء لوازمه اثناء عمله واذا تيسر له ذلك صح أن يقال عنه « أن لديه رأس المال الذى يخوله حرية التصرف فى عمله الخاص » حقيقة ان

ص ١٠١ من الجزء الاول طبعة سنة ١٩١٤ بانه عبارة عن « كل ثروة اكتسبت سابقا ثم وضعت في اعمال جديدة للانتاج مرة أخرى » وجاء فى نفس الكتاب « كل ثروة تضمن لمالكها ايرادا أو ربحا أو مكسباً أو ايجارا غير ما يكسبه من عمله الخاص »

وعرفه بول لافارج فى كتابه « تاريخ الملكية » ص ٣٠٣ عما يأتى : « كل ملك أتى بفوائد أو ايرادات أو مكاسب أو أرباح فهو رأس مال »

يوجد نوعان من رؤوس الاموال : رأس المال المنتج ورأس المال المكسب . فالاول هو ما استخدم فعلا للانتاج أما الثانى فهو ماساعد المالك فى الحصول على مكسب . ولقد وافق (بوهم بوفيرك) فى كتابه « رأس المال » على هـذا التقسيم الا أنه يفضل تسمية الاول برأس المال الاجتماعى (Capital Social) والثانى برأس المال الفردى (Capital Individuel)

كل من اشتغل لمنفعة غيره هو خادم [1] ولكن كل خادم اقتصد ما يلزمه من المال لقضاء ضرورياته وقت شغله فهو حر اى سيد

ولقد أخطأ البعض فى اعتبار المال والعمل شيئان لا يجتمعان لانهما لم يفترقا عن بعضهما حتى الساعة . وبما أن رأس المال هو ثمرة العمل فمستحيل اذا أن يكونا متنافرين وبناء على ذلك فان رأس المال والعمل مرتبطان بعضهما ببعض ارتباطا كليا طبعيا . وهذه هى الحقيقة بعينها غير أن طبقة العمال لا تستطيع معرفتها لما هى عليه من الجهل الشديد

---

(١) اذا فهمنا لفظ خادم بمعناها الوضيع العتيق كان ذلك منافيا لمبادئ الحرية ومخالفا لتعاليم المدنية وسنن الحضارة . العمل هو الحرية والحرية هي العمل . فهما متضامنان واذا صح ذلك لا يمكن أن يكون الانسان عاملا حرا وفى الوقت نفسه محقرا ممقوتا اذ الحرية لا تتفق مع الاحتقار والمقت لان هذه المعاملة السيئة اما أن توجد عندهم صفات زنيمة تتولد بسبب رضوخهم للعسف وطاعتهم العمياء لمن لا يحسنون معاملتهم هذا اذا كان من يصيبهم الظلم جهلاء لا يدرون من نواميس التقدم شيئا واما ان توجد عندهم كره الرؤساء فيتربصون للفرص التى تمكنهم من اظهار استيائهم منهم أولا بطرق سلمية واذا فشلوا فى

أننا لا ننكر أن رأس المال والعمل استمرا منفصلين بعضهما عن بعض مدة ولكن لم يدم هذا الحال . ولقد ذكر لنا التاريخ ان بعض الملوك كانوا الايأنفون من حسن معاملة العمال لاحترامهم وتقديسهم للعمل ولكن انعكس الامر فى عصر المدنية فصار يعتبر بعض الناس العمل عاراً والعمال غير أهل لاجورهم وان كل ما يبذل من المساعي لتحسين حالهم خطر لا طائل منه

العمل فى يد طبقة العمال فهى بالطبع قابضة على منبع كل ثروة ولذلك يجب علينا أن نتركهم يجاهدون لتوثيق الرابطة التى بين العمل ورأس المال ليصبحوا مستقلين سعداء كغيرهم . وأملنا عظيم فى وصولهم الى هذه الغاية . ولكن لا فائدة من هذا المسعى اذا

تحويل الرؤساء عن غيهم فهم يركنون الى الاضراب القانونى المنظم هذا اذا كان من يصيبهم الظلم متنورون

الخادم هو من يؤدى عملا لشخص أو لجماعة نظير أجر يتقاضاه وكذلك العامل وكل من فى الوجود . فمن فى هذه الحياة الدنيا ليس بخادم بصرف النظر عن أهل البطالة والكسل لانهم أموات فى صورة أحياء . كلنا خدام من أكبر كبير لاصغر صغير غير أن هناك فرق بين ما يتقاضاه الكبير وما يكسبه الصغير وذلك حسب قيمة ومقدرة كل انسان

نفرد كل منهم فى عمله لان كل أمة سادفيها الانقسام سهل تسرب الفساد اليها وكان مآلها « الخراب » فكذلك يكون الهلاك مصير العمال الذين يشاكون بعضهم بعضا . فاتركوهم يقتصدون ثم يقتصدون ويقتصدون دائما ليجمعوا رأس مال مشترك بينهم . ودعوا هذا المال فى أيديهم فهو لا يضرهم ولا يفتك بهم ولا يجعلهم يضلون الطريق بل سيحميهم ويشجعهم وسينيلهم سعادة وهناءا وسيكون له كأب « لن يجفوهم ولن ينساهم » وانما أكبر عائق سيحول دون تحقيق التعاون هو انتشار الجهل بين العمال . وسيكون فهمهم قيمة التعاون بنسبة انتشار التعليم بينهم وزيادة على ذلك لابد لفهم مبادىء التعاون تماما من تطبيقها

لا نزاع فى ان عقول العمال ليست باقل قدرة من عقول غيرهم من الناس لتلقى العلوم بدليل ان أكثر عظماء الرجال نبغوا من بين

واذا ثبت لنا ما تقدم فلا يجوز أن تكون الخدمة سببا لاحتقار الصغير واحترام الكبير حيث أنهما متشابهان فى الجوهر (العمل) . الكل يخدم غيره فى الوقت الذي يخدم فيه نفسه ومن خدم نفسه فقد سعى لحريته الشخصية ومن كان حرا فى روحاته وغدواته فهو سيد . ومتى قام الجميع بالمثل فلاشك بأنهم يعملون ضمنا للمحافظة على حرية بلادهم اذا كانت مستقلة

طبقات العمال (١) ولا ينقصهم للحصول على العلم الا الوقت والفرصة . ولا ينيلهم هذين الامرين الا رأس المال . وبما ان فى يدهم جميع وسائل العمل فمن المؤكد انهم سيصلون الى الحصول على رأس المال والعلم . وهذان العاملان هما الموصلان الى الاستقلال والفضيلة والسعادة

— ٣ —

لقد حاول الدكتور كنج فى العدد الحادى عشر من مجلته

وللحصول على هذه الحرية اذا كانت اغتصبتها يد قوية قاهرة لان المغتصب سيشعر عندئذ بقوة جهاد المغتصب فلا يستطيع الاستمرار على هضم حقوقه .

قال اللورد لفرهلم فى كتابه — ست ساعات عمل فى اليوم ومسائل أخرى صناعيه — ص ٣ « لا يوجد فى الحكومة الديموقراطيه (حكومة الشعب) حاكم ولا محكوم لان جميع الطبقات هى الحاكمة وجميع الطبقات هى المحكومة . والكل يخدم غرض واحد وهو « سعادة الامه »

(١) كان والد جان جاك روسو ساعاتياً . ووالد شاكسبير تاجر أصواف

اقامة الحجة على ان حاجة التعاون الى رأس المـال أقل بكثير من احتياج النظامات الاقتصادية الخاصة اليه .

وقرب كنج من هذه الوجهة من المبـدأ القائل بان « لافائدة من رأس المال اذا لم ينتج ارباحا » (١) ثم جاء باراء سديدة خاصـة بطريقة سير رأس المال واليك ما قاله فى هذا الصدد :

---

(١) جرت العادة فى غابر الازمان (وربما لازالت متداولة بين القرويين حتي الآن) على أن يخفى الاغنياء أموالهم فى أماكن لا يعرف سرها غيرهم . وكثيراً ما تكون هذه الاموال المدفونة عرضة للضياع اذ يفقدها الاهل اذا فاجأت المنية هذا الحريص — بغير هدى — ولم تمهله لحظة عين ليطلع بنيه على سره الدفين فيندثر الـكنز بتواري كانزه التراب . ولست أعلم غاية هذه الفئة من هذا الاخفاء اللهم الا اذا كان غرضهم ادخار مال يرجعون اليه بعد مماتهم وهم تحت الثرى ولـكن حتي الساعة لم يأتنا الوحى الذى يدلنا على حاجة الاموات الى المـال وهم فى قبورهم . قال محمـد بك طلعت حرب في كتابه — بنك الامه « ان في البـلاد مقداراً عظيما من الذهب . . . ولاريب ان قسما كبيرا منه مخزون » ص ٧٥

ولقد يبقى هذا المال المدفون مجهولا الى الابد اذا لم تساعد

« يميز أصحاب الاموال بين رأس المـال (Capital) والدخل (Revenu) فهم يعيرون أموالهم للغير بضمانات ثابتة لتأتيهم بارباح طائلة أو بعبارة أخرى لكي يعطيهم من أنتفع بها عوضـاً . وهذه الفئة التي تقرض أموالها بهذه الكيفية تقصد من كلمة (دخل) جميع الارباح التي يتعيشون منها بدون مساس رأس المال . واما من وضع

الصدف على اظهاره وأما اذا ساعد الحظ هادموا البيوتات القديمة واكتشفوا هذه الودائع الثمينة عزوا وجودها الى الجن وماشابه ذلك . وما الجن الا هـذا الانـسـان الذي جنى بجهله على بلاده واهله .

سبق لنا القول بان ايداع المال بالطريقة السالفة الذكر يعد ضياعا أبديا اذا مات صاحبه ولم يهتد أحد عليه بعد موته ولكن هب أن صـاحب هذا الـكنز لايزال على قيد الحيـاة ومستمر على اخفاء ماله بالكيفية العقيمة فهذا مضر به وببلاده . اذ المال ليس من الآثار التي تدخر وتحفظ ليزداد قيمتها بتعاقب الاعوام بل لابد من أن تتبادله الايدي لينتج ارباحاً يزداد مقـدارها حسب قوة حركته العملية . فينتفع صاحب المال بتضاعف ثروته وكـذلك تنتفع بلاده من حوله لانه لم يحرم اسواقها المـالية من

ماله فى تجارة أو صناعة يدبرها بنفسه فهو مجبر على دفع أجر جميع من شاركوه فى العمل ومضطر ايضا الى الانفاق لاصلاح كل ما اختل عنده من الآلات التى يستعملها . وملزم كذلك بتسديد غير ما تقدم من المصاريف . وما بقى له بعد تصفية حساباته هو عبارة عن دخله الصافى . فهو يستخدم بهذه الطريقة جزء من رأس ماله لاقتناء عيون

الاتجار بماله ومتى زادت ثروة الافراد تزداد ضمنا ثروة البلاد وباثراء الافراد تسعد البلاد .

ولقد عمد أخيراً بعض الاغنياء الي ايداع اموالهم في المصارف المالية — وهذه خطوة في سبيل التقدم الاقتصادى — ولكن لنا اعتراض عليهم لتنازلهم عن فوائد اموالهم المودعة في هذه المصارف . كل من عمل عملا له الحق فى اجره . فالمصارف المالية تستفيد من هذه الاموال المودعة عندها بتشغيلها في الاعمال التجارية والصناعيه وغيرها من طرق استثمار المال المشروعه فالمصارف تستثمر هذه الاموال فى اوجه غير محرمة وتحصل على مكاسب غير محظورة . ونصيب مودعوا الاموال ليس الا جزء من هذه المكاسب الشرعية ولذلك لايجوز الحكم على الجزء بعدم المشروعية بينما نحكم بمشروعية الكل أي لايكون الفرع غير

ثابتة كالعقار والآلات وجزء آخر لشراء المأكولات والملبوسات والاذا كان العمال يستهلكون بلا انقطاع مأكولات وملبوسات فأنهم ينتجون فى الوقت نفسه اكثر مما يستهلكونه . فيؤخذ من ذلك ان كل رأس مال استعمل للحصول على مايلزم من مأكل وملبس قابل للتجدد المستمر بين الاستهلاك والانتاج

يستهلك العمال سنويا رأس مال متعهد الاعمال ولكنهم يردونه

شرعى بينما يكون الاصل شرعى وعلى فرض تمسك الاغنياء بعقيدتهم فتنازلهم عن حقوقهم فى الفوائد للمصارف هو محض احسان أومساعدة لمن هم فى غنى عنه . ومتى كان الاحسان فى غير موضعه فهو مضر لا بالمصارف بل بمن هم احوج اليه من غيرهم . اقصد الفقراء وابناء السبيل . لدينا حل بسيط نشير به الى الاغنياء الافاضل الاوهو تحويل حق الانتفاع بهذه الفوائد الى الجمعيات الخيريه على اختلاف أنواعها لانها محتاجة الى هذه المساعدة احتياج الظمآن الى الماء والجوعان الى الغذاء فاطفئوا ظمأ المساكين بمازاد عن حوائجكم بل عن كمالياتكم وبما ترونه غير مناسب لمقامكم . هذه اموال طائلة ينتفع بها من ليس فى شدة الحاجة اليها . بلادكم فى حاجة الى الحياة ولها الحق فى هذه الحياة فلا تميتوها فتموتون بموتها .

اليه فى آخر كل سنة مضافة اليه الارباح . وبينما يعيش العمال من رأس المال الذى هو عبارة عن دخلهم يعيش متعهدوا الاعمال (المقاولون) من الارباح أو بعبارة أخرى يعيشون مما تنتجه اعمالهم من المكاسب واذا لم يستطع المتعهد استخدام العمال برأس ماله فلا يمكن الانتفاع منه بشىء ما ولا بد له فى هذه الحالة من الالتجاء الى احد امرين :

(١) استهلاك رأس ماله فيتحمل فيما بعد ألم الجوع اذا نفد كل ما لديه من المال

(٢) وأما الاندماج فى صف العمال فيشتغل بنفسه كأى عامل

ولكن اذا استخدم ماله ولم يحصل منه على ربح صعبت عليه المعيشة . فجل مراد صاحب المال الحصول على مكسب أو زيادة مقدار رأس ماله الاصلى ليأخذ منه النقود اللازمة لمعاشه . فنحن نود أن نشرح للعمال الفائدة التى تعود عليهم من امتلاكهم شخصياً رأس مال خاص لهم

— ٩ —

اذا تدخل عدد كبير من الوسطاء بين العامل وصاحب رأس المال لما تمكن الاول من الحصول على جزء وافر مما ينتجه من الاعمال التى ربما تقدر ارباحها بمائة جنيه وسبب ذلك هو ان ما يتركه الوسطاء يومياً من الارباح غير كاف لهذا العدد الكبير . وقد يتعذر على

العامل والحالة هذه ان يصير صاحب رأس مال أو بعبارة أخرى انه يصعب عليه ضمان استقلال نفسه اذا استهلك كل ما يكسبه وهذا هو سبب سوء حال العمال الآن

فاذا تيسر لانسان ان يعيش باربعين جنيهاً انجليزيا فى السنة — وهذا مقدار ايراد كثير من العمال — وجب عليه ان يكون حرا مستقلا فى عمله توفير رأس مال قدره ثمانمائه جنيه انجليزى لان ارباح هذا المبلغ — باعتبار الفائدة ٥ ٪ — تعادل ايراداً قدره اربعون جنيها انجليزيا

يحتاج الانسان القادر على المعيشة باربعين جنيها انجليزيا سنويا لمبلغ قدره عشرون جنيها انجليزيا لمعيشته مدة ستة شهور . وكثيراً ما تكون هذه المدة كافية لان يتم فيها العامل ما فى يده من الاعمال ويعرضها فى الاسواق للبيع فيتمكن بهذه الطريقة كل من ملك من العمال عشرون جنيها انجليزيا الاشتغال لمصلحته الخاصة لان لديه من المال مايحميه شر الجوع اثناء عمله. ومتى تم هذا العمل وباعه فى الاسواق سهل عليه استرداد ما استهلكه من المال . وعشرون جنيها انجليزيا عند العامل تعادل ثمانمائة جنيه انجليزى عند من يتعيش من ايراده بلا عمل

ولاشك فى ان من انفرد فى عمله كان عرضة لجميع الطوارىء والحوادث الفجائية التى ربما تنقص رأس ماله وقد تجره

الى الخراب فى كثير من الاحوال اذا لم يسع فى تجنبها . وكل رأس مال عرضة للزيادة والنقصان ذلك حسب التقلبات . ولنفرض ان انساناً اقتصد مبلغا زهيدا من تجارته ثم استمر على طريقته الاقتصادية الحكيمة (التوفير) واستعان بما وفره من المال فى توسيع تجارته شيئاً فشيئاً الى ان أصبح مثريا كبيراً . وبالعكس قد يعترى كثيراً من العمال الذين يتوصلون بعد عناء شديد الى اقتصاد مئات من الشلنات مرض او عطلة ترغمهم على انفاق جميع ماوفروه من المال

فمصير العامل المنفرد فى عمله الفقر والبوءس ولكن اذا اتحد عدد كبير من العمال الذين يملك كل منهم رأس مال قدره عشرون جنيها انجليزيا امكنهم المعيشة بهذه القيمة ستة شهور . وهذه المدة كافية لتتميم ما شرعوا فى انجازه من الاعمال الخاصة . فيستمرون بذلك فى عملهم ويكون لديهم عمل دائم يرتزقون منه ولا يتوقف عندئذ امر معاشهم على ارادة المتعهد (صاحب المال) ولا على تقلبات الفصول التجارية (١)

---

(١) تختلف الفصول التجارية (Saisons Commerciales) باختلاف البضائع والبلاد . ففصل الرواج (Pleine Saison) هو الوقت الذى يتسنى فيه للتاجر توزيع أو تصريف أو بيع ماعنده من البضائع بسرعة وبارباح وافرة . والسر فى ذلك راجع

وبما ان ثمانمائة جنيه انجليزى محتوية أربعين مرة على عشرين جنيهاً انجليزيا فلابسلن يريد الاستقلال مع اتباعه النظام الفردى الى زمن أكثر باربعين مرة ممن يتبع نظام التعاون وعلى ذلك يلزم لاستقلال العامل اربعين سنة على النظام الاول وسنة واحدة على

الى حاجة المشترين أى لكثرة الطلب . وأما فصل الموات (Morte Saison) هو فصل وقوف الحركة التجارية فيصعب بل يتعذر على التاجر بيع بضاعته وما ذلك الا لقلة الطلب فمثلا بائع قبعات الخوص أو القش تقف حركة تجارته في هذا الصنف فى الشتاء وتروج في الصيف وكذلك بائع الاقمشة البيضاء التى تستعمل للزي وما ذلك الا لعدم حاجة الناس الى هذه البضائع فى الشتاء وشدة احتياجهم اليها في الصيف

ولنضرب مثلا آخر ليرى القارئ كيف تكون بلدة باجمعها عرضة لتلاعب الفصول : تروج تجارة (فيشى — وبور بول — وبيارتز) وما شا كلها في فصل الصيف وذلك لتهافت الزائرين وشدة رغبتهم في قضاء جميع لوازمهم منها أثناء اقامتهم فيها وبالعكس تموت أو تقف التجارة فى هذه البلاد فى الشتاء . وأما (نيس) وماجاورها فهى بعكس البلادالسابقة الذكر تروج أعمالها فى الشتاء وتموت في الصيف

النظام الثانى (التعاون)

فبحث المسألة من هذه الوجهة يهم كثيرا طبقات العمال لانها تخفض الزمن اللازم لاستقلالهم فى أعمالهم . وسيكون لكل من اتبع خطة التعاون حظ كبير للتخلص من استبداد أصحاب الاموال لان هذا النظام الاقتصادى الحديث سيمهد للعامل جميع وسائل الاستقلال . فاذا تمكن والحالة هذه من جمع عشرين جنيها انجليزيا الضرورية لمعاشه اثناء عمله ضمن لنفسه السعادة والاستقلال »

واستشهد الدكتور كنج بارائه السالفة عند نقده وتفنيده — فى أعداد مجلته الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر — طريقة التوفير المتداولة بين عمال ذلك العصر . وكانت الطريقة التى انتقدها عبارة عن ايداع الاموال المقتصدة لدى جمعيات تشبه صناديق التوفير ورغم ذلك توسم فيها خيرا واعتبرها كمقدمات ذات قيمة عظيمة أوليه لنظام التعاون . ثم استدل بوجود هذه الصناديق على استعداد روح العمال للتعاون غير ان أكبر خطأ ارتكبه هؤلاء العمال هو سوء استعمالهم رؤوس أموالهم التى يعيرونها الغيرهم ولا ينتفعون بها

« واذا صح أن يقال عن شخص انه خائن لمصلحة نفسه فاول من تنطبق عليه هذه الصفة هى طبقة العمال التى تشتغل طول حياتها وتقتصد بكل عناء رؤوس أموال لتنتفع بها غيرها »

يعترف كنج لصناديق التوفير بانها مقدمات التعاون ولو انها

ولو أنها ضعيفة قليلة الفائدة . واذا كانت شركات التعاون بطيئة العمل فى أول أمرها فانها تكون سريعة التقدم فى سنيها المقبلة وتزداد نفوذا وقوة ونشاطا فى كل سنة عن التى قبلها وعندئذ لا يتسنى لاى قوة فى العالم تحويل تيار التعاون عن مجراه المرسوم له

تضمنت الاعتبارات السالفة التى جاءت فى مجلة المتعاون كل أراء الدكتور كنج المعززة لنشر خطته فى التعاون ولقد أقام دعائم خطته التعاونية — كما شاهدناه — على العمل . وقال أن المبدأ الاساسى للتعاون هو تنظيم العمل لمصلحة من يقومون به (أى لمصلحة العمال) فالبحث عن مصلحة العمال هو مبدأ نظام التعاون . ولكن حيث أن منفعة العمل تخالف الان فى الظاهر مصلحة رأس المال — الذى يحاول اغتيال جزء عظيم من ثمرة العمل الاجتماعى بحجة فوائد أو ارباح — فلا خلاص اذا للعمل من تبعته لمثل هذا المال الا بقوة التعاون

فمما تقدم يمكننا ان نعتبر الدكتور كنج اول مدافع عن نظرية التعاون الاجتماعية الاقتصادية فى انجلترا وما الجأه الى هذا الدفاع الا اعتقاده بانه لا يمكن تخلص العمل من التبعة الا اذا بدلت طريقة الانتاج الخاصة باصحاب الاموال الطائلة بطريقة الانتاج الخاصة بالمنتجين (العمال) وذلك بفضل تأسيس شركات التعاون للانتاج

الفصل الثالث

مبادىء التعاون العملية

حرية العمال موقوفة على رغبتهم فى التعاون — الغـاية التى يجب ان يسعى لها التعاون وشروط اختيار الاعضاء — الفرق بين شركات التعان (شركات العمل) وشركات الا باح — حسن الاداوة والتعليم من أهم اسباب نجاح التعاون — خطة (فللانبروج) فى تربية العمال

— ١ —

سبق القول بان الدكتور كنج اقترح فى سنة ١٨٢٧ — عندما كان استاذا فى مدرسة (بريتون) التى أسسها — تكوين شركة للتعاون وغرضه من ذلك اقامة الادله على أن العمال قادرون على تحرير انفسهم اذا استقلوا فى أعمالهم . ثم كتب فى ديسمبر سنة ١٨٢٨ الى (م . بروجهام) — نائب بريتون فى البرلمان وقتئذ والذى حاز على لقب لورد فيما بعد — خطابا بشأن شركة التعاون ضمنه ما يأتى :

« ظهر لبعض المنتمين لطبقة العمال والمطلعين على منشورات التعاون انه من الممكن تأسيس شركات التعاون ولذلك نظموا ناديا للاجتماع فيه مرة واحدة فى كل اسبوع للمطالعة والمناقشة فى مشروع التعاون . فقرروا أن يدفع كل منهم ضريبة اسبوعية قدرها بنس واحد فبلغ عدد الذين وافق على ذلك مائة وسبعين نفسا تقريبا ولكنه تخلل هذا العدد المهمل وعديم الالتفات كما هى العادة . وهذا هو السبب فى تراوح عددهم بين الزيادة والنقصان . ومع ذلك فقد كان حظ من دافع منهم بهمة ونشاط عن نهضة التعاون عظيما

ولما بلغت قيمة الاشتراكات خمسة جنيهات انجليزية ابتدأوا فى شراء لوازمهم الغذائية التى كانت توزع على الاعضاء . فازداد مالهم بنسبة انتشار أعمالهم التعاونية الى ان صار مقدار ما جمعوه فى الاسبوع الاول نحو الثلثمائة . ولديهم الان مايزيد عن تسعمائة وخمسين شلنا . ومتى توفر عندهم مما تنتجه هذه المبالغ من الارباح ستمائة شلن سهل عليهم تحمل جميع النفقات كايجار مكان واسع ليجتمعوا فيه وغير ذلك من المصاريف

وقد اجرت الشركة منذ ستة شهور تسعة أميال من الارض فى بريتون خصصت جزءا منها لزراعة الحدائق والبساتين، وكان يباشر هذه الاعمال الزراعية اربعة أو خمسة من الاعضاء الذى بلغ عددهم خمسة

وسبعين . وكانوا ياخذن اجورا قدرها اربعةعشرة شلنا فى الاسبوع رغم ان الاجور المعتادة كانت لا تزيد عن عشرة شلنات لعمال القرى وستة لعمال المدن . وكانوا لا يدفعون اجورا لمسكنهم وفوق ذلك تولت زوجة أحد العمال ادارة وترتيب حياتهم المنزلية

ان كل ماتقدم عبارة عن أمهات مسائل التعاون وانما هناك مسألة اخرى ذات أهمية كبيرة وهى أن العمال كانوا يقضون ساعات فراغهم فى المطالعة وتهذيب عقولهم حتى انهم اختاروا واحدا منهم ليلقى عليهم كل مساء دروسا نافعة كى يستنيروا بها فتتهذب عندهم عاطفة الشفقه ويزول بذلك كل خلاف بينهم وينتهى أمرهم الى أن يصيروا جميعا اخوانا فى السراء والضراء »

— ٢ —

لاشك فى ان المبادئ الاتية هى التى استنبطها الدكتور كنج من سير الشركة التى اسست فى بريتون سنة ١٨٢٧ والتى وصفها فى العدد السادس من مجلته بانها احسن شركات ذلك العصر . ولقد نشر ذلك تحت هذا العنوان « شركة التعاون — اتحاد العمال — مبادئ وقوانين التعاون — الاصل فى نظام التعاون » واليك ماقاله :

« الغاية التي يجب أن تسعى لها شركة التعاون هي :
أولا — تضامن الاعضاء في الدفاع عن انفسهم من شر الفقر
ثانياً — الحصول على جزء وافر من أسباب الراحة في المعيشة
ثالثاً — تحرير الاعضاء بواسطة حصولهم على رأس مال مشترك
وأما الطريقة الموصلة لهذه الغاية فهي :
التآزر على جمع رأس مال مشترك بواسطة الاشتراكات الاسبوعية التي يجب الا تقل عن ستين بنساً على شرط استعمال هذه الاموال في أوجه مخالفة لما اعتادوا عليها فيما مضى كالايداع الثابت ويجب استخدامها في التجارة بهذه الكيفية :
(١) في الانتاج لمصلحة التعاون متى توفرت لديه مبالغ كافيه
(٢) وفي شراء اراض زراعية متى وجد عنده ما يخوله ذلك .
وأما شروط انتخاب الاعضاء فهي :
(١) أن يكون الاعضاء كلهم من طبقة العمال لان العمل وحده هو ينبوع الثروة . فلا فائدة في رأس المال اذا لم يحول بواسطة العمل الى وسائل موصلة الى الراحة في المعيشة ولقد كان يصعب على الشركات والحالة هذه خلط الطبقات المختلفة بعضها على بعض ولان مديري العمال يحتقرون من هو دونهم ولا يقبلون معاملة العمال بالحسنى ويرفضون أن يكونوا والعمال سواء
(٢) أن يكون المشتركون عمالا ماهرين قادرين علي اكتساب

الاجور التى تحـددها لهم قوانين الشركة . وان ينتخبوا من بين الصناع اصحاب المهن النافعة بشرط الا يكون عـدد المختارين من حرفة واحدة كبيرا

(٣) الا يشترك معهم الا ذووا الاخلاق الحسنة المجدون القانعون المواظبون الهادئون

(٤) الا يكون المشتركون جهلاء متشبعين بالاوهام والاوجاس بل يجب عليهم ان يكونوا متعلمين تعلما مناسباً لوسطهم الاجتماعى ومتشبعين بحب رقى تعليمهم ميالين لتثقيف عقولهم .

(٥) أن يكونوا فى صحة جيدة وغير مشاغبين وقت تأديتهم عملهم

(٦) الا يتجاوز سنهم الخامسة والثلاثين ولا تقل عن ثمانية عشرة سنة لانهم اذا كانوا شيوخا عسر على شركات التعاون جنى ثمرة اعمالهم لانه كثيرا ماتكون قد اضمحلت قواهم

وهذا من أهم الشروط التى لا تغفل عنها جميع شركات الارباح

(٧) يشترط على زوجة كل من أراد الالتحاق بالشركة تصديقها على ذلك واعترافها بمبادىء هذه الشركة لانه لا يتسنى لزوجها فى حالة عدم موافقتها على أن يكون عضواً مخلصاً والا كان ذلك سبباً للاخلال بوحدة التعاون

(٨) لا تقبل العائلات الكثيرة العدد خوفا من ان يكون ذلك

سبباً لاشتراك اعضاء غير عاملين فيكون الضرر جسيما للشركة وخصوصاً اذا كانت فى أول امرها .

أن ماتقدم ذكره هو نظام الشركات القديمه التى أراد الدكتور كنج اصلاحها وادخال نظام التعاون عليها وتوجيه انظارها الى ما ينقصها من الامور العمليه .

- ٣ -

لقد أشار الدكتور كنج على شركات التعاون بالقيام باعمال شركات تبادل التجده « ولكن كى لا يمس رأس المال باذي يجب ان يشترك جميع الاعضاء فى مساعدة كل من عطل منهم عن العمل بسبب كارثة كوفاة العامل أو وفاة زوجته أو فقده عمله بدون تقصير منه ولا بد وان تستمر هذه المعونة حتى يتمكن من الحصول على عمل يتعيش منه

وتمتاز شركة العمل (شركة التعاون) بهذه الانظمة عن شركة الارباح التى تنص قوانينها على محو اسم كل من عطل عن العمل من جدول العمال لعجزه عن القيام بدفع الاقساط المكلف بتأديتها . واذا ضاق مكان الشركة بالاعضاء يستأجر محل آخر تدفع قيمة ايجاره من الاشتراكات الخاصة التى تدفعها الاعضاء فى كل ثلاثة شهور . ويجتمع الاعضاء فى هذا المكان مرة فى الاسبوع لتبادل

لمعلومات ثم انه يعين فى كل اجتماع موضوع البحث الذى سيتناقش فيه الاعضاء فى الاجتماع المقبل . وأما الرئاسة فبالمناوبة بينهم

وكان يجتمع فيما بقى من ليالى الاسبوع بمكان الشركة من سمح له وقته من العمال لتكوين وايجاد طبقة متعلمة بينهم ولما كان المتعاونون يعتبرون العمل منبعاً لكل ثروة — واكبر دليل على ذلك تسميتهم هذه الشركات بشركات العمل — فلابد للعمل من العلم ولذلك سيبذلون جهدهم للحصول على ما يمكنهم من المعارف والعلوم النافعة . وسيجرهم تشبعهم بهذا المبدأ (لابد للعمل من العلم) الى تربية أولادهم تربية كاملة . وسيختارون لهذا الغرض أحسن ماوجد عندهم من المدارس . وانما الاوفق لهم تأسيس مدارس خاصة لهم يدفعون مصاريفها من مكاسبهم . ولكن يجب الابتداء فى هذه المدارس بالتعليم الصناعى (١) حتى لا يتسرب الى نفوس الاطفال الكبر والانفة والكسل بل يتدربون على العمل والدقة

فاذا استمر الحال على هذا المنوال لما اقتصرت شركات التعاون على القيام باعمال شركات تبادل النجدة كمساعدة الاعضاء فى حالة مرضهم وهرمهم بل خطت خطوة عظيمة ولتمكنت من ضمان عمل دائم للاعضاء ولسهل عليها بث روح جديدة فى طبقة العمال الا وهى حب تحسين حالتهم العقلية وصفاتهم الخلقية »

---

(١) لان انجلترا صناعيه

— ٤ —

قال صاحب مجلة المتعاون فى العدد الثامن والعشرين عما يجب اتباعه من مبادىء التعاون ماياتى :

« كما انه لا يمكن لانصار التعاون الحصول على غرضهم بدون تعليم لا يتسنى لهم أيضا تحقيق أمانيهم من غير حسن الاداره . فاذا كانت غايتهم القصوى هى العمل لمصلحتهم باموالهم الخاصة يجب عليهم الآن ان يستعملوا هذه الاموال فى طريقة أنفع من وضعها في صناديق التوفير ولتحقيق ذلك لابد لهم من أختيار صناعة يفوق كسبها ماتأتى به الاموال المودعة فى المصارف المالية من الارباح . ولكن المكسب المتوقع من التجارة — سواءا كان من جهة النوع أو الكمية — موقوف على حسن ادارة عملية الشراء اذ الشراء بالجملة ذو فوائد عظيمة غير أنه قد ينتج (مع سوء الادارة) خسائر فادحة . وسر التجارة الرواج وسرعة تصريف البضاعة . وكثيراً ماياتى رأس مال صغير متداول بارباح أكثر مما يأتى به رأس مال ثابت غير متداول »

وبعد أن ألح في الفصول التالية على ضرورة البيع نقدا والدقه فى العمل وصحة الاعمال الحسابية نصح كنج أنصار

التعاون بالابتداء في العمل والتدرب على دقة مسك الدفاتر قبل محاولة الوصول الى الخطوة الاخيرة وهى زراعة الاراضى . ولقد حث أيضاً فى عدة مواقف على ضرورة تحسين تربية أعضاء التعاون ولكن لم يشدد بوجوب ذلك في عدد اكثر مما ذكره فى آخر أعداد مجلته التى عبر فيها بالالفاظ الآتية :

« وبمناسبة توجيه نظر طبقات العمال الى التعاون يهمنا أن نريها غرضنا مما نسميه (كفاءة العمال الطبعية) التي معناها ان العمال وحدهم قابضون بواسطة عملهم على مفتاح كل ما يتمنونه من ثروة وسعادة . وزيادة على ذلك فقد فهمنا هؤلاء العمال بانه يمكنهم أن يكونوا منظمين أو غير منظمين ويمكنهم أن يكونوا أغنياء أو فقراء متي أرادوا

فاذا كانوا يريدون البقاء فى البؤس فما عليهم الا الدوام فى الفقر الذى هم فيه الآن والذى يتضور ألاف جوعا بسببه . ولكن هناك تيار جارف ليس في استطاعتهم أيقافه وهو اضطرارهم الى الاستمرار على كثرة أنتاج لوازم العالم وغيرها من دواعى الراحة كالمأكل والملبس والمسكن . ولاغرابة من وجود غبي في هذه الدنيا يتحمل الجوع ويستسلم للوقوع فى شدة الفاقه بينما هو يشتغل لمصلحة الغير الذى لايتأخر عن امتصاص دمه

لي آخر نقطة في عروقه فهذه حقيقة لاتنكر ولكن لم يعترض عليها أحد مع أنه لم يصنع قط ولن يصنع مأكل ولا ملبس ولا مسكن من غير أن يكون للعامل يد فيه . ولم يشيد قصر ولم تصنع آلة بخارية أو سكة حديدية أو سفينة بل لم تفتح مملكة الا وكان للعامل اليد الطولي فى انجاز القسم الاكبر منها . ولولاه لاصبحت تصميمات المهندسين عبثاً ولذهبت أوامر القواد أدراج الرياح

لم يفتنا فى بحثنا الموضوع من هذه الوجهة ان نبين أنه لو استمر العمال على ماهم عليه من الجهل أى خلوهم من العلوم والمعارف وقوة التفكير لعجزوا عن تأدية أى عمل مفيد للتعاون . ولو صح العكس لسلمنا جدلا بان القمح ينمو بلا محراث وان النسيج يصنع بلا نساجين وان المنازل تقام وحدها بتراكم الاحجار بعضها على بعض

ومع اعترافنا بقوة العامل الجسمية فانه يلزمنا أن نكرر ضرورة تعليمهم لانه لا أمل لنا في نجاحهم بدون ذلك . ولقد شجعنا العمال في عدة مواضع وعرفناهم سهولة أمكانهم الحصول على العلم ولم نتبع فى تعاليمنا هذه الا ما أوحته الينا خبرتنا ودرايتنا

— ٥ —

وكان فى سويسرا منذ ثلاثين عاما تقريبا رجل فاضل يسمى (فللانبرج) ولقد وجه هذا الاستاذ همته نحو تربية العمال فكان يهذبهم فى ضيعة له . وكانت الاعمال الزراعية هى أهم ما يشتغل به هؤلاء الصبية متى قويت أجسادهم عليها .

وكانت توزع عليهم الاعمال حسب سن وقوة كل منهم وكان فى هذه الضيعه مصانع خاصة لصنع الآلات اللازمة لهم فى أعمالهم الزراعية

وكانوا يتعلمون عدا الاعمال الزراعية حرفا اخرى ضرورية نافعة لهم فى معاشهم فى المستقبل . وكان يخصص كل يوم جزء من الزمن لتعليمهم مبادئ التربيه والقرأة والخط والحساب وعلم تقويم البلدان والتاريخ والهندسة وعلم المساحة والزراعة

ولم تقتصر وظيفة المدرس فى هذه المدرسة على تعليمهم الحروف الاوليه وحفظ النظام فيها بل كان يرافقهم فى الاشغال العملية ليساعدهم ويفهمهم ما غمض عليهم وكان يتخذ استاذهم من العمل وسيلة لتثقيف عقولهم فكان يهديهم بطريق المحادثة الى كل ماله ارتباط باعمالهم اليومية ليزداد شغف هؤلاء الصبية بالعلوم التى هى ينبوع سعادتهم

وكانوا يدرسون أيضا المبادىء الميكانيكية اللازمة للآلات التى يستخدمونها وكذلك التاريخ الطبعى للنباتات التى يزرعونها فى حقولهم وفى حدائقهم ثم أنهم يهتمون بالوقوف على خواص وفوائد النباتات والاشجار الوحشية وكذلك طبيعة المعادن والصخور التى حولهم

وكانوا يجلبون معهم كلما عادوا من دراستهم العملية أنواعا متباينة من النباتات والمعادن ليضموها الى ما عندهم من المجموعات العلمية . فكانوا يطلعون بهذه الخطة على خواص النباتات الطبعية وعلى كيفية استعمالها في حالة المرض . ولاتباع هذه الطريقة الدراسية غاية عملية نافعة هامة لذيذة

وكان (فللانبرج) [١] يقبل في مدرستة الصبية الحديثى

---

(١) يقصد الكلام هنا على المربي السويسرى المشهور المحب للانسانية المدعو (فيليب أمانيو بيل فللانبرج) الذي ولد سنة ١٧٧١ وتوفي سنة ١٨٤٤ . أنشأ هذا الفاضل في أوائل القرن التاسع عشر فى أملاكه الواقعة في (هوفوييل) — وكان له ضيعات غيرها فى جهات أخرى — جملة ملاجىء خاصة بالتعليم والتربية . ولقد طار ذكره في الافاق لدرجة عظيمة فزاره عدد

السن فيبقيهم عنده حتى يبلغوا العشرين من العمر ليكونوا قادرين فيما بعد على تحمل المشاق عند تجولهم فى البلاد طلباً في الرزق

ومع أنهم كانوا يستفيدون من العلم في جميع فروع أعمالهم فان تربيتهم كانت لا تجعلهم يتعدون درجتهم الاجتماعية . فكانوا يحافظون على عوائدهم . وكان حظ نجاحهم فى معترك الحياة أوفر ممن قلت تربيتهم لامتيازهم عن غيرهم بكفاءتهم وأقدامهم على العمل .

وأفضل خصالهم علو شيمهم وكرم أخلاقهم لان (فللانبرج) كان يعتبر الاخلاق والدين أثمن مايمتلكه الانسان ولذلك يجب على جميع معاهد التربية تصويب سهامها نحو تحقيق هذه السجا الحميدة والحض على العمل الصالح للدنيا والآخرة

وكان (فللانبرج) محبا لغيره كمحبته لنفسه وطالما حاول فى أوائل الثورة الفرنسية تحسين حال بلاده بنشر المعاهد المتقنة النظام . فاعتزل الحياة العمومية ليحقق غايته السامية المنشودة « السعادة العامة » بترقية صفات الافراد

ولقد وفق ونجح فى تحقيق أمنيته نجاحا عظيما فتبع عمله

كبير من المربيين والمصلحين والاجتماعيين وكان (روبرت أون) ضمن من زاروه ، وخصص الدكتور كننج رسالة ضافية عن طريقة سير نظام هذا التعليم .

وازداد عدد تلاميذه الى أن صار عنده مائة صبي من أولاد العمال وكان يرشدهم الى كيفية العمل وطريقة الحصول على العلم وتكوين الصفات الطيبة واليك البيانات المطولة الكثيرة الاهمية فى هذا المعنى :

كان (فللانبرج) ينفذ غايته بدون نفقات لان عمل الاولاد كان وحده كافياً للقيام بمصاريف تعليمهم فكانوا يبدأون دراستهم في الثامنة من عمرهم ومتي بلغوا الثانية عشرة أصبحوا قادرين على كسب معاشهم . فكان يأتى عملهم بعد بلوغهم هذا السن بفوائد عظيمه مستمرة الى يوم خروجهم من المدرسه حتي ان أن الشاب منهم عند مايبلغ أحدي وعشرين من العمر تكون قد سددت ثمرة أعماله جميع ما انفق عليه من المصاريف

فيستنتج مما تقدم ان تهذيب الاطفال ممكن من غير أن ينفق عليهم أكثر مما تنتجه أعمالهم من المكاسب ولكن بشرط حسن الادارة . ويرجع الفضل كله فى ذلك لهمة (فللانبرج) ونشاطه فى اكتشاف هذه الطريقة . ولقد نجح فى تطبيق خطته المقدسة الحاضة على التمسك بعمل الخير

ولقد تمكن هذا المربى العظيم من مضاعفة قوة انتاج ضيعته مع انه لم تنتج فى سويسرا كلها ضيعة مثل ما انتجته ضيعته من الارباح فازدادت قيمة املاكه زيادة عظيمة مكنته من انشاء مكتبة ودار ·

آثار للتاريخ الطبعى وعلم المعادن وطبقات الارض واقتناء مجموعة مختارة من جميع انواع الآلات النافعة

هذه هى الخطة التى يجب على أنصار التعاون اتباعها هم وأولادهم ولابد لهم من شراء أرض لبناء مساكن مناسبة لهم والحصول على مدرس خريج معهد يماثل معهد (فللانبرج) ليدير حركة مدارسهم الخاصة بهم ويهذب أطفالهم ويعرفهم كيف يمكنهم اكتساب معاشهم ومضاعفة أملاكهم

فكان (فللانبرج) يرمى الى تكوين مدرسين اكفاء قادرين على ادارة مثل هذه المعاهد فى البلاد الاخرى فتنتشر فى العالم كله طريقته السهلة ذات النتائج الباهرة ويعم النفع »

الفصل الرابع

التعاون ونقابات العمال

الغاية التى تسعى لها نقابة العمال — الاسباب التى دعت العمال الى الاتحاد — ماهى فائدة تعليم طبقة العمال — ايذ نظران يكون للتعاون أنصار كثيرون — بعض الطرق المفيدة لاستثمار أموال شركات التعاون

— ١ —

تدل الطريقة التى اتبعها الدكتور كنج فى شرحه العلاقات التى بين نقابات العمال وشركات التعاون فى عدد مجلته (الخامس عشر والسادس عشر) على بعد نظره فى العواقب . ولما كانت اراؤه فى هذا الموضوع سديدة ليست قديمة ولا فاسدة ومعززة لهذه المسألة الحاضرة الكبيرة الشأن فقد خصصنا لها فصلا قائماً بذاته . ومما هو جدير بالاعتبار جسارته الخارقة للعادة وحذقه فى تعضيد حركة نقابات العمال فى زمن كانت فيه هذه الآمال هدفا لسخط الطبقات المسيطرة .

وليس ببعيد أن يكون الدكتور كنج قد أخطأ فى بعض آرائه واقتراحاته الخاصة بالتعاون الا ان ذلك لايمنع مطلقا من أن يكون جل هذه الآراء صحيحاً صائبا فيما يتعلق بجوهر المسألة كما اكدت له ذلك خبرته ودرايته بالامور فى السنين الاخيرة ولذلك سنفسح المجال لسماع ماقاله فى هذا الصدد :

« النقابة عبارة عن جمعية من العمال غرضها المساعدة المتبادلة والنظر فيما يتعلق باجورهم . وكما ان كل تاجر أو صاحب دكان يسعى فى بيع بضاعته باربح الاثمان كذلك تجتهد نقابة العمال فى جعل أجر الاعضاء أحسن أجر ممكن . فتعمل النقابة للوصول بكل وسيلة الى تحقيق هذه الغاية :

أولا — بواسطة تحديد عدد صبية الصناع الذين يجب احترافهم بمهن مختلفة

ثانياً — بواسطة سن قواعد جلية واضحة مبينة الطريقة التى يجب اتباعها فى استخدامهم مع مراعاة عدم قبول الاشتغال باجر يقل عما اتفقوا عليه .

وتهتم النقابة للوصول الى هذه الغاية بجعل عرض العمل مناسباً لطلبه . فاذا مالت الاجور الى الانخفاض استبعد عن العمل عدد من الاعضاء (العمال) الذين يجب مساعدتهم فى معاشهم باقساط يتبرع بها العمال الباقون فى عملهم

وتسعى النقابة فى تذليل المواقف العصيبة التى تنذر بخطر هبوط عظيم فى أجور العمال بواسطة أضرابهم عن العمل . واذا كان فى يد صاحب المصنع مقدار وافر من البضائع أو المال فمصيبة العمال عظيمة لانه فى هذه الحالة ستنفق النقابات جميع ما عندها من الاموال فى مساعدة المضربين عن العمل وربما اضطرتهم الحالة — اذا نفد المال المتوفر عند النقابة — الى الخضوع لرغبة صاحب المصنع فيعودون — بعد خيبة آمالهم — للعمل كما كانوا عليه من قبل . واما إذا تبين لمتعهد الاعمال عدم امكانه مقاومة تيار المضربين فهو لا يتأخر لحظة عن بذل كل ما فى وسعه لعقد الصلح معهم ليتجنب الوقوع فى مركز حرج يخشى منه اذا لم يتساهل معهم. فمنتهى آمال متعهد الاعمال:

(١) شراء العمل (أى تأجير العمال) باقل ثمن ممكن

(٢) وتحقيق اكبر مكسب متيسر

وكذلك يسعى العامل لبيع عمله باغلى ما يمكن من الأثمان ليعيش عيشة طيبة وليتمكن من اقتصاد شيء قليل من المال ليتوكأ عليه وقت الشدة اذا انخفضت أجورهم واضطروا الى حرمان أنفسهم من بعض لوازمهم . وتحوم كل هذه المساومة حول مسألة البيع والشراء

لاغرابة اذا نظر متعهدو الاعمال الى النقابات بعين البغض والكراهية اذ ان غايتهم مضادة لمصالح النقابات . وقد التف متعهدو الاعمال بعضهم حول بعض وكونوا جمعيات خاصة بهم عند ما تبين

لهم ان مصالحهم مهددة . ولما كانت هيئات البلاد التشريعية منتخبة من بينهم لم يتأخروا عن وضع قوانين معادية لاتحاد العمال ومؤثرة فى أجورهم . ومع ذاك كله فقد اضطروا الى العدول عن تطبيقها لانه ظهر لهم أخيرا انها سيئة غير فعالة بل خالية عن الروية والحكمة

ولقد آل تقدم متعهدى الاعمال فى الخبرة والدراية والعلم الى اعترافهم بان « لكل بائع جميع الحقوق المخولة له بيع بضاعته باحسن الاثمان الممكنة » وكما ان العامل لايشتغل الا لبيع عمله فله اذا الحق كغيره فى بيع ثمرة تعبه كيف شاء . ولشركة العمال التى تؤسس للمساومة فى بيع عملهم (تأجير العمال) نفس حقوق شركة المتعهدين التى تتاجر بما لديها من رؤوس الاموال

حقيقة أن طالع المتعهدين ليس بسعيد دائماً لانه كثيراً مايكون الواحد منهم عرضة لخسائر كبيرة بل ربما آل أمره الى الخراب . فاذا هدد متعهد بخسائر فادحة فليس أمامه مخرج منها الا تقليل أجور عماله وكثيراً ماتكون هذه الطريقة مفيدة للعمال أنفسهم لانه يتسنى للمتعهد بواسطتها ابقاء جميع العمال كما كانوا فى أعمالهم بدلا من طردهم جميعاً وايقافهم عن العمل مرة واحدة لضرورة أغلاق المصنع . وكل من وجد من المتعهدين فى مأذق حرج كهذا خليق بالشفقة لا بالتأنيب

— ٣

لاشك فى أن اجتماع العمال للدفاع عن أسباب راحتهم ووسائل معيشتهم هو من اشرف المقاصد التى يرتاح لها كل قلب رءوف وزيادة على ذلك فان الباعث الذى دفعهم على تكوين هذه الرابطة جدير بعاطر الثناء . ولقد خلق عندهم هذا الاحساس من عاطفة طيبة شريفة الا وهى « حب الخير لزملائهم وجيرانهم واهتمامهم العظيم بالمستقبل وميلهم الى الزهد والتضحية ونبذ الملاذ الوقتية » . فالمبدأ الاجتماعى الذى نسعى جهدنا فى اعطائه اتجاها جديدا بين العمال مرتبط كل الارتباط بالسعادة الاجتماعية وهو الشرط الاساسى للمدنية والتقدم .

ولقد شجع بعض ملوك الازمان الغابرة العمال بمنحهم امتيازات عظيمة لعلمهم بما لهم من الفضل فى نجاح الفنون والتجارة وغيرها من الحرف ، ولم تقتصر معونة طائفة العمال فى ذاك الوقت على مساعدة أرباب الحرف بل افادت الجميع وذلك لما كان بين مصالح الكل من العلائق والمشابهة . ولم يكن هناك نقابات معادية لهم ولكن قد أصبح فيما بعد تجنب هذا العداء متعذرا والسبب فى ذلك راجع لحرية التنافس التى غيرت أحوال العمال باجمعها .

وكلما نمت فروع الانتاج اتجـه الاختراع الى احلال الآلات الصماء محـل العمال والفرق بين الآلة والعامل كبير اذ الاولى عبارة عن تركيب صناعى يحركها البخار والثانى تركيب سماوى مكون من لحم ودم وعظم واحساس يحركه القدرة الالهية. فلهذه الاسباب لم ير العامل بداً من الاتحاد للوقوف على سر عدم اتفاق مصالحه مع مصالح روسائه. واخذت هذه النقابات تهتم براحة العمال شيئاً فشيئاً حتى صاروا يعاملون معاملة حسنة

لا عجب اذا استعمل العمال — مدفوعين بعامل البحث عن دواء يشفيهم مما يؤلمهم — نفس الطرق التى اتخذتها الطبقات المسيطرة ونجحت بفضلها نجاحا باهراً للحصول على مطامعهم واسترداد قوتهم التى كانت فى ذاك الوقت اكبر سلاح وامتن حجة يمكنهم الاستناد عليها حينما كان للانسان من الحقوق على قدر ماله من القوة وسلطة التنفيذ. ولم ير العمال شيئاً أفضل من الاقتداء بغيرهم واستعمال قوتهم عند الحاجة للوصول الى مآربهم. فاتحادهم على عدم الاشتغال الا بأجر معلوم جعل الاعتداء على املاك روساء المصانع مما لا يمكن تجنبه فى حالة رفضهم طلبات العمال المتهيجين المشتعلين غيظا والذين لم يروا أمامهم الا القدوة السيئة. ومن هنا استولى روح الاجتماع وحب الاتحاد على قلوبهم

وزيادة على ماسبق لا يمكن العمال الاشتراك الا مع امثالهم لانهم

كانوا عبارة عن فئة منعزلة بل يمكننا أن نقول في انهم كانوا محتقرين ولكن لماذا كان يعتبر البعض العمل وانتاج الثروة عارا ! هذا هو حالهم في الماضي وهذه الروح لازالت موجودة بين كثير من الناس في عصرنا الحاضر

ولقد كان لهذه النقائص الاجتماعية اليد الطولى في بث روح الاتحاد بينهم واصبحوا اخوانا وأعوانا على الضراء تجمعهم النقابات التي عظم شأنها لدرجة أن المشرع إضطر الى الالتجاء الى حصنه المنيع — القانون — لحل هذا المشكل العضال ولكن خابت آمانيه ولم تأت طريقته الا بتوثيق عرى المحبة والاتحاد بين العمال . فجاءت خطة المشرع بعكس ما كان يتوقعه لانه عندما بانت للعمال نيته تيقظوا واتخذوا حذرهم لمقاومة هذه اليد الحديدية القاسية . واوجدت عندهم كل هذه المظالم روح النظام ومكنتهم من تكوين رابطة قوية وقواعد للسير عليها للدفاع عن حقوقهم

ولما عدل المشرع عن قوانينه المجحفة اكتفى العمال بتعديل خطتهم بنسبة التبديل الذي قام به البادىء بالظلم . واقد اقتنع المشرع بعدم ضرورة الاستمرار على وضع القوانين التي كان يعضد بها جمعيات رؤساء الاعمال ويعطل بها شركات العمال ويحرمهم من كل مساعدة فكان والحالة هذه ينعم فريق ويشقى آخرون ولا يميز بين الطيب والخبيث . وخرقت حرمة العدالة والمساواة أمام القانون

فمال العمال بسبب هذا الاضطهاد الى الاضطرابات والثورة وحب المشاغبة خوف أن يذهبوا ضحية الجور والطغيان . ودفعتهم كل هذه الامور الى المقاومة والعصيان اذ الشدة مولدة للشدة . ولا تطيب نفس الرجل الحر الا اذا صادفت احتراماً وصفاء واخلاصا فاذا وجهت اليه كلاما مؤلما أو خاطبته بعنف — ولو عن حق — تراه يعصيك وأما اذا لاطفته فى الكلام ولاينته فى المناقشة تراه يلاقيك بالبشاشة والطاعة ويجعلك فى عينه موضع الاجلال والتعظيم .

— ٣ —

لما ثبت للمشرع أن القوانين التى وضعت للعمال مجحفة ظالمة قاسية عدل عنها فسكن روعهم وهدأ بالهم وزال تزمرهم وعصيانهم والفضل فى ذلك للعلم الذى اقنع متعهدى الاعمال والمشرعين بضرورة احترام حقوق هؤلاء العمال . وسيسرى مفعول هذا العلم فى نفوس العمال — متى حصلوا عليه — فيحضهم على احترام حقوق متعهدى الاعمال

واذا سأل مرتاب عن فائدة تعليم طبقة العمال فيكفى القول بأن العلم منور لاذهانهم ومثقف لعقولهم ومرشدهم الى الطريق القويم الذى

يوصلهم الى التمييز بين العدل والظلم ويغرث فى قلوبهم احترام املاك المتعهدين المموليں وهذا كاه كاف للتقدم والعمران.

ولقد أصاب الجوع طبقات كثيرة من الناس فدعاهم فيما مضى الى التمرد والمشاغبة ولكن تغيرت الحال الآن وقام العقل مقام الشهوات وحل التسامح محل البغض والفضل فى ذلك للعلم

عمال اليوم موقنون انهم قادرون على تحسين حالهم والحصول على رغباتهم بالشدة والعنف فهب انهم دمروا كمية من الآلات وتمكنوا بذلك من رفع اجورهم افهذا يمنع من اصلاح الآلات المدمرة لتعود الى العمل كما كانت عليه سابقا فتنخفض الاجور ؟ ويتضح من ذلك أن الآلات فى حد ذاتها لم تضر مباشرة بمصالح العمال بل افادتهم فى بعض الوجوه . ولقد فهم العمال أخيراً أن هذه ليست باسباب مبررة لتخريب الآلات وخصوصاً أنهم توصلوا الى تخفيف وطأتها . وكل همهم موجهة منذ هذا العهد الى البحث عن الطريقة الموصلة الى تحويل استخدام هذه الآلات لمصلحتهم ضمنا ولكن لم يوفقوا حتى الان الى حل هذا المشكل وانما الامل وطيد فى تحقيق آمالهم بفضل التعاون

وظهر للعمال أخيرا أن المتعهدين لم يتعمدوا سن القوانين المجحفة الخاصة بتحديد اجورهم وانما حركة السوق — الذى يتوقف عليها أعمال المتعهدين — هى التى أوجدتها. فالعالم الحالى أسير لوازمه اليومية

المسيطرة على سير الاعمال التجارية وهذه الاعمال نفسها مسيطرة على الصناعة واجور العمال . فتعهد الاعمال لم يتعمد الاستبداد والجور وانما كان مدفوعا بقوة تيار قانون العرض والطلب الذى لا يمكن التغلب عليه الا بمهارة وذكاء العمال

أحقيق ان للصفات الخلقية العالية القدح المعلى فى تحسين حال العمال ؟

اذا حصل العامل على العلوم الصحيحة وأمكنه التمييز بين الخطأ والصواب وعرف نصيبه من المسؤولية فلابد أن يكون لجميع هذه المعارف تأثير على أخلاقه وذلك مساعد على تقدمه فى الهيئة الاجتماعية

ولقد انتشر التمسك بالدين انتشاراً عظيماً بين الناس وخصوصاً العمال الذين يستنيرون بمقتضى ماتلقوه من المعلومات الحديثة التى تحضهم على احترام أملاك الغير لدرجة انهم صاروا يفضلون الآن الموت جوعا على التعدى على أموال الغير . وهذا هو السبب الذى يعزز قولنا أن عمال اليوم غير عمال أمس لانهم أكثر يقظة ومعرفة وعلى مبادىء خلقية عظيمة

لا يهمنا زعم البعض أن العامل مخلوق حقير لان الحقيقة تكذب ذلك لاختلاف مطامعه ومشاربه وسلوكه وكل ما اتصف به عامل اليوم عن خصال من سلفوه . ويوجد الآن بين العمال رجال عاملون ولقد فتح أمامهم باب جديد بل حياة جديدة تناديهم وما عليهم الا

اجابة هذا النداء وأن يمدوا اليه أياديهم للوصول الى السعادة التى يترقبونها

— ٤ —

النقابات عضد العمال والمحور الذى تدور عليه قوتهم . ويسهل انجاز كل ما دخل فى دائرتهم من الاعمال بفضل اتحاد العمال ذوى الارادة والاستقامة . ولكنهم الآن فى دور التمرين ومتى تم ذلك وعرفوا حقيقة مركزهم وتنبهوا الى مالديهم من قوة التنفيذ فلا يتأخرون لحظة عن الاخذ بناصر الهيئة الاجتماعية التى هم فيها بمثابة الرأس من البدن

لا شك فى أنه سيصير للنقابات سلطة عظيمة فى جميع أطوار الحياة لان من قبض على زمام العمل قبض بطبيعة الحال على زمام العمال . ولكن من ذا الذى يمكنه التصرف فى العمل أحسن من العمال أنفسهم ! وبما أن الممولين المثرين غير قادرين على القيام بالعمل وحدهم فسيضطرون حتما الى التساهل مع العمال ومتى تمكن هؤلاء الاشتغال باموالهم الخاصة أصبحوا أصحاب النفوذ والقوة .

ولقد قامت النقابات بادارة اعمالها بنفسها فاحسنت نظامها وصارت

بجبى ضرائب أسبوعية بلغ مجموعها مبلغاً عظيما . وهذه الاموال تمثل دخل النقابة التى تستعين به على قضاء كل ماتريد عمله . وما على النقابات الا الاستمرار على هذه الخطة مع أيداع أو استخدام أموالهم في أنفع الامور واكثرها كسبا . ولكن يستحسن الآن — اذ ان مشروع التعاون لم يصل الغاية المطلوبة — الاتفاق مع روءساء الاعمال الحاليين ليتسنى للعمال الوثوق من تحقيق خطتهم الجديدة المحتوية على تكوين روءوس أموال تساعدهم على انتاج لوازمهم ومتى تم ذلك ترسل كل من هذه الشركات التعاونية منشورات لجميع أقسامها وملحقاتها تحضهم فيها على نشر دعوتهم فى الجهات المختلفة وليس ببعيد نجاح نظام كهذا . فاذا مال العمال الى التعاون — وهذا مما لاشك فيه — كان أول شيء يهمهم هو معرفة أحسن وسائل استخدام روءوس الاموال لمصلحة التعاون . وسينتج عن ذلك كثرة عدد المنضمين اليهم

وعلى النقابات الحالية أن تبذل كل مافى وسعها لمساعدة نهضة التعاون لتتقدم أينما وجدت نقابة فيتكون بذلك أنصار التعاون يوءثرون بافكارهم فى من اقترب منهم من العمال . ويدعونهم الى قبول عمل دائم مستمر بدل اشتغالهم فى الاعمال غير الثابتة . وكذلك للسكنى فى منازل صحية والاكل على موائد نظيفة هنية والتمتع فى الشتاء بغرفة مرضية .

ولربما اعترضنا قائل بان أنصارا كهؤلاء لاينتمي اليهم عدد كبير . ولكن مما لاريب فيه ان الناس جميعا يفضلون الا كل على موائد شهية عن الجوع والعوز . ويرغبون في الامن والاطمئنان على حياتهم على دوام التخوف من شر المعتدين وضرر الاشرار ولذلك سيكون لهؤلاء الرسل أشياع كثيرين . ومتي وجدت رؤوس الاموال في قبضة شركات التصاون فانها لاتتأخر عن الدأب وراء مصلحة العمال فتوجد عملا دائما لجميع المشتركين

كل من قدر على انتاج اكثر مما يستهلك فهو عضو نافع للهيئة الاجتماعية . فالآلات المستعملة الان ـ في النسيج مثلا ـ تنتج اكثر من المطلوب رغم عدم استخدام جميع الالات الموجودة لهذا الغرض . وصنع الملبوسات لا يستدعي مطلقا اكثر من تحريك الآلة بمعنى ان الانسان قادر على ان ينتج اكثر مما يستهلك بمجرد ادارته هذه الالات واما ما ينتجه الانسان من لوازم الغذاء فلا يمكن تقديره تقديراً صحيحا وذلك لما في طرق التبادل التي بين المنتج والمستهلك من الاضطرابات . ولا غرابة من دوام هذه المشاغبات اذ يشتغل المنتج لغيره اكثر مما يعمله لنفسه . ولكن متى أصبح لدى العامل رأس مال فسيشتغل لمصلحة نفسه اكثر مما يعمله لمصلحة غيره فلا يتم لوازمه الغذائية الا من تحت

يده وتذهب مباشرة الى المخزن الخاص بالعمال ومنها لمائدته . فتكلفه هذه الدورة ثلاث خطوات بدلا من مائة . وستصير طريقة الانتاج سهلة هينة فلا يلاقى أحد ولو حديث السن عقبات فى كسب معاشه

فيجب اذا على النقابات الاستمرار في تحصيل الاشتراكات الاسبوعية كالمعتاد ولكن لا يصح بقاؤها فى صناديق التوفير أو فى أسهم الحكومة أو في الرهونات أو غيرها بل يلزم أيداعها فى شركاتها الخاصة بالتعاون أو فى شركات تعاون أخري أو استخدامها فى تشييد معامل مشتركة بينهم لتعطى لهذه الشركات جميع لوازمها أو فى شراء الات حديثة ليكون ذلك بابا لتشغيل أكفاء العمال فى خدمة الجماعة اذ مصلحتهم فى ايجاد عمل نافع لجميع العمال وخصوصاً العاطلين منهم سواءاً كانت عطلتهم لعدم وجود شغل لهم عند أصحاب الاموال الطائلة أو لجهل المتعهدين واجباتهم نحوهم

— ٥ —

من الطرق المفيدة لاستثمار اموال شركات التعاون شراء

الاراضى الخصبة ولكن هناك ملاحظات هامة عامة تستحق الذكر في هذا المقام لان قيمة الارض مرتبطة بجملة عوامل وذلك حسب ما ستصير ملكا لفرد أو ملكا لشركة تعاون :

(١) تتوقف قيمة الارض فى الحالة الاولى (ملكا لفرد) على شروط واحوال السوق ولكن الامر غير ذلك فى الحالة الثانية (ملكا لشركة تعاون)

(٢) يجب فى الحالة الاولى ان يستبدل بجميع المحصولات تقريبا نقود قبل ان تتميد بثمن معين والعكس فى المحالة الثانية

(٣) يجب على المنتج فى الحالة الاولى بيع محصولاته الغذائية وتركها تجوب الاسواق حتى تلتقى بالمستهلك فيشترى منها ما هو ضرورى لحاجته ويرد لصاحبها ما بقى منها. ولكن الامر بخلاف ذلك فى الحالة الثانية لان البضائع لا تخطو اكثر من خطوتين لملاقاة هذا المستهلك

(٤) من المحتمل ان تبقى احسن الاراضى تربة بوارا فى الحالة الاولى لعدم وجود اسواق مجاورة لها لتصريف محصولاتها واما فى الحالة الثانية فتبقى الارض خصبة منتجة دائما ومحافظة لقيمتها اينما كان موقعها

ولما كان لا يمكن للارض التنقل والذهاب الى الاسواق لعرض

نفسها على المحتاجين لما فقد اضطر هؤلاء الذهاب اليها . ولا يخفى ان المحصولات الغذائية عسرة النقل سريعة العطب ولا يمكن تعويضها حسب رغبة الانسان بل لها أوقات معينة لنضجها ونموها حسب الفصول الزراعية هذا بخلاف الأقمشة والادوات الصناعية التى زيادة على كونها سهلة النقل بعيدة التلف هى قابلة للتجديد فى كل حين اذ الالآت التى تقوم بصنعها لا يؤثر فيها التغيرات الجوية بل امرها موقوف على ذكاء وخبرة اصحابها

فاذا اشترت النقابات ارضا فما عليها الا ارسال كل من عطل لديها من العمال ليسكنوها وليستعمروها ويكون جميع محصولها ملكا للجميع . وأنما أفضل طريقة يجب على هؤلاء المستعمرين اتباعها لدفع دينهم نحو الهيئة الاجتماعية ان يشركوا معهم فى العمل كل من عطل مثلهم من العمال . وبانسحاب جميع العاطلين ترتفع الاجور وتتحسن لمن بقى منهم فى الصنائع الخارجة عن دائرة التعاون فيسهل تحقيق الفكرة الاساسية «سعادة الجميع»

ولاشك في ان مستعمرات النقابات ستستمر فى الازدياد لدرجة انها ستستولى على كل ما تعذر على المتعهدين فلحه من الاراضى . وهذه المستعمرات لا تسعى الا لمنفعة الجميع وستتمكن هذه المستعمرات التى تزداد كل يوم من منافسة الغيرة تقضى على

الظالمين منهم بابتلاعهم (بطريقتها الاقتصادية السلمية) شيئا فشيئا وضمهم اليها . وعندئذ يحق لنا القول بانه لن يستطيع الظالم من أصحاب الاموال الخاصة الاستمرار فى عمله و حده لان روح وحياة وأس مالهم — العمل — مجذوبة يوما فيوما نحو التعاون وخصوصا كلما ازداد احتكاك هذين العنصرين (العمل والمال) بعضهما ببعض

وهناك طرق أخرى كثيرة تمكن النقابات من استعمال أموالها استعمالا مثمرا كتشييد مدارس لاولادهم وبناتهم لينشؤا فيها روح التعاون الذى له اليد الطولى فى اعلاء شأن التربية التى هى الشرط الاكبر للتعاون هذا اذا أريد منه (التعاون) القيام بعمله حق قيام . فالتعاون والعلم متضامنان . يعلو وينخفض شأنهما معا . ومتى وصلا الى درجة عظيمة من الانتشار فى الاعمال الاقتصادية والزراعية فلا يمكن لاى قوة قهرها . وقد يسهل عندئذ لشركات التعاون قبول أبناء الاعضاء خاصة وأبناء العمال عامة كصبية فى الصنائع المختلفة . وسيظهر للنقابات أفضلية ارسال أولادهم الى مدارس شركات التعاون فيشجعونها . وانهم ليحسنون صنعاً لقيامهم بمثل هذه المساعدة لانهم يقوونهم فى مجهوداتهم المبذولة لتكوين رأس مال التعاون

فالحاق هؤلاء الصبية بهذه المدارس أ ٤ن ١٠ يدخرونه لهم لمكافحة مصائب الحياة وآلام الشيخوخةومتاعب الامراض المتوقع حصولها في المستقبل القريب . وكما ان الآباءجدوا واجتهدو المصلحة الابناء فما على هؤلاء الا الاشتغال لمعونة من لا يقدرون على العمل. ومع كل ذلك فلا أثر للتعاون بدون تضامن هذه الاجيال وبدون اعترافهم بفضل الطاعنين فى السن الذين مهدوا لهم سبل الحياة وأرشدوهم الى اسباب الراحة

هذه هي الطرق والخطط التى يجب على العمال اتباعها والغاية التى يجب أن يسعوا لها . أليس هذا أفضل من المشاغبات المستمرة مع رؤساء الاعمال لاجل الاجر الضئيل الذى يتقاضونه ؟ ورغم ان العمال يرأسون آلافا من الرجال وتحت يدهم آلاف من الجنيهات فليس فى أيديهم الآن سلطة التصرف فى أمورهم ولا فى قدرتهم الحصول — والحالة هذه — على رأس مالهم

فحصولهم على كمية وافرة من المال موقوف على ارادتهم فى تحقيق هذه الامنية ومتى وفقوا اليها أمكنهم التصرف فى مصيرهم بطريقة حسنة معقولة . وسيساوون بأعمالهم وحسن قيادتهم لها

وحزمهم وقوة ارادتهم الغزاة المجاهدين غير ان حركاتهم (الفاتحين) تختلف عن حركات العمال الذين سينتصرون بلا اهراق الدماء وقتل الابرياء « فلا يرافقهم (العمال) فى حملاتهم عويل ولا أنين يشق عنان السماء بل تصحبهم علامات السرور وبشائر السعادة لأنهم يطفئون ظمأ العطشين ويشبعون الجائعين ويأخذون بناصر البائسين»



الفصل الخامس

المنافسة والتعاون

تباين مبدأ روبرت اون عن مبدأ الدكتور كنج فى الاصلاح — تفاوت الناس فى العلم والادب من اسباب عدم مساواتهم فى الرتب — المبدأ الاقتصادى الفردى — التنافس مساعد على نجاح التعاون

— ١ —

للباحث الآتية عبارة عن المقالات التى نشرها الدكتور كنج على صفحات مجلته (المتعاون) والتى شرح فيها الطريقة الاقتصادية الحالية السائدة المؤسسة على مبدأ التنافس والتعاون . ولقد دافع عن الاخيرة منهما دفاعا عظيما فكان بحثه من أحسن ما كتب فى بابه

اذ أبان فيه اساس مبدئه الاجتماعي الاقتصادى فى التعاون. وكان لمضمون مباحثه التاريخية الفلسفية خاصية الاستقلال فى الرأى وعدم المطابقة لمبدأ (روبرت اون) وانصاره ولم تفته فرصة تفنيد آرائهم بدون تنديد ولا تعريض باحدهم

أن تقدم الانسانية الحالى مخالف فى نظر (روبرت أون) للحقيقة لانه يعتبره ناتجاً عن خطأ ارتكبه الناس عند تقديرهم حقيقة مصالح العالم وضروريات سعادتهم . ولكن كنج يرى غير ذلك لانه متشبع بالفكرة الصادقة القائلة بان « حركة التقدم الاقتصادية الحالية ليست ضرورية فقط بل كلها مزايا ومعان معقولة » ثم استرسل فى شرح بعض المبادىء الحديثة المشاهدة كمذهب (داروين) ومذهب التقدم والارتقاء

حض (روبرت اون) على الاصلاح الكلى أى قلب أو تغيير جميع المبادىء الاجتماعية المعمول بها فى ذلك الوقت . وصار ينشر فكرته القائلة بان « لا سلم فى العالم الا بموافقة الناس على النظام الاجتماعى الذى يحبذه » ولكن خالفه الدكتور كنج فى ذلك لانه أظهر ضرورة « الخضوع للمبادىء المعمول بها مع ادخال بعض التحسين عليها تدريجاً لكى تصير مناسبة للروح المسيطرة فى هذا العصر » فتتقدم طريقة التعاون الاقتصادية تقدماً طبيعياً . ولو أن بعض مبادىء كنج لاتناسب عصرنا الحاضر ألا انه يجب على انصار التعاون العصريين

الا يعدلوا عن اتباع أساس طريقته وعلى الاخص استنتاجاته الدقيقة المبنية على خبرته الشخصية التى أشار اليها فى هذا المبحث

ومما هو جدير باعجابنا سكينة كنج الفلسفية ووضوحه عند كلامه عن مستقبل العالم ومصير الانسانية . ولم يثنه عن عزمه حقد أو غضب . ولم تؤثر التهيجات العصبية فى أحكامه ولذلك لم تنجح الاوهام فى تحويله عن عقيدته القائلة بان التعاون سيكون أساس بنيان الهيئة الاجتماعية فى المستقبل وستصل به الانسانية الى درجة عظيمة من الرقى » ولهذا السبب سنترك الكلام للدكتور كنج ليوافينا عما عنده فقال :

« قد استقر الرأى — فى السنين التى كانوا يتناقشون فيها بشأن مسألة التعاون التى تبين انها طريقة عملية أو بالاحرى الطريقة الوحيدة التى تنيل الطبقات العاملة سعادة ورخاء — على أن تسمى الطريقة الحالية المسيطرة على العالم بالطريقة الفردية التى تحتم على الانسان العمل لمصلحة نفسه وتحت مسئوليته الشخصية »

يحصل الانسان على القوة الفردية والثروة الفردية والمهارة الفردية فى العلم والمجد الفردى بنسبة مركزه وفطنته والظروف التى تحيط به . وقد تكون الوسائل الموصلة لهذه المحاسن طيبة أو رديئة شريفة أو دنيئة . نبيلة أو حقيرة على حسب اخلاق كل فرد وما جبلت عليه نفسه

وخواص هذه الطريقة « القوة والثروة والنبوغ والعلم » ولكن كل ذلك محصور فى ايد معدودات بينما السواد الاعظم من الانسانية لازال مفتقرا اليه . ولقد جمعت هذه الخطة بين طرفى نقيض (الغنى والفقر) فبينما يكون البعض ذا عتو وسلطان وقوة يكون البعض الآخر خاضعاً مستعبداً فقيرا . وينتج عن ذلك انتشار المنافسة بين أفراد هذه الهيئة الاجتماعية ويتسرب المزاحمة السيئة فى قلوب كل فرد من أفرادها وعندئذ يظن أن كل من يعترضه فى مسيره عدوا له يجب عليه استئصاله بجميع مالديه من الوسائل

فاذا دققنا فى هذا الامر وجب علينا الاعتراف بانه لم يمكن تجنب هذه الخطة الاقتصادية الفردية عند ظهور الانسان فى هذه الدنيا لان هذا النظام صنع الطبيعة وسنة الابتداء فى الرقى والمدنية . وما المظالم والجرم والتعس الا شيء من مخلفات هذا المبدأ ولو انه ليس بالسبب الاساسى لوجود هذه الفظائع

الطريقة الاقتصادية الفردية لازمة لكل شعب حديث النشأة أو بعبارة اخرى عند ما يكون الشعب فى حالة البداية .

— ٢ —

تفاوت الناس فى الاخلاق والعلم سبب فى عدم مساواتهم فى المراتب والاعمال ومن هنا نشأ تشعب درجات رقى العلوم والفنون. ولو تساوى الناس بعضهم ببعض لبقوا فى ظلمات جهلهم ولاستمروا كالانعام لا يدركون شيئا فى الدنيا فلا بد اذا من التعلم لاننا لا نولد متعلمين . ومع ذلك لا يحصل الانسان على الخبرة والدراية الا بكر الايام وبتعاقب الاعوام وهذه الحقيقة ترشدنا الى أمرين عظيمين :

(١) ان الناس غير متساوى الرتبة فى الهيئة الاجتماعية

(٢) ان تقدم الانسان تدريجى ولا يحدث دفعة واحدة

حقيقة ان دائرة معلومات العامل محدودة . وهو عرضة لتغلب غرائزه الاولية عليه ولذلك يلزمه السعى — كلما سمحت له الظروف — وراء تلقى العلوم والمعارف التى توصله الى مركز عظيم فى فنه اذ عقل الانسان وصفاته وقواه قابلة للنمو والارتقاء . فاذا صح ذلك وتمكن العامل من الاهتداء بنبراس العلم ظهر له عالم جديد مخالف كل الاختلاف للذى كان يعيش فيه سابقا .

فلولا تباين الناس فى المراتب لما وصل العالم الى براعة التفكير وقوة الاتقان وسلامة الذوق وحسن الشيم وعلو الاخلاق والصفات النفسية . ولقد سهل على الانسان عدم المساواة فى المراتب تحمل نفوذ غيره لدرجة أدت الى ان قبائل وأمما رضخت لطاعة مخلوق مثلهم وبالغوا فى تعظيمه وتوقيره الى درجة تقرب من العبادة وصاروا يعتبرونه السيد المطلق صاحب الامر والنهى المتصرف فى رقابهم وأملاكهم كيفما شاء . وعدم المساواة محرض أيضا على العمل . وانتشار العمل أساس المدنية التى غايتها تحسين حال الانسان

ولو ان التاريخ أثبت لنا انه كثيرا ما يساء استعمال القوة عند وجودها فى قبضة قليل من الناس الا انه لا يصح لنا الاستنتاج بأنهم كانوا يضمرون السوء ويعملون ضد سعادة الانسانية. وربما ان استعمالهم هذه القوة أفاد العالم غير ان هذه الفائدة لا زالت فى مهدها

ان العلوم والفنون تسعى لمنفعة ذوى النفوذ كما تخدم مصالح الناس عامة . ولقد كان لاهل العلم والمعرفة الايادى البيضاء فى مساعدة من كانت بيدهم السلطة اذ لم توضع طرق الدفاع ولم تنفذ الحركات الحربية التى كانت سببا فى عظمة ومجد الامم الغابرة الا بهؤلاء العلماء ولذلك كان جل مراد الملوك الاقوياء الاستيلاء على

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم « علماء أمتى كالنجوم فى السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقال « لولا العلماء لهلكت أمتى » وقال « من أكرم عالما فقد أكرمنى ومن أكرمنى فقد أكرم الله تعالى ومن أهان عالما فقد أهاني ومن أهاننى فمأواه النار » وقال « لولا العلماء لم يقدر العباد أن يعبدوا الله تعالي يوما واحدا بغير تخليط »

وقال الامام على كرم الله وجهه :

الناس من جهة التمثيل أكفاء
أبوهم آدم والام حواء

فان يكن لهم فى أصلهم شرف
يفاخرون به فالطين والماء

ما الفخر الا لاهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرىء ما كان يحسنه
والجاهلون لاهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

وان تلك شدة تمسك العمال بالحصول على وقت من الفراغ ليتلقوا فيه العلوم أضعفت فكرة تعميم التعلم بين جميع الطبقات فان ذلك لم يمنع من تأسيس مدارس كافية فى ذلك العصر للقيام بنفس هذه الغاية . ومع ذلك كله ليس من اللياقة فى شئ أن نحكم على أعمال الاجيال الماضية بمقتضى نواميس وقوانين الهيئة الاجتماعية الحاضرة اذ لكل عصر دول ورجال وقوانين خاصة بهم . وفضل سلفنا ومجدهم محصور فى كونهم لم يقصروا فى شئ من واجباتهم

— ٣ —

كما اننا تكلمنا فيما سبق على ضرورة وجود الطريقة الاقتصادية الفردية لتقدم ورقي الانسانية وهى فى طفولتها كذلك نشير على من يستهجنون هذه الطريقة بتجنب نقائصها واغلاطها كى لا يقعوا في حبائلها . وكثيرا ما تقوم الهيئة الاجتماعية بخدمات جليلة

وقال الامام الشافعي :

حياة الفتى والله بالعلم والتقى ‏ ‏ ‏ اذا لم يكونا لا اعتبارا لذاته

وقال أبو الاسود الدؤلى :

قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ‏ ‏ ‏ عما قليل فيلقى الذل والحربا

وجامع العلم مغبوط به أبدا ‏ ‏ ‏ ولا يحاذر منه الفوت والسلبا

نحو الطفل يوم ولادته اذ تطعمه وتهذبه على نفقتها مع ان هذا المولود لم يقدم لها شيئا نظير هذه الخدمات . ولو ان الهيئة الاجتماعية مضطرة بحكم الطبيعة الى العناية به الا انه لا يصح ان يذهب التطرف بهذا الطفل الى الاعتقاد بانها مكلفة باعطائه رأس مال لم يشترك بنفسه في تكوينه ولذلك يجب عليه قبل كل شيء — متى قدر على العمل — الاشتغال مدة من الزمن ليتمكن من القيام بمثل ماقدم اليه من الخدمات الجليلة . واذا تضجر مما يتقاضاه من عمله لانه ينال جزءا حقيرا من ثمرة اعماله بدلا من الاستيلاء عليها باجمعها أو بعبارة اخرى اذا فضل طريقة التعاون على الطريقة الاقتصادية الفردية فله هذا الحق ولا شك بانه سيصل الى ضالته المنشودة وانما يلزمه التشبع قبل الاقدام على عمله بروح التعاون لكي تتوج مقاصده بالنجاح وتكلل اعماله بالفلاح

وفي الواقع يمكننا القول — بصرف النظر عن الاعتبارات الاخري — ان الطريقة الاقتصادية الفردية ليست الا طريقة جبر عليها الانسان فى أول امره لعدم وجود روح التعاون الحقيقية الصادقة الا وهي (محبة الغير كمحبتنا لا نفسنا)

لاشك فى ان غاية اصحاب السلطة والنفوذ ومنتهى آمال الحكومات المختلفة الدفاع عن الملكية وبما انه لم يوجد في ذاك الوقت غير

الملكية الفردية فكانت الحكومات مضطرة بطبيعة الحال الى الدفاع عنها وحدها . ولكن لما وجدت الملكية المشتركة كممتلكات الشركات والجمعيات الخيرية وغيرهالم تتأخر الحكومات عن الدفاع عنها ايضا . وشركات التعاون تهيىء انفسها على هذه العناية

اساس التعاون الحرية وحسن الادارة فمتى كملت لديه هذه الصفات لا يتيسر لقوة فى العالم اضطهاده ولذلك يجب على المتعاونين لاعتماد على قوتهم الخاصة بهم واذا كان هذا هو مبدأ التعاون الذى انضم اليه جم غفير من الناس فلا يصح له الارتكان على مساعدة الحكومة لان كل تدخل من الحكومة فى اعمال التعاون يقلل من شوكته ويضعف من قوته ويحط بعزائم القائمين به

سبق لنا الكلام عن فوائد التعاون والطريقة الاقتصادية الفردية وكيفية تطبيق هذه الاخيرة فى الازمان المختلفة حسب درجات تباين العلوم والفنون فى كل عصر . وكانت هذه الطريقة الفردية مطابقة لمزاج العالم وهو فى مهده ومع ذلك فقد نشأ عنها مزايا حميدة لانها حضت الناس على بذل مجهوداتهم الفردية فانتجت هممهم اعمالا نافعة فى جميع الامور وساعدت على انماء معلوماتهم التى كان يلزم لها وقت اكثر مما استغرقته لاتقانها اذا كانت لم تدفعها الحمية وحب الارتقاء . ولقد حان الوقت الذى يجب فيه على العامل الشروع فى اقتطاف ثمار مابذر فى ظل المبدا

الاقتصادى الفردى حيث تم نصج هذه البذور

وقد اصبح الان في استطاعة كل انسان الحصول على ما كان محتكرا فى ايد ممدودات حيث تغيرت طرق التعليم القديمة الطويلة المملة وصارت الآن قصيرة سهلة للمنال تلذها النفس بمعنى انه يمكننا الآن ان نقتبس فى سنة واحدة علوما كان لا بد لتعلمها على حسب النمط القديم من عشر سنوات . وزيادة على ذلك فقد وجدعندنا الان ملكة الاهتمام بالكتب وحب الاطلاع لاعتقادنا بانها الوسيلة الوحيدة والخطوة الاساسية الموصلة الي الحياة العملية والخبرة التى لا بد منها لينطبق العلم على العمل فتحمد العاقبة

نجح استعمال الآلات وتحسنت حالتها لدرجة عظيمة فحسن بذلك حال العمال حيث صار لديهم وقت من الفراغ يتصرفون فيه كما يريدون . ولكن لما فطن العمال وشعروا بانه لا بد لهذه الآلات — التى حسبوها فى بادىء الامر معادية لهم — من قوة العقل للانتفاع بفوائدها مالوا الى قضاء ساعات فراغهم فى التعليم فتنوروا بالعلوم وتخلصوا مما كان يضر بمصالحهم وبالاحرى اكتسبوا جميع الصفات اللازمة للتعاون ولم يبق لهم الا العمل بها واخراجها الى حيز الوجود

فالوقت والتجربة ضروريان لتقدم التعاون وانتشاره بين الانام كما انهما لازمان لجميع النظامات الاخرى الصالحة . وكثيرا ما

ينتج الجهل وعدم الخبرة بالامور أغلاطا كبيرة وفشلا عظيما ولكن هذه الاغلاط بل وهذا الفشل مفيـدان فى ذاتهما لانهما محرضان على نبذهما ومساعدان على نشر المبادىء الصحيحة التى تذلل الصعاب ومتى تم ذلك ظهر التعاون ظافرا فائزاً

ولقد ذهب التطرف بانصار واعداء التعاون الى القول بأن الطريقة الاقتصـادية الفردية مخالفة بل مضادة لمبـدأ التعاون نفسه فالاصدقاء يعززون بكل حماسة واخلاص قضيتهم ويعتقدون أن التعاون وحده هو الذى يسود فيه السلم والسعة والفضيلة والسعادة ولكنهم يؤكدون أن اصحاب السلطة والنفوذ يعضدون الطريقة الاقتصادية الفردية بدلا من مساعدة طريقة الكمال والمبدأ الذى تطمح اليه النفوس العالية «التعاون». وبالعكس يتوجس اشياع الطريقة الاقتصادية الفردية (أى أعداء التعاون) شرا من ادخال أى تغيير على خطتهم ويعتقدون بان هذا التعديل يفقدهم وينزع من أيديهم بل ويحرمهم من جميع المزايا التى يتمتعون بها الآن ولا ينتظرون من هذا التغيير خيرا أو اصلاحا . فهم عبيد وثروتهم أسير وأنانيتهم وليس لديهم النشاط الكافى الذى يبث فى نفوسهم محبة الخير للفقير كمحبتهم لانفسهم وذلك راجع الى جهلهم سنن الطبيعة وشدة تمسكهم ومحافظتهم على القديم البالى . وهم يعتبرون ان كل تحسين فى أحوال الانسان مستحيل وان كل ما يبذل من المجهودات للارتقاء ليست الا أوهام.

وخيالات وعرة المسالك عقيمة النتائج . فلهذه الاسباب نود ازالة هذين الاعتقادين .

حاشا أن يخالجنا في ضميرنا ما يدفعنا الى التشهير بالطريقة الاقتصادية الفردية دفاعا عن مبدئنا (التعاون) أو ان نستعمل ألفاظا جارحة للحط من قدرها ولرفع شأن التعاون لان مثل هذا التشنيع يذهب بكل امل فى الاصلاح والاتقان وزيادة على ذلك نحن لانود معاكسة التيار الطبعي ويكفينا القول باننا (انصار التعاون) سنصل الى مرغوبنا اذا اندثرت من بيننا الرذيلة ولاشك بان الانسانية قابلة للرقى متى صلح حالها

— ٤ —

يجب علينا تتميما لبحثنا انعام النظر مليا في مسألة المنافسة والامر فى ذلك راجع الى الطريقة الاقتصادية الفردية التي صورها بعض اشياع التعاون بشكل فظيع ووصموها بانها سبب شقاء طبقة العمال . وذهب بعضهم فى المغالاة الى القول بان المنافسة الفردية افسدت اخلاق من اقتدا بها ولكن حانت الفرصة لاظهار حقيقة هذا المبدأ وقيمته للوصول الى ازالة ما أوجده هذا اللغط من الكراهية له . نريد أن نبين قبل كل شيء ان هناك نوعين من المنافسة

(١) المنافسة بين اصحاب المعامل

(٢) المنافسة بين العمال

ولا يظهر تأثير المنافسة عند ما تكون حالة السوق طبعية أي يتساوى فيها العرض والطلب ولكنها تظهر للعيان اذا اختل هذا التوازن ورجحت كفة عن الاخرى

يقال انه قل عدد العمال عقب الطاعون الذى حدث فى انجلترا رغم ارتفاع اجورهم ارتفاعا عظيما لدرجة ان اضطر اولو الامر الي اصدار اوامر تحتم على العمال الاشتغال باجور اقل من المعروضة في الاسواق فكان هناك في ذلك الوقت منافسة بين أصحاب المعامل دفعتهم الى اعطاء اجور مرتفعة للعمال ولكن هذه المزاحمة غير التي يتألم منها العمال الآن

واذا زاد عرض العمل على طلبه وتنافس العمال في تأجير قواهم باجر بخس زادت قوة رأس المال في الانتاج ازديادا عظيما وكثرة المصنوعات في الاسواق عما هو مطلوب وعندئذ يتنافس اصحاب الاموال في بيع بضائعهم رخيصة فيصبح ذلك سببا فى ان تكون ارباحهم غير كافية لتشغيل عمالهم باجور مرتفعة. ولقد ظهر مما تقدم ان هبوط الاسعار ومنافسة اصحاب

المصانع هما العاملان القويان المسببان لبؤس العمال ولذلك طعن بعض الكتاب على خطة المنافسة ولكنهم لم يتبعوا فى تقدمهم منهجا قويما حكيما

اذا تأملنا قليلا وجدنا ان روح التنافس غريزية في الانسان ولا يمكن فصلها عنه لانها كانت ولا زالت من أكبر عوامل الاصلاح ولذلك ننصح شركات التعاون بالاستمرار عليها — بعد ادخال بعض التعديل والتهذيب — لتحرض وتحرك أمثالها على بذل كل ما فى وسعها للسير فى سبيل الارتقاء • وحيث ان هذه المنافسة مؤيدة وباعثة على الجهاد في الحياة ولها اليد الطولي فى تخفيض أرباح التجار فهى تعمل بلا ريب لمصلحة الهيئة الاجتماعية بأكملها

كل تحسين في نظام الصناعة مسبب لهبوط أسعار الانتاج وهذا مساعد على تنافس التجار فيما بينهم وممهد لكل انسان سبيل التنعم في الحياة بنفس ايراده القليل الذى كان لا يكفيه لقضاء ضرورياته فيما مضى . فالعامل يشعر كغيره من الناس بتأثير المنافسة ومنفعتها له لانه يتمكن بواسطتها من الحصول على ملابسه بأثمان رخيصة وهذا الهبوط فى الاسعار لا يكون الا نسبة اتساع نطاق المنافسة . ومن هنا يتبين لنا انه اذا لم

ينتفع العامل منها بارتفاع أجره فهو يستفيد منها من وجوه أخرى . ولكن سيأتى اليوم الذى تتحسن فيه الآلات لدرجة تمكنها من سهولة انتاج ما هو مطلوب للاسواق من البضائع مع استخدام عدد من العمال أقل بكثير مما كان يلزم فيما مضى لانجاز نفس العمل • وستنخفض بهذا السبب أجور العمال بنسبة أكبر من نسبة هبوط المواد الغذائية والملابس (وهنا نقطة نقص التنافس الحالى) • ولقد وصلنا الآن الى هذا الموقف الذى نرى منه ان طريقة التنافس خطت خطوتها الاولى « تخفيض أجور العمال » وعلى ذلك يجب على العامل تقليل حوائجه — على قدر المستطاع — وجعلها لا تتعدى ضرورياته حتي الوقت الذي تصير فيه أثمان حوائجه أقل نسبة من انخفاض أجوره

لا فائدة والحالة هذه من التشهير بمبادىء كانت محترمة ممدوحة بل ومعقولة مقبولة في غابر الازمان • وأملنا في النجاح وطيد اذا استعملنا خططا جديدة توصلنا الى الحصول على نفس الغاية التى يتمناها كل انسان عاقل مثل نشر الفضيلة والسعي وراء سعادة العمال • وليس منتهى ما تتوق اليه آمال العمال حصولهم على رأس المال فقط بل يرغبون فى معرفة كيفية استعمال هذه الاموال سواءاً كان ذلك فى التجارة أو الصناعة أو غيرها وعندئذ يتمكنون من الحصول بأنفسهم على الارباح كلها •

ومتى وفقوا الى هذه الامنية أمكنهم الظهور فى أسواق أصحاب الاموال مزودين بأكثر مما لدي غيرهم من المزايا

فكلما زاد التنافس كان ذلك مفيدا لان انخفاض الاسعار يسهل على أنصار التعاون الحصول على بضائع معادلة لقيمة ما لديهم من النقود . ولا يمكن أحد الحط من قيمة انتاج المتعاونين متى قاموا هم أنفسهم بأعمالهم

ولا ريب في ان الانسان ينتج باستخدام الآلات مأكلا وملبسا اكثر مما لو صرف نفس المجهود في انتاجه بدونها وهذه الآلات اكبر عضد للانسان اذ تساعد على تشغيل جميع العمال وهذا من جملة اسباب زيادة راحة وثروة العالم . وليس هناك داع لتخوف انصار التعاون من المنافسة الفردية . وما شبحها الهائل الذي يطأ الآن العمال بمنسمه الا دليل على تحسين الحالة الاجتماعية فى المستقبل ومبشر بنجاح الخطة الجديدة (التعاون) التى ستأخذ بناصر الضعيف وتدافع عن المسكين . التعاون صديق مصلح الا انه غير معترف بفضله الان وعما قريب سيصبح مرشدا نافعا لطبقات العمال ومدافعا مخلصا عنهم وناشرا بينهم السكينة والسعة . فيجب على انصار التعاون المنافسة في الخير على شرط ارتكازهم على مبادئها القويمة وعندئذ يزداد عدد

الاعضاء المنتمين اليهم وتكثر اعمالهم بشرائهم جميع لوازمهم من محال التعاون تشجيعا لها ولكن لا يصح ان تقتصر هممهم على هذا النوع من المنافسة بل يجب عليها ايضا المنافسة فى ترقية معلوماتهم ولابد ان يعتقدوا ان العلم سر كل سعادة والجهل اساس كل شقاء

ولقد توصل الاغنياء الي جمع رؤوس أموالهم الطائلة بفضل معلوماتهم الراقية وساعدهم الفقراء بجهلهم على تكديس هذه الثروة • ولو خلق جميع الناس مزودين بالمعارف كما خلقوا ذوى مأرب ومطامح لما وجد على وجه الارض فقير واحد . ولقد استمر العالم مدة طويلة أسير جهله وهذا أكبر دليل على أن العلوم هى المنبع الحقيقى النافع المساعد على نشر الفضيلة والسعادة والثروة .



الفصل السادس

الاساس النفسى للتعاون

الرأفة هي الاساس النفسى للتعاون — السر فى عدم امكان العالم استئصال الفقر من الوجود — ماهى احسن الطرق الموصلة لاستخدام التعاون فى مصلحة الفقراء من العمال

— ١ —

تكلم الدكتور كنج فى عدد مجلته الخامس والعشرين عن روح مبادئه بعد ان بحث فى مقالته الخاصة بالمنافسة عن الاساس الفلسفى التاريخي للتعاون .. ومما هو جدير بالملاحظة استنباطه التعاون من شعور الرأفة والحنان . ولقد احيا بهذه الفكرة ذكرى (شوبينهوير) الذي قال أن حواسنا الخلقية تستمدقوتها من الشفقة . ورأي كنج فى هذه المسألة هام جدا لانه أظهر فيه نقص الشفقة الموجودة الآن

ولم يوجد فى أيام كنج سياسة اجتماعية — بمعناها الحديث — تقوي على مطاردة ومحاربة المظالم الاجتماعيه المنتشرة بين الناس بل كان هناك ما يسمونه « بالمساعدة وسياسة قمع الجرائم »

وخاصية حرية تفكير الدكتور كنج التى لم تشوهها عقائد الطبقات الاخرى كامنة في قوله «ان طريقة قمع الجرائم بواسطة ايقاع العقوبات على المجرمين وتقليل البؤس بواسطة تحسين شكل المساعدة غير وافية بالمطلوب » وهو لا يرى طريقة اصلاح افضل من جعل الفقراء مستقلين عن الاغنياء مع ماهم عليه من العوز وكذلك استقلال العمال عن اصحاب رؤوس الاموال . ولم يكتف باثبات ان هذه الطريقة ممكنة عمليا بل اكد ان هذا هو الحل الوحيد المناسب للاخلاق الصادقة والدين القويم . ثم استند فى عقيدته هذه على الاستدلال ان عاطفة الشفقة ستقوى وتنتشر فى الاجيال المقبلة بفضل قوة تأثير التعليم والتدرب على الاعمال . ولقد ظهر الحديث الذى ذكرناه في مجلة المتعاون تحت عنوان « التعاون هو الغرض المجهول الذى كان دائما نصب عين محى الخير الميالين لاصلاح حالة

امثالهم» «١»

ورغم ما يعزى الى الانسان من المساوىء التى ليست الا خطيئات عرضية فكثيرا ما تأخذه الشفقة والحنان عندمشاهدته آلام غيره . وهذا الاحساس نفسه هو الدواء الشافى للجروح المؤلمة ومنير السجون المظلمة ومخفف يأس المضطهدين . ومرسل أشعة السرور والحرية الي القلوب التى تندب سوء حالها

---

(١) تدل الانتقادات الآتية التى كتبها (هولى اوك)فى كتابه (تاريخ التعاون) على قلة اطلاعه بحقيقة الموضوع وخصوصاً عندما تكلم على مجلة المتعاون . واليك ماجاء به من النقد فى صحيفة ٣٠٢ من الكتاب السابق الذكر قال :

«عرف الدكتور كنج التعاون بانه (الغرض المجهول) الذى طالما بحث عنه محبوا الانسانية لتحسين حال امثالهم وبما أن القصد من كل تعريف ايضاح الغامض فلا معنى اذا فى تعريف التعاون بالغرض المجهول »

يؤخذ من هذا الانتقاد أن (هولى اوك) لم يقرأ من كتابات كنج الا رؤوس مواضيعها ولهذا السبب فقداعتبرعنوانما كتبه كنج فى العدد الخامس والعشرين كتعريف للتعاون ولكن هذا خلاف الواقع

يوجد نوعان من الرجال :

(١) القوى المتكبر الذى يضل ويقسو فى استعمال قوته ويترفع عن بؤس العالم ولا ينظر اليه الا بعين ملؤها الشدة والطغيان والازدراء

(٢) والرؤوف الرحيم المتشبع بروح التضحية والذى يتتبع بقدم ثابة وجأش رابط خطوات البؤس ليضمد الجروح الدامية ويجود بما ملكته يداه

ان الارواح التى فى أجسامنا لم تخلق منذ الوجود ليستعملها الانسان لمصلحته الخاصة فقط بل ولمنفعة الغير ايضا وما هذه الارواح الا مستعارة يجب حسن استعمالها. وكلنا مسؤول عن اعمالها أمام ضمائرنا وخالقنا .

اخطأ من قال أن « روح الانسان مجبولة بطبيعتها على الانانية الغليظة » وكثيراً ما يوجد بين الجيوش الظافرة — الملوثة بالدماء — خلاف سلاب الجثث وسارقو الاحياء والاموات نوع ثالث من المحاربين قد خصص نفسه ووقف حياته لتخفيف آلام الجرحى سواء أكانوا اصدقاء له او اعداء . وهو يعتبر كل من كان فى حاجة الى المساعدة «صديقا له» فتراه لا يحفل لوقته ولا لماله حسابا بل يضحى بحياته الثمينة حبا فى الانتصار للحقيقة الالهية القائلة « كلكم اخوان »

ولا غرابة اذا لم يظهر هذا الشخص للملاء لانه متواضع لايميـل الى التظاهر . ومهمته فى هذه الحياة الدنيوية « تخفيف آلام غـيره » ولذلك تراه لايقسو عنـد وضعه خطة لقمع الرذائل لان نفسه تأبى التفكير فى رذيلة الغير «ولا شرير فى نظره الا من فكر فى الشر» ولا يسهل اقناعه بان هناك أسبابا خالدة داعية لبؤس فريق من الناس ولـكن خبرته وحدها هى التى ستقنعه بذلك . ولابد من الاعتراف بوجود هذه الاسباب واظهارها للعالم لكى يهتدى العقل والحنان الى الطريق القويم الموصل الى علاج هذه الامراض الاجتماعية المزمنة

كيف يدخلنا الشك فى وجود هذا المبدأ العظيم (الشفقة) مع أن الانسان فى شدة الاحتياج اليه فى جميع اطوار حياته . شابا كان أو كهلا غنيا كان أو فقـيراً . ولربما يموت الانسان تحت عبء مجهوداته ومشاغله واحزانه اذا لم يجـد أمامه فى ساعات وهن قواه عاطفة قلبية كفيلة بتهدئة روعه وتخفيف آلامه. اننا نخجل من الخوض فى هذه البدهيات ولكننا وجدنا فى عصر لا تصدق فيه طائفة أنصع الحقائق بل وكثيرا ما تفتح بابا للهزء والسخرية فى كل مقال . فقوة الانسان العقلية تمر من حالة الى حالة أخرى كالمريض الذى ينتقل من تهيج الى تهيج آخر فى هواجسه وأحلامه. ولقد استولى الاضطراب

والعمى — فى الجهاد العام الشاكى السلاح للدفاع عن سعادة الانسان — على نفوس بعض اقادة المرشدين لدرجة ان تخيلوا اندثار جميع المبادىء الصالحة . ولا عجب فى ذلك لاننا فى وقت صار يقابل فيه كل شروع فى عمل الخير بالتشهير والانكار

لا يصح القول — رغم ما تقدم — بان الانسان مجرد من عاطفة الشفقة او هو عديم الرأفة بغيره لان احساس الحنان طبعى فى خلقة الانسان ولا يظهر الا كلما سمحت له الحال . ورقى التعليم هو اكبر مشجع على انتشار هذه الروح شيئاً فشيئاً حتى تلتقى بالنفوس التى ترغب فيها وتعترف بفضلها ووجودها وعلى ذلك يجب معرفة جميع أسباب البؤس ليقضى عليها بصدمة قوية حاسمة

— ٢ —

لما كانت المدنية فى حداثتها وكان كل عمل يأخذ صبغة فردية ظهرت الشفقة فى قالب فردى . ولكن بتقدم الحضارة وانتشار الملكية فكر نفر من ذوى الاراء السليمة فى استئصال عاهات البؤس والشقاء بالتنازل عن شىء من أملاكهم ووقفها على الاعمال الخيرية المستديمة

ولقد وجد فى بلادنا جمعيات خيرية مختلفة الانواع كثيرة

العدد ولكن منها من طغى وبغى وادعى لنفسه حقوق الجبابرة القساة فتحولت دفتها عن طريقها الاصلى الذى أنشئت له . وأما غيرها من الجمعيات الاكثر قدرة ونشاطا فقد وضعت نصب عينها خدمة المنفعة العامة بطريقة نشر التربية والتعليم . وما السر فى عدم وصولها الى الغاية التى أسست لها الا تكليفها الناس القيام بعمل الخير بينما كان الواجب عليها القيام به وحدها لانها كانت تضع الاجنبي عنها (الذى تكلفه بعمل الخير) فى مأزق حرج لانها تربط مصلحته الخاصة (افتقاره الى الانتفاع بجود المحسنين) بتأدية واجبه . ولقد خابت لنفس هذه الاسباب جميع مساعى المشرع فى وضع قوانين لنظام هذه الجمعيات وكذلك ذهبت جميع مجهودات كبار المفكرين سدى فتفاقم الداء وعظم البلاء وتكاثرت الفاقة وازداد البؤس وصارت جميع هذه المساعى الضائعة تارة أهلا لشفقة ذوى الشعور الشريف وطورا عرضة لاحتقار غيره

ما هى اذ النتيجة التى ينتظر الحصول عليها من كل هذه التجارب ؟ القول بان ليس للشفقة تأثير على الانسان وانها لن توفق الى اصلاح نقائصه غير صحيح . وغاية ما فى الامر هو ان هذه الشفقة لم تجد حتى الساعة مجراها الحقيقى الذى يوصلها ويهديها الى خدمة الانسانية . وكما ان التجارب الفردية التى بذلت فيما مضى لاستئصال الفاقة من الوجود قد فشلت فلا غرابة من أن يكون هذا

نصيبها فى المستقبل . وعلى فرض ان توصل أهل الخير الى محو الفاقة كلية فلا بد أن تعود الى الظهور مرة أخرى . وعلى ذلك فلا يمكن — مهما عظمت المجهودات المبذولة لهذا الغرض — محوها اذ القضاء عليها مستحيل ولكن من السهل تخفيف وطأتها على النفوس المتوألمة منها

ومن أسباب فقر الانسان وفساد اهماله وعدم انتظامه فى أعماله وافتقاره الى مرشد أمين . فمن ولد جاهلا وبلا نصير على البأساء والشدائد يشب فى الجهل وينمو فى الفساد ولا تشعر الهيئة الاجتماعية بوجوده الا اذا تم نضجه على الاساس الفاسد وتكونت خلقته وخلقه فيخرج فى مسرح الحياة بصورة فقير أومجرم . وبدلا من أن يعامله غيره معاملة الاخ المرشد الشفيق بحاله ينظر اليه بعين الاحتقار فيؤول أمره الى أن يكبل فى السلاسل والاغلال ويزج فى غياهب السجون ويبقى فيها للمراقبة والزجر . وانما لا يراقب هذا الفرد حبا فى تحسين عواطفه وأخلاقه بل ليؤمن من شره . وقليل من اعترف بان السجن مهذب لعقله ومصلح لاخلاقه وموح اليه المبادىء الطاهرة .

لا شك فى ان مراقبة هؤلاء الاشرار ذات غرض شريف ولكن ربما كان لها فائدة كبيرة اذا عومل بها الاشرار فى صغرهم وقد يوفقون (الاشرار) بواسطتها الى سد حاجاتهم اذا قوم

اعوجاجهم . وبما ان أهل الاصلاح يعتقدون فى تأثير هذه المراقبة فى نفوس الاشرار الذين تم تكوينهم فلا بدأن يكون تأثيرها أقوى اذا عوملوا بها وهم حديثو السن . حقيقة ان مسألة قمع الجرائم هامة وجديرة بالعناية ولذلك يجب أن يوضع لها برنامج كفيل بتهذيب أمثال هؤلاء الصبية وادخاله فى مدارس خاصة لهم . ولكن مثل هذا النظام معدوم بالمرة لان الاهتمام بقمع الجرائم واصلاح الهيئة الاجتماعية بتكوين الاخلاق وتهذيبها متروك للمصادفات . وقد اهتم بعض محبي الخير بهذا الامر . الاان مساعيهم لم تكلل بالنجاح لعدم وفائها بالمرغوب

يتفاوت تكريم أوتحقير الناس بعضهم لبعض باختلاف المراتب والاخلاق ولكن هناك من يفرط فى هذا التحقير لدرجة سلب وتجريد العمال من حق المطالبة بالرقى والتقدم والسعة فى المعيشة . ولاشك فى ان شدة الحط من قيمة البعض وبخسهم اعمالهم موجد فى طريق محبي الخير عقبات لاتذلل الا بكل عناء . وستقف دائما مثل هذه العراقيل كحجر عثرة امام المصلحين ولكن يجب عليهم بذل قصارى جهدهم لتذليل الصعوبات حبا فى تحسين حال هؤلاء الفقراء التعسين

ولما كان هؤلاء البؤساء لا يعملون لما فيه خير لهم صارت تذهب جميع المكاسب للاغنياء أولا فاولا ليعطوا منها ماراق لهم

للمعوزين. ولكن لا تخلو هذه الطريقة من الضرر لان الفقراء يبقون بمقتضى هذه الخطة غير قادرين على القيام باعمالهم الخاصة فيعيشون ابد الدهر فى البؤس والشقاء. وهذا هو السر فى عجز المشروعات الخيرية عن تخفيف الام الانسانية المحتاجة الى المساعدة

— ٣ —

ما هى اذا الطريقة التى يجب على فاعلى الخير اتباعها لاستخدام التعاون فى مصلحة العمال المحتاجين للمساعدة ؟

الامر سهل • ليس عليهم الا الانتماء الى شركات التعاون. وبدلا من تضييع جزء كبير من أموالهم وأوقاتهم سدى يجب عليهم اظهار محاسن التعاون لهؤلاء البائسين ونصحهم بالانضمام اليه. وان يسهلوا لهم ذلك بمدهم بشىء مما لديهم من الأموال. وان يضحوا بقليل من وقتهم لينظموا لهم حساباتهم وليبثوا فيهم الروح الشريفة « روح التعاون »

وسيكون للتعليم والمال الذى سيخصصه أهل الخير للفقراء نتيجة حسنة اذا اتجها نحو التعاون. وهذه النتيجة الحسنة بل الثمرة اليانعة هى « تكوين ثروة للفقراء وتوسيع دائرة معلوماتهم » فيتيسر لهم عندئذ فهم ومعرفة قيمة مصالحهم. وكل ذلك مساعد على جعل شعورهم

واخلاقهم طاهرة نقية · فتتقدم الانسانية تقدماً عظيما ويصلح حال الهيئة الاجتماعية

وجل آمالنا ابتكار خطة جديدة للقيام باعمال خيرية ذات أثر نافع . ولقد عرفت هذه الروح المحسنة فى بادىء الامر بشدة ميلها الى خدمة الانسانية المتألمة خدمة صادقة وهى لا تزال عاملة على تحسين حال العمال . ودلتنا الحوادث على أن اصلاحات كهذه غير مستحيلة اذ العمال وحدهم هم الذين يوردون للهيئة الاجتماعية باجمعها مايلزمها من مأكل وملبس ومسكن . ولو انهم يستعينون على ذلك بروؤس أموال غيرهم الا انهم هم الذين أوجدوا هذا المال الطائل فى أيدى الاغنياء . ومن ذلك يظهر أن طبقة العمال قادرة على الحصول على جميع لوازمها اذا أحسن المتولون امرهم ادارة الاعمال . وهذه الادارة الجيدة لا تصعب على أصدقاء وانصار العمال اذا اشتركوا معهم فى مهمة التعاون . ومما لاشك فيه أنه متي استنارت هذه الطبقة بالعلم سهل عليها الاشتراك من نفسها (اى بلا دافع) فى التعاون

وغايتنا أن نرى اليوم الذى ينضم فيه جميع المخلصين من أهل الفضل والاحسان الى التعاون فيبتدعون خطة جديدة يتوصلون بها الى الحصول على اكثر الارباح بأقل مجهود ضرورى للقيام بالعمل حق قيام .ومتى صح هذا الامل فسيبلغ (التعاون) بجميل خصال وصفات المتولين امر الادارة وبانسانيتهم وطيب قلوبهم وغزارة

معلوماتهم الى الدرجة القصوى من الكمال فيحقق بذلك أهل الخير غايتهم التى لم يروا منها حتى الآن الا خيبة الامل .

حقيقة ان لاقدر الناس علي العمل وأخلصهم واذكاهم وادراهم بالامور نفوذا وسلطة وهيبة فى جميع المجتمعات كما يكون لهم ذلك في شركات التعاون اذا انضموا اليها فيمتازون بهذه الصفات عن الآخرين الذين هم دونهم علما ومعرفة وخبرة . ولذلك يتيسر لمن انضم الى التعاون ممن كملت فيهم هذه المميزات السامية استعمال مثل هذا النفوذ لمنفعة الجميع . وكلما ازداد عدد اهل الفضل ازداد عدد الذين يؤثرون بنشاطهم وقوتهم الادبية العلمية فى قلوب الفقراء والعمال فيقوى وينتشر فى الوقت نفسه روح حب عمل الخير . ومتى صنع انسان خيرا فى غيره فلا بد ان يندفع المغمور بالاحسان الى رد مثله لغيره كلما سمحت له الظروف . وبهذه الاعمال الفاضلة يتبارى الجميع فى عمل الخير فيعم الفضل وتسعد الانسانية . وأكبر فائدة تنتج عن ذلك هو انه سيأتى وقت يتمكن فيه الفقير من الدخول فى مضمار هذه الاعمال الصالحة .

الفصل السابع

الحكومة والتعاون

صلة الحكومة بالتعاون — الآداب قوام الامم الراقية — تأثير التعاون فى الانتاج — تأثير التعاون فى العلم — تأثير التعاون فى الاخلاق

— ١ —

● بعد أن طال النصح للعمال على صفحات مجلته الصغيرة تاقت نفس كنج تعزيز قضيته لدى الطبقات الراقية والهيئات الحاكمة ومالت نفسه الى اظهار اهميتها حبا فى المصلحة العامة . وكل ما أتى به من البينات والملحوظات يدل على ان دعوته الى نشر فكرة التعاون كانت

سببا فى سخط الهيئة الاجتماعية عليه وتوجيه المذمة اليه والانحاء عليه بالملائمة لانهم ظنوا أن مبادىء التعاون خطرة على الطبقات العالية (الارستوقراطية) والحكومة معا . ولم يقفوا عند هذا الحد بل اعتبروها مخالفة للدين ايضا . وكان (روبرت اون) نفسه من انصار هذه الحملة الشعواء لانه لم يتحاش فى انتقاداته رميها ووصمها بهذه الصفة (العداء للدين) ولهذه الاسباب كلها كانت مباحث كنج التى نشرت فى اخر اعداد مجلته خاصة بمدح التعاون واثبات نفعه وتعضيده لمصالح الحكومة والدين. ولذلك سنأتى بالفقرة التى درس فيها علاقة الحكومة بالتعاون فقال :

« اجمل منظر من مناظر الحياة مشاهدة الملك العاقل أو الحاكم الحازم وهو مسيطر بسلام على شعب يرتع فى بحبوحة السعادة والرفاهية . واول واجب على كل حكومة محافظتها على حقوق الافراد والجماعات . وهذا هو السر فى ان الواجب الاساسى المحتم على الملك العاقل الطيب السيرة ضمان هذه السعادة لرعيته . فمصلحة الملك الحقيقية مشابهة تماما لمصلحة شعبه » . وهذه الالفاظ «قوة — عظمة — سعادة » ما هى الا مترادفات فى بعض الوجوه اذا أريد تطبيقها على الناس . ولكن معناها فى اللغة العامية المتداولة « الرخاء فى المأكل والملبس والمسكن والمقدرة على استثمار ما توفر منها بدرجة عظيمة لتستعين بها الحكومة عند الحاجة » فقوة الشعب

شاملة على جميع انواع الانتاج اذقوته العقلية تشد ازرهذا الانتاج. وقوته العملية (الميكانيكية) لازمة له . فالقوة العقلية والعملية لا ينفصلان بعضهما عن بعض اذ لاحياة لاحدهما بغير الثانية

ففضل العقل الراقي المتنور سرعته فى قوة التفكير . وسلطانه على عالم الموجودات . وتأثيره فى الامور الروحانية . وبراعته فى التخلص من قيود الزمان والمكان. ومهارته فى مقارنة مختلف الاشياء بعضها ببعض . وقدرته على معرفة العلاقات التى بين القريب من الامور وبعيدها . وينتقل الانسان بتقدمه فى الفكر من الضعف الى القوة ومن الطيش والحمق الى الرزانة والادراك ومن استعمال الآلات اليدوية الى استخدام البخار حتى ظهرت هذه الاختراعات للجاهل البدوى واللأمى العامي كمعجزات انزلت من السماء بدلا ان تبدو له كحوادث عادية اخرجتها يد الانسان بفضل ارتقائه في العلوم والمعارف

وليس هذا كل مافي المسألة من بيان لانه كما أن لتقدم قوة الفكر الطبيعية اهمية عظيمة كذلك للقوى العملية والروحانية قيمة كبيرة . ولولا ذكاء العقل لما امكننا الاحاطة فى لحظة عين بما حل في الماضى وما يجرى في الحاضر وما يتوقع حدوثه فى المستقبل ولحكمنا باستحالة نبوغ الانسان في مجال الاتقان وبراعة الابتكار .

- ٢ -

لابد لكل امة عظيمة من رقي اخلاقها وتهذيب آدابها ولكن لايمكن تكوين الآداب العالية والاخلاق الراقية الا بعد توطيد الاساس الذي تقام عليه دعائمه · وليس هناك سعادة دائمة مبنية على القوة والعلم ما لم يكن اساسها حسن الضمير وطهارة الطوية وسلامة النية مما يشينها ويلوثها . واليك العناصر التي يجب ان تشيد عليها دعائم شعب عظيم سعيد :

(١) لابد من الثروة وجميع اصناف الصنعات

(٢) يجب اتقان العلوم والفنون ليتمكن الشعب من الحصول على جميع لوازمه

(٣) يجب ان يكون فى الشعب رجال عاملون ذوو عقول ذكية وقرائح وقادة نقية يمكن الاعتماد عليهم ·

(٤) يجب ان تكون الامة على غاية من الادب وحسن الاخلاق ولا يمكن لامة السير والارتقاء بدون هذا الشرط الاخير . ولابد ان يكون تقدم الامة فى العلم بنسبة تقدمها فى الاخلاق اذ بهما يصل الشعب الى ذروة المجد والسعادة

بقى علينا ان نبين فيما يلى ان للتعاون تأثيرا عظيما في أمور كثيرة هامة ·

- ٣ -

التعاون اكبر باعث على الانتاج . ولكن لافائدة منه اذالم

يكن غرضه تحسين حال العمال واعلاء شأن الفقير في المجتمع الانساني . ويتعسر الوصول الى هذه الغاية اذا لم يكن الانتاج وافرا والثروة واسعة . ومع ذلك فلا تميل نفوس أنصار التعاون الى اغتصاب ثروة الغير أو مطالبة اصحاب الاملاك الطائلة بشيء مما لديهم للوصول الى ضالتهم المنشودة بل ترمي نفوسهم الابية وشيمهم العالية الي تكوين رأس مالهم بالعلم والعمل ليتمكنوا في المستقبل من تحسين معيشتهم وبهذه الطريقة لا يثقلون كواهل المحسنين الذين كانوا مجبرين على مساعدتهم . ومتى تيسر للعمال استخدام الآلات العاطلة واستطاع العاطلون من العمال الاندماج في الحياة العملية واضافوا الى كل ذلك بعض الآلات الجديدة الحديثة كانت النتيجة (اكثار ثروة البلاد بنسبة انتشار هذا التعاون) . ولكن الحالة غير ذلك الآن لان هناك عددا كبيرا من العمال عاطلون فهم يستهلكون مأكلا وملبسا ولا ينتجون شيئا نظيره ولذلك اهتم نفر عظيم من المحسنين بامرهم فأرسلوا بعضهم الى ملاجيء خيرية وبعضهم الى مصانع يدوية أو ميكانيكية وكم من محسن ضحى بوقته الثمين حبا في الوقوف على معرفة اى هذه الاسر احق بالمساعدة . فكان جهادهم هذا شبيها بطنطنة الطبول الشديدة الغوغاء القليلة الفائدة . ولكن لو وجه العالم

قوته نحو الانتاج النافع وسهر على عدم ضياع العمل سدي (كما هو حاصل الآن) لما استطاع احد القول بأنه لا يمكن — مع اتباع هذه الطريقة — تحسين أو زيادة ثروة البلاد وجعلها اكثر قوة وسطوة من ذى قبل . هذا خلاف ما تكتسبه من الاعمال المفيدة كنشر روح الاتحاد بين الجميع .

— ٤ —

تعليم الشعب هو اكبر عامل لرقيه . اذ العقول القوية — كما يسمونها — تتغلب على التى دونها ذكاء وفطنة . والقدرة العالية والمهارة العظيمة تفوزان فى اكثر الاوقات فى مضمار الاعمال . وهذا هو السر فى ان الامم الغزيرة العلم (المتنورة) القليلة المال تميل الى ارغام غيرها من الامم القليلة العلم (الجاهلة) الغزيرة المال على دفع شيء لها مما لديها من الخيرات الطبيعية . وللحصول على هذه الغاية يتغلب الغاصبون على مثل هذه الامم بقليل من العناء . فيتبين مما تقدم انه لا يمكن نجاح التعاون وانتشاره بغير العلم

ولنفرض ان اجتمع نفر من الناس — ولو السذج من العمال — للبحث عن افضل الطرق التي توصلهم الى حسن ادارة اعمالهم . ففى مثل هذا الاجتماع — مع ما عليه من البساطة — يكون

كل فرد من المجتمعين عرضة لتأثيرات الاقتراحات التى تطرح امامه . ولذلك يجب على كل منهم ان يكون على شيء من الحكمة والروية لمواجهة مثل هذه الطوارىء واعداد عدتها . ولكن لا يتيسر لهم ذلك الا بالعلم الذى يمكنهم من تقدير الامور حق قدرها . فالشخص الذى يريد اتقان ما كلف به من الاعمال - مهما قلت اهميتها - مضطر الى اجهاد قواه العقلية (لا قواه البدنية فقط) واستخدام ذكائه . ولكن لا يستطيع ذلك الا اذا ارتقت معلوماته بنسبة ما يحتاج اليه فى اعماله. واذا استمر هذا التقدم سنين طويلة فلا بد من الحصول على نتيجة تقويه وتساعده على انجاز عمله باحسن واحدث الطرق . ويصبح وقتئذ انصار التعاون رجالا ذوي معرفة ودراية . ومتى كملت فيهم هذه الصفات فليس من المعقول ان يكونوا غير عاملين . واذا اجتمع العلم مع العمل كانت النتيجة خيرا وابقى

ولا يليق ان تكون معلومات رجال التعاون سطحية لانهم مضطرون — بحكم عملهم - الى تتبع سير الاسواق التى تارة تكون فى صعود وطورا فى هبوط فيكونون على بينة مما يقدمون عليه اذا تيسر لهم فى المستقبل الانتاج لانفسهم أو اذا ارادوا استخدام اموالهم الخاصة فى شراء الآلات لاستعمالها لمصالحهم . وبالجملة اذا اتخذ الانسان لنفسه هذه الخطة القويمة (العلم مع العمل) فلا يمكن

لاحد مناوأته . واذا فتح باب العلم للعمال فلا يمكن اقفاله فى وجوههم وبطول المدة يزداد عدد المتعلمين منهم . وكثيرا ما أظهرت لنا الحوادث ان لاولاد العمال قدرة عظيمة على الحذق والنبوغ فى العلوم التى هى من الزم الامور لانصار التعاون . ولذلك يجب على من بلغ منهم اشدة المطالعة وكثرة البحث والتنقيب . ومن ثابر منهم على حب الاطلاع والاستزاده ظهرت له ثمرة اجتهاده وجهاده فى جميع اعماله. ولا بد ان ينشأ عن احتكاك العمال بعضهم ببعض تبادل المعلومات فتتأثر الاقلية (الجاهلة) بما وصلت اليه الاكثرية من العلم وتتنور من حيث لا تدرى لانها تكون منقادة بتيار الاكثرية . وكذلك يؤثر التعاون ويفيد من لم ينضم اليه

— ٥ —

خير فضيلة في التعاون تأثيره فى الاخلاق تأثيراً حسنا . فوظيفته العملية هى « تكوين صفات الافراد الخلقية الطيبة » ولو أن هذا الاصلاح قليل الاهمية في نظر البعض الا انه خليق بالتشجيع والعناية وخصوصاً ازاء سوء حالة الهيئة الاجتماعية الحاضرة المؤلمة

وقد يكون الشعب الفقير الخشن العادات سعيداً اذا كان متحليه

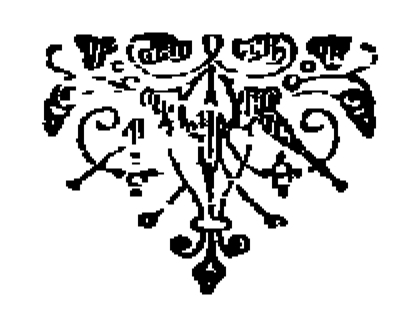
بالفضائل . وكثيراً ما تساعد الثروة الطائلة على زيادة الهموم اذا انعدمت هذه السجايا . وتاريخ كل أمة شاهد بهذه الحقائق

ومن اكبر شروط التعاون ثقة الاعضاء بعضهم ببعض . وتكفي صفة واحدة ذميمة لهلاك أمة باسرها اذا لم يبادر أهل الرأى والحجا بمداركتها واستئصالها في القريب العاجل. ولذلك يجب على كل عضو فى التعاون مباشرة أحوال من هم حوله من الاعضاء لان كل جمعية مسؤولة عن خلق واعمال افرادها . وعلى الشخص المعوج المنتمى الى مثل هــذه الجمعيات الاستقامة أو الاستقالة . وبانفصاله عن الجماعة يتنبه باقى الاعضاء ويأخذون حذرهم منه ، ولكن المصلحة العامة (مصلحة الهيئة الاجتماعية) تقضى بان يبذل الاعضاء الباقون قصارى جهدهم لمنعه من التمادى فى تدهوره وانحطاطه لكيلا يتحول داؤه الى مصيبة معدية يتسرب سمها الى غيره

ولا بد لجميع الاعضاء من مراعاة نواميس الادب فى معاملاتهم ومجتمعاتهم لان احترام بعضهم لبعض يجعل لهذه الجمعيات ميزة الوقار كما انه يجب عليهم تجنب استعمال الالفاظ الجارحة المؤلمة فى مناقشاتهم . فالصلات الودية هى التي تربط الاعضاء بعضهم ببعض . وكلما انضم اليهم عضو جديد ازدادوا نجاحا وفلاحا

فاذا بذل التعاون كل ما فى وسعه لانماء ثروة الامم مع مراعاة توسيع دائرة معلومات انصاره حتي الحقير فيهم فلا شك بان هذه الاعمال كلها تفيد الحكومات فائدة لا تقدر . ولهذه الاسباب يجب على الحاكم الحازم الا يتأخر عن مساعدة نهضة التعاون لانه يساعد أمته ويقوى مركزه فى قلوب رعيته

أن الامة التى تشتغل بجد وثبات لتحقيق هذه الغاية الحميدة لسعيدة لانها تكسب باتباعها هذه الطريقة النافعة رضوان الله عليها . وانها لسعيدة اذا كانت هذه الامة انجلترا (مصر)



الفصل الثامن

الديانة (١) والتعاون

يحض التعاون على حب المرء منفعة غيره كما
يحب لنفسه — على المشرع وقاية البائسين من
غوائل الدهر — لا يتفق التعاون والطمع
ولا يلتقي مع الاغراض السافلة — الدين
والتعاون يأمران بقرن الاقوال بالافعال

— ١ —

لم يأل كنج جهدا فى مقالاته التى نشرها على صفحات مجلته

---

(١) نصحنا بعض الاخوان — ولهم منا جزيل الشكر — على حذف هذا الباب لخوضه فى المسائل الدينية لان الدكتور كنج بحث فيه ما بين التعاون والكتاب المقدس من العلاقات . ولكننا نرى — مع احترامنا لرأى الغير — ان جميع الكتب المقدسة تحت نحو الانجيل وحضت جميعها — على اختلاف مذاهبها — على المؤازرة وفعل الخير ومساعدة الفقراء والتعاون والاخذ بناصر البأسين . والقرآن الكريم لم يهمل مسألة التعاون بل دعا العالم الاسلامى اليه فى أمور كثيرة

عن اقامة الحجة على ان التعاون مبدأ بعيد عن مخالفة الاديان ولايهتم الا بدعوة الناس الى المحبة والاخاء . ولقد استند في دفاعه عن التعاون على الحقائق الاقتصادية التاريخية النفسية وما استنبطه منها بفضل خبرته وعلمه مما لا يمس العقائد الدينية بسوء. وكان غرضه عند ما نشر ذلك ان يطلع انصاره على أساس آرائه وشدة اعتقاده بنجاح التعاون فى المستقبل. فاخذ يتوسع في شرح عقائده الدينية وتمسكه بها وتكلم عن كيفية أخذه نظرية التعاون من التعاليم الدينية وكيف تستمد العالم والجماعات حياتهما وقوتهما من الدين ولهذا السبب نشر فى العدد السادس والعشرين مذكرات خاصة بالكتاب قدس. وكتب في العدد الذي يليه نظرة خاصة بالكنائس

نود الكلام هنا على مباحثه الاولى الخاصة بشرح العهدين(١) القديم والجديد ووضعها فى قالب اجتماعى مألوف لانه كثيراً ما أعيد طبع هذا الشرح فى انجلترا وفرانسا والمانيا وفى غيرها من الامم الراقية. ولقد جعل هذا الشرح للدكتور كنج مكانة عالية ومركزاً رفيعاً بين نخبة المفكرين المصلحين. ولا شك فى انه كان من اكبر معضدى هؤلاء الافاضل (شارلس كنجسلى - دنيسون موريس - فانسيتارت نيل — توماس هيوج —

---

(١) العهد القديم هو توراة سيدنا موسى واما العهد الجديد فهو انجيل سيدنا عيسى عليهما السلام

ج . م . ليد لو) (٢) وفوق ذلك فهو الذى اوجد للتعاون البريطانى عددا كبيرا من الاعوان .

وطريقة كنج فى اثبات وجود رابطة بين روح الكتاب المقدس وعلى الاخص الانجيل وبين التعاون ظاهرة جلية فيما سيأتى . ولكن ليكن معلوما اننا لم نقتطف من المقالة الخاصة بهذا الكتاب المقدس الا ما يهم موضوعنا . قال .

« معروف لدى الجميع ان هناك سفرا اسمه التوراة وهو كتاب مقدس قديم يرجع وجوده الى عهد بعيد الامد ولقد احتوى على شىء كثير مناسب لروح عصرنا الحاضر . وهذا ما جعل بعض الناس يتطاولون ويتجاسرون على القول بان ليس هناك داع لأن ترسل رسل بكتب مقدسة لان ماجاء فيها كثير المشاهدة فى كتب الآداب والاجتماع . ولكن رغم مايقوله المتقولون فان هذا الكتاب جليل وجدير بالاحترام لمهارة ونبالة وعظم الروح التى تنبثق منه كسلسلة كواكب متألقة ضوءا . وهذا هو السبب الذى دفعنا الى ذكر

---

(٢) كان (موريس وكنجسلى) قسيسان واما الاخرون فكانوا محامين . وقد سموا انفسهم جميعا بالاشتراكيين الكاثوليكيين فجاهدوا فى مكافحة اعداء التعاون الذين ارادوا تلويثه بالاقاويل الكاذبة واهتموا بتعميم التعليم بين العمال وحاولوا التأثير على المشرع

ماجاء فى هذا الكتاب الشريف بخصوص التعاون . وليس فى كل ما احتواه هذا الكتاب المقدس الا روح واحدة متغلبة على جميع مافيه وهذه الروح هى « الاخذ بناصر الفقراء » وصار يتناقل هذه الروح السامية الاجيال بعضها لبعض لما اشتملت عليه من المتانة والدقة والحكمة .

وتكلم هذا الكتاب المقدس (التوراة) عن القرون الخالية التي وجدت قبل انقسام العالم الى طبقات شديدة التباين اى عن العصور التى كان فيها الجميع اسرة واحدة لا يميز فيها غنيها عن فقيرها بل كان الكل سواء . وهذه هى العصور الاولى . عصور تكوين العالم

— ٢ —

تشعبت الطبقات وتفاوتت المراتب وكبرت الاسر الى ان صارت امما ومع ذلك كله لم تنم الروح التى كونت واوجدت هذه الانظمة عن المناداة بحقوق الفقراء . فكلما ظهرت طبقة من الفقراء للعيان ولم يمكن تجنب فقرها وجب على المشرع حمايتها والدفاع عنها وبذل كل ما لديه من النفوذ لتخفيف وطأة آلامها اذ لن يرجع الاغنياء البخلاء عن غيهم وميلهم لتكديس الأموال ووضع ايديهم على جميع الاملاك الا اذا صدهم ووقف فى وجوههم قانون حاسم

ليدافع عن اموال واملاك شركات التعاون بوضع قوانين خاصة بها
(كتاب جوزيف كليتون — التعاون)

يمنعهم عن ابتلاع الاملاك الصغيرة «١» ولو تم ذلك لارتد هؤلاء الظلمة على اعقابهم مضطرين الى العدول عن تجريد صغار الملاك مما لديهم بالحيلة او الارهاب . وكذلك الطبقات المعدمة التى لا تملك

---

(١) نكتفى هنا بسرد اهم القوانين التى سنت فى بلاد مختلفة للدفاع عن اصحاب الاملاك الصغيرة اذ المجال ضيق لا يسمح لنا بشرح كل منها على حدته . وما على محبى الاستزادة الا الرجوع الى الكتب التى سنشير اليها : قانون ملك الاسرة او (هو مستد) ظهر فى تكساس بالولايات المتحدة سنة ١٨٣٩ (بيرو — الهومستد) او عدم امكان توقيع الحجز على الاملاك العقارية الصغيرة — ص ١١ الى ٣٠٠ طبعة سنة ١٨٩٥ وكذلك كتاب سيزان — الهومستد)

قانونا سنة ١٨٨٦ و ١٨٩٨ ظهرا فى بروسيا (جيد — الاقتصاد الاجتماعى ص ٥٦٩ من الطبعة الرابعة سنة ١٩١٢)

قانون سنة ١٨٦٤ الذى عدلته المادة (١٣٢) من القانون النظامى الصادر فى ١٨٨٤ فى رومانيا (جريجورسكو — السياسة الزراعية فى رومانيا — طبعة سنة ١٩١٢ ثم جورجسكو — الاصلاح الزراعى فى رومانيا — طبعة سنة ١٩٠٨)

قانون سنة ١٩٠٠ ظهر فى الهند (شايلى — الهند البريطانية — ص ٢٧٥ طبعة سنة ١٩١٠) . قانون اول اغسطس سنة ١٩٠٨

شيئاً والتي حياتها في قبضة الاغنياء ليس أمامها من معين على بؤسها غير المشرع. وهناك ثلاث شروط أساسية للوصول الى هـذه الغاية :

(١) المحافظة على ملك الغير بواسطة قوانين تحـدد عقوبة للمتعدين عليها

(٢) عدم اباحة بيع الاملاك الصغيرة

(٣) حقوق الفقراء (١)

الخاص بالدفاع عن الاملاك الصـغيرة وتجزئة الاراضي في انجلترا (جيد — الاقتصاد الاجتماعي السابق الذكر)

قانون ١٢ يوليو سـنة ١٩٠٩ الصادر في فرانسا للـدفاع عن الاملاك الصغيرة (بيرو — دروس في الاقتصاد السياسي — ص ٢٦٢ من الجزء الثـاني ثم اناتول وبر في كتابه — مقدمـة لدرس التبصر — ص ٤٥٥ طبعة سنة ١٩١١)

قانون الخمسة الافدنة المصري الصادر في أول مارس سنة ١٩١٣ (شرح قمحه بك ثم كتاب حسين على الرفاعي — المسألة الاقتصادية الزراعية في مصر — ص ١٧٤ طبعة سنة ١٩١٩)

(١) اهتمت فرانسا منذ عهد بعيد بأمر البائسين فسنت لهم قانونا في (٧ فريمير السنة الخامسة) سمته قانون حق الفقراء. ورغم ما

فلو وجدت قوانين تخول لهذه الفئة البائسة حقا دائما للالتجاء لى الجمعيات الخيرية لقل الشقاء والاشقياء وزاد الرخاء واستتب الامن . ولكن لا تسود السعادة فى أمة الا بنسبة احترام هذا الحق الدائم »

— ٣ —

ولو ان الدكتور كنج تكلم فى العدد السادس والعشرين من

أدخل على هذا القانون من التغيير والتعديل فان جوهره ثابت على أصله وخلاصته تحصيل ضريبة قدرها العشر عن كل تذكرة تباع للدخول فى التياترات وما شابهها من الملاهى أو الربع عن ثمن كل تذكرة توزع للدخول فى محال الرقص العمومية أو الحفلات التى تقام فى الاعياد وكذلك كل جزء من عشرين من ثمن تذاكر الدخول فى المجتمعات الموسيقية الغير المستديمة.

وقد يرجع تاريخ ظهور هذا الحق الى أمر أصدره شارل الرابع فى ابريل سنة ١٤٠٧ أى قبل ثورة سنة ١٧٨٩ بعهد بعيد

(كتاب ه . بارتلمى ـ القانون الادارى ـ ص ٨٤٦ من طبعة سنة ١٩١٣ ثم كتاب موريس هوريو ـ القانون الاداري ـ ص ٧٥٣ من طبعة سنة ١٩٠٧)

مجلته على العهد القديم وأعقبه بشرح رابطة التعاون بالعهد الجديد الا انه عاد الى الكلام على العهد القديم فى العدد السابع والعشرين من مجلته الذى ظهر فى أول يوليه سنة ١٨٣٠ وقال :

أردنا بكلامنا على التوراة الافصاح عن الجزء المعروف فيه بالعهد القديم ولكن قد أضيف الى هذا الجزء قسم آخر معروف الآن بالعهد الجديد وهو يشمل أمورا هامة عظيمة .

وكلا العهدين يهتم بأمر الفقراء . وهما متشابهان بوجه عام في مقاصدهما الا ان العهد القديم يأمر بالمحافظة على الفقراء من غوائل الاغنياء بينما يعتبرهم العهد الجديد أقدر الناس على التعليم والتهذيب. فالعهد القديم يصور لنا الفقراء ضعفاء يرثى لحالهم ولذلك أوصى الرأفة والرفق بهم ولكن العهد الجديد رفعهم على الاعناق ومجدهم لما يعتقده فيهم من جميل الصفات وحميد الخصال . وهو يؤهلهم الى أعلي درجات الكمال والمجد

لم ينشأ الانجيل فى قصر ولم يكن صنع ملك أو تصنيف أمير أو ارشادات عظيم بل كان مهده كوخ عامل ولم تظهر بشائره - رغم ما صادفها من العراقيل - الا فى أصغر الطبقات وأفقرها. وغاية الانجيل هى الاهتمام بأمر الفقراء لانه جاء من أجلهم بالمعجزات . ولقد وجه اليهم أدق التعاليم لثقته بقدرتهم على فهمها ووعدهم خيرا وهناءة وسعادة

أخذ الانجيل بناصر الفقراء ونشلهم من الهاوية وجعل منهم ملوكا وأمراء اذ وجدهم بائسين فأسعدهم. وضعفاء فقواهم. ومحتقرين فكرمهم. ومهملين فاعتبرهم أولادا للاله. وأما من توفى منهم فقد خلدت أرواحهم فى السماء. فغاية الانجيل المجيد (وجميع الكتب الدينية على اختلاف أنواعها) اصلاح العالم (بالطرق السلمية) وتقويم ما اعوج منه. ولولا ذلك لانقطع كل أمل فى تحسين الكون وتطهيره من نقائصه وفظائعه. فالفضل يرجع الى هذه الكتب المقدسة فى جعل هذا المبدأ أساس العمران. وأما اذا اندثر فستذهب كل آمالنا فى التقدم أدراج الرياح.

الانجيل قانون الهى عظيم زاد أملنا فى تقدم العلوم والانسانية بين جميع الطبقات وعلى الاخص الفقراء. ولقد تغافل الناس عن هذه المزايا السامية مدة طويلة ولكن الفضل فى اظهارها للفقراء اذ وضع هذا الكتاب المقدس بينهم فتعلموه وعلموه لغيرهم. ودافعوا وكافحوا عنه وحافظوا عليه بدمائهم اعترافاً بفضله. ومع ان الاغنياء لم ينالهم هذا الشرف فانه آل الامر الى أن صاروا والعلماء هم المحافظين على كتاب الفقراء وأفضت شروحهم التى وضعوها دفاعاً عن هذا الكتاب المقدس الى انه لم يبق فى هذه الدنيا للفقراء الا الفاقة والجهل وما ينتج عنهما من سوء وشقاء

ان هذه الاحوال والاعمال مخالفة للتعاليم الدينية التى أمرت

بوضع حد لهذا الظلم بتخفيف فظاعة وقسوة الجشع . والقضاء على أثرة الاغنياء . وابادة الجبابرة . والاعتراف بحقوق المغلوبين على أمرهم والبائسين العزل من وسائل الدفاع . ومهما ارتفعت درجة الانسان وعظمت مقدرته فلا بد أن يضع نصب عينه هذه الامور الثلاثة الجوهرية :

(١) أن مرجعه الى التراب فيصير رمادا تذريه الرياح وتطأه الاقدام

(٢) وأنه مسؤول عما قدمته يداه

(٣) وأن الرجل الصغير المقام الحسن الخلق أفضل من أكبر عظيم متلبس بالرذائل

ولقد كان أهل العصور الاولى قريبين — بوجه عام — فى معيشتهم ومعاملاتهم وسيرهم من نظام التعاون لدرجة انهم حققوه فى عدة مواقف . اذ تعاونهم فى الاعمال ورفضهم مساعدة من تعمد البطالة والكسل والانقطاع عن الاعمال التى كلف بها بلا عذر شرعى وكذلك اعداد كل ما يلزم لمساعدة المعوزين منهم لما يعزز قولنا السابق . وأما (الاسينيان) (١) فكانوا

---

(١) الاسينيان والفاريزيان والسادسيان ثلاث مذاهب كانت موجودة فى عهد المسيح عليه السلام وكان هناك نوعان

يسيرون على نظام اشبه بنظام التعاون . واستمروا متمسكين بافكارهم عدة أجيال ولكنهم غابوا عن الانظار واندثروا

من الاسينيان حسبما قاله الفيلسوف (فيلون) وهما العمليون (Practicii) الذين كانوا يعيشون جماعة . والنظريون (Théoricii) الذين كانوا لا يجتمعون الا فى أوقات العبادة ويسمونهم أيضاً بالترابيتون (Therapeutes) وكان هذا النوع الاخير (النظريون) كثير العدد فى مصر . وأما حقيقة نشأة هذا المذهب (الاسينيان) فمجهولة وانما المظنون ظهوره في عهد استيلاء السوريين على فلسطين وذلك لان عددا عظيما من يهود هذه الجهة أبوا الخضوع للحكومة الاجنبية القاهرة وهاجروا من بلادهم ومالوا الي العزلة فاختاروا لهم مقرا بعيداً نظموا فيه نواميس وقواعد مناسبة لحالتهم وموافقة لمبادئهم للسير بمقتضاها . ومن حاد عنها فعقابه الفصل عنهم . وكانوا يعيشون معا من اعمالهم الزراعية وبعض الاعمال الصناعية الضرورية مع تحريمهم التجارة والملاحة وحضهم على عدم استخدام الارقاء (العبيد) كل ذلك مع احتقارهم للاثراء . وكانوا يرتدون الملابس البيضاء متواضعين في معاملاتهم وخطاباتهم نابذين الغضب والكذب ويحرمون القسم (حلف اليمين)

عقب حركة قومية أو ثورة سياسية — على ما يظهر — ويعزي زوالهم وانقراضهم لعدم كفاءتهم وشدة جهلهم بالامور الفنية والاحوال الاقتصادية وزيادة على ذلك تسرب الخرافات والوساوس الى عقائدهم فكان لها تأثير سيء فى انظمتهم

بنى التعاون على العمل . والعمل اساس الثروة ولكن لا يتم العمل بلا علم ولذلك يسعى انصار التعاون في نشر التعليم

وكانوا لايهتمون بالعلوم البشرية لاعتقادهم عدم ضروريتها لمن اتصف بالفضائل وانما كانوا يدرسون الآداب . ولو انهم كانوا يرفضون الزواج الا انهم كانوا يربون ابناء غيرهم . ولقد تمادت هذه الطائفة في شدة تمسكها بالخرافات واسناد كل الحوادث الى القضاء والقدر

وبلغ عدد هـذه الطائفة نحو الاربعة آلاف نفس عندما استولى (تيتس) على القدس وربما اختفي أثرهم منذ هذا العهد لانه لم يسمع عنهم بعد

(القاموس المصور ودائرة المعارف العمومية وضع — دبنى ده فوربيير كلمة اسينيان من الجزء الاول طبعة سنة ١٨٧٥ ثم قاموس الاقتصاد السياسى وضع — كوكلان وجيومان — كلمة الشيوع من الجزء الاول طبعة سنة ١٨٥٢)

بين طبقات العمال التي لا تقل قوتهم العقلية عن غيرهم . فالتعاون يرشد العمال ويشير عليهم بمثل ما جاء في تعاليم دياناتهم . فوجه الانجيل نظرهم الى معرفة قيمة انفسهم فى هذه الحياة الدنيا . ونبههم التعاون الي تحسين وتنظيم حياتهم والجد لما فيه خير لهم

— ٤ —

لا ينجح التعاون مع الغايات السافلة الحقيرة ولا مع الاغراض الطائشة ولا مع مبادىء تبديد الاموال وتضيع الاوقات سدى ولا مع المآرب البهيمية ولا مع هضم حقوق الغير بالتعدي عليها ولا مع المكائد السيئة والدسائس الخبيثه الناشئة عن انحطاط في النفس ونقص فى الاخلاق وقلة التعليم . ولا حاجة للقول بان موقف الانجيل (أو غيره من الكتب المقدسة للديانات المختلفة) ازاء هذه النقائص هو عين موقف التعاون . وان ما يعرقل نجاح روح الكتب المقدسة أو التعاون هو حب الاثرة الموجود عند بعض الطبقات

فالانجيل والتعاون شاملان مبدأين عظيمين وجدا فى العالم فى ازمان مختلفة وفي حكومات متباينة . ولا ريب فى ان روحهما مضادة لما هو منتشر بين العالم من الرذائل وان كلا منهما وجد

اتباعا وانصارا الا ان كلا منهما يلاقى صعوبات خاصة به يحتم عليه اجتيازها لنشر مبادئها الشريفة وبثها فى الناس بوسائل مقبولة معقولة سهلة رقيقة راقية

ولقد كان واضع الانجيل شديد اليقظة بعيد النظر لانه لم يضع للعالم نظاما نهائيا غير قابل التعديل لعلمه بتقلب الانسان الذى يجعل الانظمة الثابتة أمرا يهدعين والقرارات النهائية وهمية وهدفا للتغيير بتطورات خلقه . وجميع الانظمة عرضة للتغيير لما يطرأ على العالم من الاصلاح والاتقان ولكن هذا لايمنع من ان تكون الروح الجوهرية ثابتة لايزعزعها الدهر . ويشف الانجيل عن روح عالية وهى « الرأفة » التى سري مفعولها فى جميع الانظمة التى تزداد أهميتها بانتشار درجة هـذه الروح الطاهرة فيها . وهذه الروح هى التى شجعت وقوت — فى الواقع — التعاون على الدأب وراء تنفيذ مبادئه للاسباب الآتية :

(١) لانها « روح الرأفة » تسعي في تخفيف وطأة البوءس الذى يصلى بناره كثير من طبقات العمال

(٢) ولانهـا تعرف حقيقة قيمة العمل وقابلية قوى العمال العقلية للاصلاح

(٣) ولانها تعتقد في مساعدة الآلات الحـديثة للعمال اذا حسنت ادارتها

ولـكن لا فائدة في كل ذلك مالم ينتظم العمال في أحوالهم

ويسد بينهم الصفاء والاخاء والمودة والاخلاص . واذا تم ذلك حصلوا على السعادة وتخلصوا من العبودية والاضطهاد

حقيقة أن كثيرا من المحسنين سعى جهده لمساعدة هذه الطبقات البائسة ولكن لم يهتم أحدهم بتفهيم العمال أنهم أقدر الناس على العمل . وسيعود هذا العمل بالنجاح والفلاح في المستقبل اذا اتبعوا الخطة القويمة خطة التعاون القديمة الوجود الحديثة الظهور والمحتاجة الى شيء من التجارب. ومتى نجحت التجربة الاولى فليس من العسير اتقانها لتصل الى درجة الكمال ولينتفع العالم بفضائلها انتفاعا فعليا .

— ٥ —

لم نقصد من مقارنتنا النظام المقدس بنظام آدمي عدم احترام الدين وكتبه الشريفة ولا اظهار التعاون كمبدأ جديد يحاكى المبادىء الآلهية ولكن غرضنا الوحيد اقامة الحجة على أن ما جاء به الانجيل المقدس في هذا الشأن معزز لفكرتنا الاصلاحية التى ننشدها. ولاشك فى أن روح التعاون موجودة من قديم الزمن في جميع الكتب الدينية ولكنها بقيت مهملة حتى عهد قريب

ولقد خيل للبعض القدرة على وضع كتاب مقدس جديد

أساسه التعاون لعدم وضوح الانجيل - على زعمهم الفاسد - في هذا الموضوع . ولكن هذا الاعتقاد وهمي صوري لا فائدة منه الا تضليل انصار التعاون وابعاد الناس عنه . أما هذه الروح المشكوك في وجودها في هذا الكتاب المقدس فليست معدومة منه بل هي واضحة ظاهرة وانما تغيب عن قصيري النظر قليلي الادراك وبما أننا نعتقد تمام الاعتقاد بعلو مبادئ الكتب المقدسة لذلك نرى من الصواب اقتطاف هذه التعاليم السامية ووضعها في قالب حديث مناسب لعصرنا الحاضر - هذا اذا كان العصر الذي نعيش فيه يسمح لنا باستعمال طرق جديدة لتحسين حال الانسان — يضمن سعادة ورغد عيش الفقراء ولو ان هناك طائفة من الناس ناقمة على مثل هذه الانظمة لانها تردعهم عن التمادي في غلوائهم

وليس هناك افضل من المباديء الحاضة على « مزج روح الانجيل — وغيره من الكتب المقدسة للديانات المختلفة — بروح المدنية الحديثة » والتي تهتم بامر الفقراء وتسعى جهدها في ان يكون لهم وجود في الهيئة الاجتماعية كما يضمن لهم نفس الانجيل مكانا خاصا في السماء ، ولقد حان الوقت الذي ستكون فيه نظريات الفضيلة والسعادة والدين غير كافية وحدها لحوائج الانسان اذ لا بد من قرنها بالافعال بمعنى ان يكون الرجل النظري عمليا ايضا . ولم يكن رسول الكاثوليكية نظريا بسيطا بل كان يعيش بين العامة من الناس ليجهد نفسه في تعليمهم وارشادهم

وشهد منه ذلك معاصروه فعرفوا علو اخلاقه التي كانت تؤثر فيهم تأثيرا حميدا(١) ولا بد ان تصير يوما ما اخلاق تلاميذه عالية تشابه صفات مرشدهم وهاديهم الصالح . وان تكون معيشتهم واعمالهم نموذجا لغيرهم . وان يتركوا لخلفهم أثراً حياً وذكرى طيبة

لا نحاول فيما نقول مستحيلا لاننا نشاهد فى كل مكان وزمان رجالا ذوى أخلاق نبيلة يضحون باموالهم ولا يضنون بذكائهم ووقتهم لتعليم واصلاح حال الوسط الذى يعيشون فيه . ولقد بذلوا فى هذه التجارب زمنا طويلا ولا ينتظرون منها منفعة الجماعة الا تدريجا بنسبة درجة مثابرتهم على هذا الجهاد السلمى وبما أن هؤلاء الكرام أحسنوا على من كان متروكا منزويا في عالم النسيان فالبطبع يهتدون ضمنا بما فيه خير الهيئة الاجتماعة باكملها

ان الذين خطوا الخطوة الاولى سعداء . والذين أمكنهم افادة من حولهم بمعلوماتهم سعداء . ولكن اسعد من هذا وذاك من وفقوا الى اقامة البينة على أن هذه الاعمال الاصلاحية ممزوجة بروح طاهرة . وهذه الروح هى التى ستقودنا بنجاح باهر الى التعاون .

---

(١) وللنبى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مواقف مشهورة عديدة فى هذا المعنى

الفصل التاسع

أجوبة الدكتور كنج على اعتراضات خصومه

ردود كنج على اعتراضات خصومه قابلة لان تكون أوجه الدفاع عن التعاون فى الوقت الحاضر ـ التعاون مطفئ لهيب الثورة ـ يعجز البعض عن التعاون لقلة شرفهم فى المعاملة ولتفضيلهم فائدتهم الشخصية عن فائدة الجماعة — اذا كانت الارواح كلها خالدة فلماذا يسعد البعض ويشقى الآخرون .

— ١ —

أجاب الدكتور كنج على خصوم التعاون اجابة حاسمة فى العدد الرابع والعشرين من مجلته فدحض اعتراضاتهم بحججه القاطعة وأدلته الدقيقة المقنعة . وكل من قرأ براهينه التى نشرها فى ذلك الوقت تعزيزا لنظريته وتفنيدا لاقاويل خصوم فكرته يظن انها

كتبت فى عصرنا الحاضر دفاعا عن هذه القضية واليك موجز ما قاله :

« التعاون نافع لجميع الطبقات لانه أقوى مساعد على سعادة الهيئة الاجتماعية اذ بفضله تقل الفاقة وتخف وطأة التعس فيندر الاشقياء ويهبط عدد الجرائم . ولكن يوجد نفر من الناس لا يوافقون على ما يعرض عليهم من الاصلاحات النافعة بل يرغبون دائما فى نقدها وبخسها حقها والحط من قيمتها . حقيقة ان للنقد الصادق الخالى عن الاغراض خواص جليلة الا ان الفئة السابقة الذكر لا ترضى عن شئ لانهم دائما حانقون حاقدون على كل ما يأتى به الغير من الاعمال النافعة . فهم ساخطون على الجرائم وغير راضين عن اصلاح طرق قمعها . ناقمون على الفقراء ومتحاملون على العمال الذين يتوصلون بجدهم وكدهم الى التخلص من ذل العوز . يكرهون الجهل ويثبطون همم من يسعى فى نشر التعليم . فهم كمن يتوجع لغريق ويأبى على الناس انقاذه .

— ٢ —

يزعم أصحاب الغايات الدنيئة ان التعاون :

(١) موجد روح الثورة فى نفوس الفقراء

(٢) ومثير لغضب الفقراء ضد الاغنياء

(٣) ومحرض على التزمر ضد الملكية الفردية بزعم عدم شرعيتها

(٤) وملقي مسئولية شقاء العمال على عواتق أصحاب الاموال الطائلة

ولكن الحقيقة غير ذلك لان التعاون لا يحض على شيء خلاف المحبة والاخاء والمروءة والوفاء

يعترض البعض على التعاون لزعمهم انه مولد للثورة ويحاربه البعض الآخر لاعتقادهم انه مطفئ نيران الثورة. الاعتراض الاخير صحيح الا انه لنا لا علينا ومعزز اقضيتنا . حقيقة اذا انتظم العمال أمكنهم تهذيب أخلاقهم وترقية عقولهم فيتسنى لهم اقتناء أملاك تقيهم شر الجوع وألم الفقر وتغنيهم عن الشغب والثوران . واذا صح ما تقوم — وهذا مما لا شك فيه — فلا يمكن أن يكون التعاون مخمدا للثورة ومحرضا عليها في آن واحد اذ وجود أحدهما ينفي الآخر . وليس في دعوة التعاون الى الاتحاد ميل لاثارة الفقراء ضد الاغنياء . ولا العمال ضد أصحاب المعامل . وانما يسعى التعاون في نشر المبدأ النبيل القائل بانه « اذا كان ولا بد للانسان من العمل فليكن وجهة عمله اصلاح حاله من غير الاضرار بالغير » ولو عمل كل فرد لاصلاح شأنه لعاش الجميع في هناءة والهيئة الاجتماعية في رخاء . ولم ينتقل الانسان من حالة الهمجية الاولى الى المدنية الا بفضل هذا الاصلاح .

ونحن على يقين من ان هذا المبدأ الحكيم سينقذ العالم من مخالب الفقر ويقوده الى السعادة المؤسسة دعائمها على التعاون .

فلو كان تقدم الانسان ورقيه وتنوره مربوطا مقيدا بحد لا يصح له أن يتعداه لما تمكن حتى الساعة من الانتقال من عالم الوحشية الى حضارة اليوم.. وكيف نعترف بوجود هذا الحد أو القيد مع ان العلوم والفنون وغيرها سائرة فى طريق التقدم والانتشار .

ولا يمكن أن يكون غرض التعاون الاعتداء على أملاك الغير :

(١) لانه اذا فعل ذلك يكون عرضة لمثل هذا الاعتداء

(٢) وهذا الاعتداء لا يتفق مع مبادىء الاصلاح

ولقد ظهر لنا ان أملاك التعاون تزداد ازديادا عظيما وبنسبة أكثر مما كان ينتظر وهذا أكبر دليل على ان العمال أكفاء وسينتصرون فى نضالهم اذا جمعوا شملهم ووحدوا كلمتهم. وليس الخوف من ان العمال غير قادرين على كسب معاشهم بل من ان هناك عددا كبيرا منهم لا ينتجون شيئا مع انهم يستهلكون كميات كبيرة مما ينتجه الغير وهذا نقص ومخالفة لنظام التعاون الذى يحارب بكل قواه البطالة والكسل والجرم والرذيلة والبؤس

ولا يقوم العمال فى تعاونهم على مكافحة نقائص الهيئة الاجتماعية بأكثر مما قام به الاغنياء من قبل ولو ان كلا منهما استعمل طريقة غير التى اتخذها الآخر للوصول الى نفس الغاية . فهما متحدان

متفقان فى الجوهر وبما أنهما يسعيان لمقصد واحد شريف فلا يليق بالاغنياء مقاومة العمال

واذا نجح التعاون فى مسعاه فسيصير لانصاره أملاك كغيرهم ومتى تم لهم ذلك يصعب على الغاصبين الظالمين الحكم والتحكم فى ارواحهم ولا يليق اعتبار السعى الشريف وراء اقتناء الاملاك جرماً مادام ذلك يجلب عزة واحتراماً . ولذلك نكرر أن رغبة الحصول على الاملاك بالطرق المشروعة العادلة من أشد المبادىء معاداة للثورة

شعار الثورة التدمير والهمجية والتخريب أما مبادىء التعاون التعمير والتشييد . الثورة هادمة مبددة قاسية تريد الحصد من غير بذر . والتعاون مصلح مسعد مجد يريد البذر للحصد . الثورة عمياء تخبط خبط عشواء وقلما تنتج خيرا . التعاون يقظ واعظ مفكر عامل على انتشال انصاره من هوة البؤس .

— ٣ —

يلوم البعض من يعملون جماعة لما فيه خير لهم على زعم انهم يسيئون الى تعاليم الانجيل الشريف . ولقد قال بعضهم «لا غرابة اذا لوحظ على الانسان مناقضته لنفسه بنفسه » واكثر الناس خبرة

بامور الدنيا يحبذون هذا الرأى لان قليل المعرفة مملوء الذهن بهذه المناقضات التى لا يمكن تطهيره تول اصحابها منها الا اذا عمد أهل العلم والفضل على محوها بقوة تأثيرهم فيتسنى للاجيال المقبلة المعيشة فى وسط طاهر خالى من الاوجاس والنقائص

كل من يرمى التعاون بالالحاد والخروج عن التعاليم الدينية لشذوذ عقيدة بعض انصاره انه لمفتر أثيم مكابر هادم للحقيقة. ولو اتبعت هذه الخطة الخرقاء فى فحص المشاريع ونقدها الحكم على جميعها بعدم الصلاحية والنقص لانه لايخلو مجتمع من أمثال هؤلاء الشاذين . فاذا حورب مبدؤنا الصادق الصادر عن خبرة ودراية لشذوذ بعض انصارنا فى آرائهم الشخصية التى لا علاقة لها بغايتنا التى نسعى لتحقيقها كان ذلك شراً من الجنون . وكثيراً ما كنا عرضة لمثل هذه الانتقادات الغريبة

اذا كان هناك نظام لايعمل ضد الدين . نظام يميل لنشر الاداب ويحض على عمل الخير للدنيا والاخرة . نظام يلزم انصاره البعد عن الهواجس والاوهام . ويوصى بالمحبة والاخاء والاخلاص والشفقة بالغير فهذا النظام هو التعاون .

ويقول البعض ان التعاون هو خيالى لايمكن تحقيقه عمليا وانه فوق ذلك مخالف للدين . ولكن هذا كلام معناه ان ليس للمعترضين عقول . وما سبب عجز البعض عن النجاح فى التعاون الا كونهم

عديمى الشرف فى المعاملة ولا يحبون مصلحة غيرهم بل متطلعين دائما لفائدتهم الشخصية التى تعميهم عن واجبهم نحو الجماعة . ومثل هؤلاء الناس لم تطهر قلوبهم من النقائص وضمائرهم من الدنايا ولذلك لم يوفقهم الله الى التعاون .

— ٤ —

اقبال الناس على المبادىء الخالية عن الفائدة بدلا من النافعة منها وارتيابهم فى صلاح الانظمة الالهية وعدم توفيقهم لحب خالقهم والاعتراف بقوته وحكمته سبب ميلهم عن التعاون وعدم نشر مبادئه بأخلاص كاخلاص الانبياء عند نشرهم تعاليم للاله

الارواح خالدة والاجسام فانية . وبما ان هذا الخلود لا يشمل العلماء وكبار الرجال والاغنياء وحدهم بل والفقراء والمضطهدين والمثقلة كواهلهم باعباء الدنيا ومصائبها والعمال فلماذا يرفض البعض الاعتراف بان ارواح هذا الفريق الاخير مقدسة ولها استعداد للتقدم وقابلية للرقى كغيرها؟ ولما لا يشجع العامل فى حياته العملية الدنيوية لتسعد روحه فى الاخرة ؟ ولماذا يتمادى المجحفون فى ظلمهم العمال وجعلهم هدفا لكل حادث اليم وتعريضهم لكل كارثة جسيمة واتخاذهم آلة فى ايديهم يحركونهم حسبما تمليه عليهم ضمائرهم فيذهبون ضحية الاغراض السافلة .

يجب على اهل عصرنا الحاضر ان يطلعوا العمال على هذه الخبايا ليعرفوهم كيف كانت تلعب النفوس الدنيئة بعدد كبير من الشهداء الابرياء غير مفكرة بان سوء فعالها يضر بالهيئة الاجتماعية كلها. فهل ترضى الاجيال المقبلة الاستمرار على الخضوع لهذه الفظائع الشنعاء ؟ كلا . اذ حان الوقت المناسب للعمل على صدهذه الغارات القتالة بقوة العلم والاخلاق والاتحاد والتعاون على البر والتقوى . ولقد كانت الطرق المستعملة قديما كافية لكبح جماح الظالمين اذ كانت اعمالهم مصحوبة بالحروب وارهاق الدماء والبؤس والجرم . وبما ان هذه الاسباب مجلبة لهذه النتائج فلا بد لها من الزوال لانه لا يليق بالانسانية ان تبقى الارض ميدانا للقتال أو مسرحا للمناظرات الشخصية الملوثة بالدماء ولذلك يجب ايقاف هذه الحركات المثيرة للعواطف عند حدها لتطمئن النفوس وتهدأ الارواح فتوجه قواها الى اعمال اخرى شريفة مفيدة للجميع

ولا يصح ان يجر الطمع الناس الى القيام بما فيه ضرر الغير بل يجب ان يضعوا نصب اعينهم « عمل الخير حبا فى سعادة الغير لا رغبة فى الشهرة » ولا بد من تعليم الفقراء وتعريفهم ان العلم افضل من الجهل . والفضيلة ابقى واغلى من الاحجار الثمينة وان مصالحهم مرتبطة بمصالح غيرهم وان قوتهم متوقفة على قوة زملائهم وباشتراكهم مع امثالهم يتولد الاتحاد . ومن هذا الاتحاد يؤسس التعاون

الفصل العاشر

رسائل الدكتور كنج لبتمان

الرسالة الاولي — الرسالة الثانية

الرسالة الثالثة — الرسالة الرابعة

— ١ —

لم يسمع منذ سنة ١٨٣٠ لكنج صوتاً فى حركة التعاون ولم يظهر اسمه فى كتب التعاون ولا فى مؤتمراته حتى سنة ١٨٦٠ عندما نشر (بتمان) على صفحات مجلته — التى ظهرت فى ١٨٦٤ و ١٨٦٥ — الرسائل التى وصلته من كنج . فكتب هذا الاخير لبتمان عقب تسلمه آخر أعداد مجلته ما يأتى :

« سيدى لقد نالنى الشرف بتسلمي هذه الاعداد وأنى شديد الفرح لسماعى بنجاح التعاون فى دوائر متعددة . وقد كنت فى أول

هده النهضة مجاهدا منفردا كمن يحاول تحقيق أحلامه ولكن حالة التعاون اليوم أحسن منها بالامس وقد حان الوقت الذى تطبق فيه مبادئ الاصلاح والعمران أى التعاون

ولابد أن يكون الشعب مجـدا مجتهداً شريفا مقتصدا متعلما وهذا هو الوقت الذى يجب أن تفتح فيـه أبواب المدارس الخاصة بالتعليم الاقتصادى وبث روح التعاون فى الشباب الناهض.
ولو نشر هذا التعليم النافع فى انحاء المعمورة لما بقى فيها فقـير واحد يموت جوعاً الان فى أرض الله فضاء للمأوى مايعادل عشرة امثال سكانها وان المال المبـدد الضـائع فى شن غارات الامم بعضها على بعض كاف لجعل جميع الناس سعداء اذا استخدم فى تحقيق مبادئ التعاون»

— ٢ —

كتب الدكتور كنج الى (بمان) فى ٦ فبراير سنة ١٨٦٤ بعد ظهور مقالة (هل) — التى سبق الكلام عليها — الخاصة بتاريخ حياته ما يأتى :

أنى شـديد الخجل لروءية اسمى فى مقدمة الناس بطريقة لم أتوقعها ولـكن اذا كان فى مثل هذا التعظيم تشجيع للغير فلا شك باننا سنصل الى غرضنا السامى . أما أنا فسأفارق الحياة وعما قريب سأكون فى عالم الاموات

وسيجد (المستر هل) فى آخر أعـداد مجلتى بعض عبارات

حاصة بضرورة تعليم وتهذيب طبقة العمال لان ذلك مساعد على تحقيق آمال التعاون . ولربما تضمن هذا الشرح الصغير بعض غلطات خاصة بما يتعلق بامور الوطن الاقتصادية وغيرها ولكن ذلك راجع الى ان حركة التعاون كانت فى نشأتها وانه كان ينظر الى حرية التبادل بعين السخط .

فالتعاون مفيد جدا غير انه ضد تكديس الاموال المغتصبة من العمال الفقراء ولذلك سيلاقى فى سيره عقبات شتى »

— ٣ —

نشر (بتمان) فى العدد السابع والخمسين الذى ظهر فى نوفمبر سنة ١٨٦٤ خطاب الدكتور كنج الآتى:

« أنه لما تنشرح له الصدور مشاهدة اتساع نطاق الاصلاح المؤسس على التعاون. ولقد وقف الناس فى جميع الازمان ضد كل اصلاح أساسه الثورة . ويحق لنا الفرح والسرور لتمكننا من القيام بالطرق السلمية بمثل هذا الاصلاح الذى سيتسع نطاقه فى جميع الارجاء. وهذه هى عقيدتى. ولا يخفى على كل عاقل أن الرسل لم تبعث الا لاصلاح شأن الشعوب ولكن لا يمكن ظهور تأثير تعاليمهم الراقية الا بعد زمن طويل

وسيوفق العالم الى انشاء مدارس خاصة بتعليم وتعميم مبادئ الاقتصاد والتعاون فيتسنى للعمال التهذب والتعلم ولكن لا بد لهم من معرفة شيء عن زراعة الحدائق ومبادىء الفنون الجميلة النافعة كل ذلك مع عدم اهمالهم الالعاب الرياضية المفيدة للصحة

وسيخرج لنا هذا النظام التعاونى رجالا نوابغ مثل (هل) فى البريد و (ستيفنسن فى السكك الحديدية) و (واب) فى التجارة وسيسخط العالم الجديد على ما قامت به الاجيال الماضية من الحروب. فالمستقبل للسلام . وسعيد كل من اعد لذلك عدته . وسعيد كل من وفق للاشتراك فى تعضيده . وعما قريب سأكون فى العالم الخالدة فية الارواح والذى لا يتخلله حزن ولا عويل ولا الم »

— ٤ —

كان آخر كتاب كتبه الدكتور كنج الى بتمان مؤرخا ٢٤ يوليو سنة ١٨٦٥ اى قبل مماته ببعض اسابيع واليك نصه :

« اشكرك على ارسال اعداد مجلتك عن شهرى يونيه ويوليه . ولك الفضل لما ارسلته معها من المنشورات التى فى غاية البلاغة والحكمة. ولنا الحق فى الفرح والابتهاج لما وصلت اليه حالة التعاون من الثبات والانتشار ولكن لا يمكن ان يكون نجاح جميع شركات التعاون

بدرجة واحدة لانه يصعب اتقان نظام كل منها من اول مرة وانما ادينا براهين قاطعة على ان ذلك غير مستحيل على مر الايام

فالتعاون ليس بنظام مقتضب كما كان يؤكد ذلك (اون) بل هو مؤيد المبادىء الاقتصادية ومساعد على العمل لمصلحة كل من اراد الاتحاد . وستنتشر مبادىء المحبة والاخلاص اينما وجد التعاون . وهذه المبادىء لاتخالف التعليمات السماوية فى شىء قط

وظهر التعاون فى بادىء الامر بشكل المحبة الاخوية فكان ناقصا لعدم وفرة المعلومات الاقتصادية وعدم الميل الى العمل ولكن بما اننا عرفنا الآن اسباب هذا النقص فليس لدينا مساعد على نجاح التعاون غير الشعائر الدينية الصحيحة غير المشوهة . وانى كثير الامل فى الوصول الى ضالتنا المنشودة فتزداد قوى وطننا العزيز ويصير فى مقدمة الشعوب الراقية

ولما نزل الرومان بشواطىء انجلترا اعتبروا هذه الجزيرة كأكبر واغنى حقل (١) للقمح واحسن مرعى للاغنام . ولقد وصفها

---

(١) زادت صادرات حبوب انجلترا بين سنتى ١٦٧٧ و ١٧٦٤ عن وارداتها ٣٣ مليونا من الارباع (Quarters) وأما بين سنتى ١٧٦٥ و ١٨١٤ فقد زادت واردتها عن صادراتها ٣١ مليونا من الارباع فكانت تصدر انجلترا حتى سنة ١٧٦٥ محصولات زراعية كبيرة ولكن

اخيرا احد المؤرخين العصريين — سيسموندي — بانها اسعد البلاد مناخا وتربة وحكومة وانظمةالتي من ضمنها نظام التعاون .

ولقد اشتد على الالم فى هذا الربيع بسبب مرض ان لم يكن عضالا فهو خطر . وقد ناهزت الثمانين وحالتى مقلقة . وقبل الختام اعرفك بانه وصلنى اخيرا رسالة (المستر بير) اول معضد للتعاون فى دبلين »

لما اضمحلت زراعتهاظهر عدم امكانها انتاج قوت أهلها . وهى تستهلك الآن ٨٥ مليونا من الهكتولترات من القمح ولا تنتج الا ما بين ١٩ و ٢٣ مليونا وتستعين على سد ثغرة عجزها بمحصولات غيرها من الامم . فكانت انجلترا زراعية ثم تحولت شيئا فشيئا الى بلاد صناعية بفضل ما لديها من الفحم والحديد والاسطول . ولولا هذه المميزات لهلكت جوعا اذا حاصرتها أمة أخرى . فحياتها موقوفة على قوة اسطولها وهو أكبر مظهر من مظاهر القوة الفانية

(المستر اشلى — الجريدة الاقتصادية — عدد مارس سنة ١٩١٧ . جورج برى — تاريخ انجلترا الصناعى والاقتصادى — ص ٦٥٤ طبعة سنة ١٩٠٠ . جل سيمون — العاملة — ص ٩٤ من الطبعة السادسة سنة ١٨٦٧)

خاتمة الكتاب

نظرة تاريخية عن نهضة التعاون فى مصر

الحياة هى العمل والعمل فى يد العمال — أول مجهود لنشر التعاون فى مصر — التشريع التعاونى المصرى — حالة التعاون فى مصر وما وصلت اليه حتى الساعة — ادارة التعاون التابعة للحكومة المصرية

— ١ —

أول اشارة يبديها الطفل عند ولادته هى البكاء . دلالة ندمه على الماضى الذى لا يعود . وارتيابه من الحاضر كثير الوعود . وخوفه من المستقبل عديم الحدود . يولد الطفل خاوى الوفاض . بادي الانقاض . لا يملك فتيلا . ولا شروى نقيراً .

أ بكما جاهـلا لا يدري من عالم الوجود شـيئا . ولا يفقه لمـا يسمعه معنى . فهو قطعة لحم هبطت الي الارض ليحولها الوسط الذى تنزل فيه الي تركيب طيب صـالح نافع أو الى جرثومـة شر وفساد

وتتفاوت درجات هذه المخـلوقات الطاهرة من أول لحظـة في حياتها بتفاوت مراتب الاسر التى تولد فيها . فمن ولد منهـم في أسرة مثرية منعمة بمظاهر الحياة الدنيوية لف في الزخارف وارتدى الحرائر . ونام فى الاسرة المزينة ببـدائع التطريز . وأحاطه الخدم للعناية به والمحافظة عليه من كل ما يقلق خاطره أو يزعج رقاده . وأعد له من الطعام ماتشتهيه نفسه من الالبان، لبن أمه المتمتعة فى الغالب بتمام الصحة أو ابن المراضع اذا أعيت والدته الحيلة أو كل ما يرغبه من أنواع الاغذية اللبنية . وأما من ولد في أسرة فقيرة بائسة — وهذه الاسر أكثر النـاس خلقا — فمأواه الاكواخ المحزنة المقبضة . ومثواه الثرى الرطب المؤلم . وغطاؤه الخرق العتيقة . ورداؤه الاثواب البالية . وأنيسه الوحدة . وجليسه الهموم المقبـلة . اذا بكى فـلا من سميع . واذا توجع فلا من مجيب . فتذهب صيحاته في الهواء هباء منثورا . وقوته لبن أمه التى أضـناها التعب . وأضعف

قواها العوز . وأنهك جسمها الكد والعناء . وقتلها البؤس والشقاء . واذا نضب لبنها ولم يتيسر لها الحصول على قوت طفلها الضروري لحياته فحسرات وعبرات على المخلوق الطاهر الذى يحتضر من ألم الجوع (١)

فعيشة الطفل الاول هناء ورخاء . وحياة الثاني تعس وبلاء.

---

(١) فبينما ترى قصوراً وثراء . وحبوراً وسراء وخراج قرية أو قريتين يذهب فى لهو ليلة أو ليلتين . تجد أرملة صناعاً وأيتاماً جياعا . وشيخ يعمل وهو فى أرذل العمر . يقعده العجز وينهضه الفقر أو عذراء كادت تبيع عرضها للاحتياج . أو مريضاً عاجزاً عن العلاج وبينما ترى وذاخا فى جيدها عقد كأنه فرود حضار وفى اخمصها نعل من نضار . ترى بائسة فى عنقها عقد من دموع وفى بيتها فقر وجوع . حال تطرف العيون . وتثير الشجون

بأى جرم وأى حكم سلطليث على محاها
وعذرت حاجة بعسر على عليل قد اشتهاها
وظالم عنده كنوز من أم دفر ومن لهاها

(السيد محمد توفيق البكرى — صهاريج اللؤلؤ — ص ١٥٨ — ١٦٢ طبعة سنة ١٩٠٧)

وما نتج هذا التباين فى المعاملة عن فضل أتاه الاول ولا عن جرم اقترفه الثاني بل عما أعده الآباء والهيئة الاجتماعية لكل منهما . فان كانوا (الآباء) أغنياء فسعادة أطفالهم مضمونة . وان كانوا فقراء واهتمت الهيئة الاجتماعية(١) بأمر أولادهم فسعادة

---

(١) قبل أن يولد طفل الفقير فى فرانسا أو اللقيط تكون قد فكرت فى أمره جمعيات خيرية كثيرة ودبرت له أسباب راحته . فدور الولادة المجانية تعتنى بأمه حتى الوضع وتمام الشفاء وبعد ذلك تستلم دور اللقطاء أو دور تربية اولاد الفقراء المولود فتقيه شر الهلاك . ومتى كبر وتمكن من السير على اقدامه ترحب به الملاجئ الخيرية وتمكنه من قضاء اول ايام حياته فى عيشة هنئة مرئة . وعند ما يبلغ اشده تجبره الحكومة على تلقي العلوم الاولية فى مدارسها المجانية هذا خلاف الورش والمحال الصناعية التى تقبله مجانا للحصول على التعليم الفنى ومتي فاجأه المرض يجد فى المستشفيات المجانية ما يلزمه من المعالجة واذا داهمته الشيخوخة يجد فى ملاجئ العجزة مأوى لائق به فيخف عليه مصابه لما يراه من المواساة وحسن المعاملة فيقضى آخر ايامه مستريح البال شاكرا فضل المحسنين العقلاء (هذه مقتطفات من مقالة نشرناها بالافرنسية في مجلة العالم المصري (La Revue du Monde Egyptien) عدد مايو ويونيه

أيضا . وأما اذا كانوا فقراء ولم تهتم الهيئة الاجتماعيــة (١)

سنة ١٩٢١ تحت عنوان الصدقة التى في موضعها)وزد على ذلك القوانين التى تحافظ على حقوقه كقانون سن الالتحاق بالاعمال الصناعية وتحديد مقدار ساعات العمل وقانون ١٣ يولية سنة ١٩٠٦ الخاص بالراحة الاسبوعية للعمال وقانون ٢١ مارس سنة ١٨٨٤ الخاص بالنقابات وقانون ٢٥ مايو سنة ١٦٨٤ المخول للعمال حق الاضراب لدفع الظلم عنهم وقانون ٩ ابريل سنة ١٨٩٨ الخاص بأخطار الاعمال الصناعية وقانون ٣٠ يونيه الخاص بأخطار الاعمال الزراعيه التي يستعمل فيها الآلات البخارية وقانون ١٢ ابريل سنة ١٩٠٦ الخاص بأخطار الاعمال التجارية وقانون ١٥ يوليه سنة ١٩١٤ الخاص بأخطار اعمال الغابات — وشرح هذه القوانين موجود فى جميع مؤلفات التشريع الصناعي الحديدة

(١) قال المرحوم بطرس باشا غالى مؤسس الجمعية الخيرية القبطية الكبرى في خطاب ارسله سنة ١٨٨٦ لنائب المجلس العام:

« يجب علينا النظر بعين الشفقة والمحبة الاخوية الى اخواننا الفقراء بما استطعنا قياما بواجب ما وكلنا الله عليه من خيراته ونعمه لنقضى فيها وكالة شريفة حسنة تليق بأبناء الانسانية » ولقد اتخذت هذه الجمعية الخيرية هذه الحكم شعارا لها ونبراسا تستنير به في اعمالها

بأمر أولادهم فبؤس محتم وعذاب مؤكد وموت عاجل لا مفر منه. ومثل هذا البائس « الذى سجلته يد المقادير فى سجل الفناء وطوحت به فى ظلمات هذا الوجود • فمضى يتخبط في ديجور الحياة • يؤمه النحس . ويمشى على أثره الشقاء • تلعب به الايام لعب النكباء بالعود • ويدب في نفسه اليأس دبيب الآجال في الاعمار • كمثل الغريق الذي ظفر به البحر الهائج فى يوم ريح صرصر عاتية • فلبث معلقا في خيط من الاجل حت شتى مقص الفناء • يفتح له الوهم بين كل موجتين قبرا • ويمد له الخوف بين كل قطرتين بحرا • يطفو به القدر ويرسب به القضاء • فتلتقفه الموجة بعد الموجة • وتلتقمه اللجة بعد اللجة • وقد درجه البحر في كفن من الزبد • وحمله على نعش من الماء فوق أعناق أمواج كالجبال • تعلو به تارة الى مجري الافلاك • وتسفل به أخرى الى مسبح الاسماك • حنق عليه الماء والهواء • وزهدت في وجوده الارض والسماء • كلما هم بالاستسلام للموت أدركه الحرص على البقاء فجعل يجالد تلك الامواج الثائرة • ويصارع ذلك الجبار العتيد • حتى اذا نزح التعب قواه • طواه البحر في جوفه طى السر فى الفؤاد » (١)

ولكن رغم هذه العقبات أيستسلم البائس للبؤس . ويرضخ للذل

---

(١) فيكتور هيجو — البؤساء — تعريب حافظ بك ابراهيم ص ١٥ من طبعة سنة ١٩١٥

والهوان ويسترسل فى البكاء والنحيب حتى يجره ذلك الى الكسل والخمول ام يجب عليه محاربة الفقر بسلاح العمل ومصارعة البؤس بقوة الصبر على تحمل هذه المحن ؟

الكسل عنوان الفشل ومورث الفقر والشقاء . العمل سر الفلاح والنجاح ومورد الكسب والهناء . فمن عمل بجد وثابر بعزم وجاهد بحزم واستمر فى هذا الطريق لا بد وأن يصل الى غايته وهى استرداد سعادته لان الانسان خلق ليكون سعيدا .

حقيقة ان في الامم الراقية من يعملون لمساعدة من عضهم الدهر بأنيابه وصب عليهم متاعبه وأوصابه ولكن هؤلاء البررة العقلاء لايفعلون الخير حبا فى معونة الفقراء فقط بل ولاعلاء شأن بلادهم أيضا بتقليل عدد العاطلين فيها الذين يعيثون فى الارض فسادا ويبثون نفحاتهم الخبيثة وسمومهم القتالة فى النفوس الضعيفة السريعة الخروج عن جادة الصواب . وهذه الامراض الاجتماعية تتفشى بسرعة هائلة فى جسم الهيئة الاجتماعية كتفشى الامراض المعدية فى جسم الانسان . واذا لم يبذل الطبيب الماهر جهده فى استئصال شأفة الداء استعصى عليه الدواء فيتسمم الجسم شيئا فشيئا حتى يهلك . والامر كذلك فى الامراض الاجتماعية اذا لم يسع

اولو الامر ورجال الاصلاح والاغنياء على ابادتها فلا مناص من انتشارها بتسرب جراثيما الى الجسم الاجتماعى — الامة — فيموت الموت الادبى . وهذه منتهى درجات الانحطاط

يجب اذا على العمال أن يشدوا عضد بعضهم بعضا لمكافحة هذه الآلام ليتخلصوا من نقائصها وخبائثها وان يتعاونوا على البر والتقوى فيخلقوا من ضعفهم قوة . (١) ومن فقرهم ثروة . ومن هزالهم بأسا . ومن بؤسهم سعادة . ومن استعبادهم حرية . ومن مذلتهم اكراما . ومن تحقيرهم احتراما . ومن موتهم حياة . العمال هم رجال العمل . رجال المتاعب . رجال الغد . ضعفاء فى الظاهر أقوياء فى الواقع . ضعفاء متفرقين اشداء متحدين . يستهان بهم الآن ولكن ستدور الدوائر وعما قريب سيأتى اليوم الذى يكون لهم القدح المعلى فى ادارة شؤون الامم . فيخضع العالم لقوة الحق .

---

(١) قال أمير الشعراء احمد بك شوقى قصيدة عصماء « فى موقف الامة اليوم » ونشرت فى جريدة الاهرام يوم الجمعة ٣١ مارس سنة ١٩٢٢ نقتطف منها ما يناسب هذا المقام :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا — وفاز بالحق من لم يأله طلبا

ان الرجال اذا ما ألجئوا لجأوا — الى التعاون فيما جل أو حزبا

علمت ان وراء الضعف مقدرة — وان للحق لا للقوة الغلبة

قوة العمل • القوة التي ليس بعدها قوة

قوة وثروة كل أمة ليست الا نتيجة عمل الانسان وكذلك فقرها وانحلالها • فكم من رجال ماهرين أمكنهم ان يأخذوا من اراض حقيرة المواهب الطبعية نصيبا كبيرا • وكم من آخرين لم يمكنهم الحصول علي هذا النصيب من اراض غنية المواهب الطبعية • ولقد امتازت مصر (١) عن غيرها بارضها الخصبة • وماؤها العذب • ومناخها المعتدل • وفلاحها (٢) الصبور • وعاملها القنوع • ولكن

---

(١) قال عمرو بن العاص يصف مصر لسيدنا عمر بن الخطاب «مصر تربة غبراء . وشجرة خضراء »

وقال أيضا « ترابها ذهب ونيلها عجب » وقال السلطان سليم بعد واقعة بلبيس « اليوم استلمت مفتاح الكنز » وقال نابليون حين استراح من رحلته الحربية من سواحل مصر الى القاهرة « مصر مزرعة » واننا نقول إن مصر جنة خالدة لمن عرف خبايا كنوزها.

(٢) قال ادمون ابو (E. About) فى كتابه — الفلاح — « يتعب الفلاح ويشتغل أكثر من زميله الاوروبى ويستهلك أقل منه بكثير من ضروريات الحياة . ومع ذلك كله فلا يدخر شيئا » والسر فى ذلك راجع — على ما نظن — الى بقائه على حالته البدوية الاولية وافتقاره الى الغذاء العقلى (العلم)

ينقص هذه المزايا قوة التفكير والتدبير وحسن الادارة واضاءة عقول هذه القوة العاملة (العمال) بنور العلم الاجبارى المجانى . فاذا توفر لديهم ذلك لانتشرت بينهم عوامل الاخوة وحب التعاون فيطيب حالهم ويهدأ بالهم وتسعد بلادهم .

فمصر لاتسعد الا بسعادة العمال وتشقى وتنحط بانحطاطهم . فهم مقياس نبضها . وهم لها بمثابة الرأس من البدن اذا انتابها الالم تداعت لها جميع الاعضاء . فالعمال هم الحجر الاساسى لتشييد صرح عمراننا ولتجديد عهود مدنيتنا . فلن يصلح حالنا بل حال العالم أجمع ما لم يصلح حال العمال

— ٢ —

ولما كانت بلادنا زراعية قبل كل شئ فقد اهتم بامرها المرحوم السلطان حسين كامل عند ما كان رئيسا للجمعية الزراعية اذ دعا فى ربيع سنة ١٩٠٨ كبار المزارعين لتشكيل لجنة ترأسها للنظر فى اصلاح حال الفلاح . فانتهز المرحوم عمر بك لطفى هذه الفرصة لنشر فكرته السامية . فكرة التعاون فى بلادنا . ولكن لم يرغب القول جزافا بل أراد الاطلاع ليتكلم عن خبرة وليكتب عما شاهده عيانا . فسافر الى ايطاليا فى السنة نفسها لدرس سير

التعاون الزراعي فيها. واجتمع بالاقتصادي المحنك لوزاتي (Luzzatti) الملقب باب التعاون الايطالى . ولما عاد من رحلته أخذ ينشر دعوته بالمحاضرات والرسائل لترويج بضاعته وتعميم فكرته فى انحاء القطر لاعتقاده انه الحل الوحيد لاصلاح حال البلاد من جميع الوجوه

ففى أول نوفمبر سنة ١٩٠٨ القى محاضرة بنادى المدارس العليا بمصر عن نظام التعاون والاقراض فى ايطاليا والمانيا وحث على انشاء شركات تعاون لتقرض الفلاح ما يلزمه لانقاذه من يد المرابين الذين لايهمهم من أمر البلاد غير الاستيلاء على أموالها باى وسيلة يقدرون عليها

والقى فى ٥ يناير سنة ١٩٠٩ محاضرة فى نادي دمياط وأخرى بنادى المنصوره . وفى ٢١ يناير من السنة نفسها القى محاضرة بالكلية الاهلية الحرة بالاسكندرية نقتطف منها ماياتى :

«ان تسرب الاموال الاجنبية الى مصر قد فتن الناس وملأهم غرورا فاعتمدوا على هـذه الاموال واندفعوا فى تيار المضاربات ولـكن من يوم أن أصيبت البلاد بالازمة المالية انصرفت الافكار الى البحث فى اصـلاح نظام التسليف فى مصر وجعله نظاماً قومياً محضاً قائما على بنوك وطنية تجمع أموالها من أبناء البلاد .

وفى اعتقادى أن خير نظام يحسن ادخاله فى مصر الآن هو نظام التسليف القائم على مبادىء التعاون . وليس الغرض من التسليف

التعاونى استثمار المال بواسطة اقراضه للغير بالفائدة ولكن الغرض منه تسهيل الاقراض لاعضاء الجمعيات أنفسهم بفضل التوفير والتضامن. ومن اسمى اغراضه تخصيص جزء من ربح الجمعيات للاعمال الخيرية والسعى فى اسعاد المتعاونين وانقاذهم من الفقر. فمذهبى الذى أدعو اليه الآن هو نشر مبادىء التعاون على التسليف فى المدن والقرى.

وانى أختم كلامى بابداء فكرة أعدها رغبة صادقة أو نصيحة خالصة وهى انشاء بنوك التعاون والنقابات الزراعية. فالاولى تقرض التجار والصناع والثانية تجلب للزراع حاجاتهم من الاسمدة والبذور وغيرها وتعمل بمساعدة البنوك التعاونية وتحت اشرافها »

وله فى خطبة القاها بنادى المدارس العليا بمناسبة انشاء أول نقابة زراعية فى بلادنا بشبرا النملة منها :

« يعتقد بعض الناس أن تفريج الازمة المالية لا يكون الا باستحضار روءوس المال من البلاد الاجنبية واقراضها للاهالى حتى تدور حركة الاعمال كما كانت عليه قبل سنة ١٩٠٧ وفاتهم أن الديون التى على المصريين اثقلت عاتقهم وأنه كلما كثر الدين زادت الفوائد التى تدفع سنوياً لارباب روءوس الاموال. فالتفريج من هذه الوجهة تفريج وقتى لا أساس له ونتيجته فى المستقبل ضارة وخيمة. وفى اعتقادى أن أهم أسباب المضاربات قبل ١٩٠٧ كان تهاطل الاموال الاجنبية على مصر واقراض البنوك النقود دون التفات الى أوجه

استعمالها وبعبارة أخرى لو استعملت تلك الاموال لتنمية مصادر الثروة الحقيقية أى التجارة والصناعة والزراعة لما وقعت مصر فى الازمة المالية الحاضرة بل كانت حال مصر تتبدل من حسن الى أحسن وكان المصرى يرتع فى بحبوحة السعادة والهناء

وعندى أن أساس الاستقلال والحرية فى كل أمةهو الاستقلال الاقتصادى . فالواجب اذا لترقيـة شؤوننا الاقتصادية أن يكون الماضى درساً مفيداً للمستقبل وأن نوجه اليوم مجهوداتنا كافة لتقوية وتنمية مصادر الثروة المصرية الحقيقة وعلى الاخص الزراعة مع تحسين حال المزارعين(١)حتى تعود أراضينا السخية بالمحصولات الجيدة فيساعدنا ذلك على تسديد ماعليها وما علينا من الديون وان نسير فى هذا الطريق رويداً حتى تحرر البلاد من عبودية الدائنين . وفى اعتقادى ان هذا لايتم الا بانشاء نقابات زراعية وشركات التعاون والمصارف الاهلية »

— ٣ —

ولقد اجتمعت اللجنة التنفيذية للجمعية الزراعية فى ٣٠ يناير

---

(١) كتابنا المسألة الاقتصادية الزراعية فى مصر — طبعناه بالفرنسية فى باريس سنة ١٩١٩

سنة ١٩٠٩ وكونت لجنة من الاختصاصيين لدرس التعاون — ذلك بفضل تأثير لجنة اعيان الزراعة السابقة الذكر — وتقديم تقريرها على ماتراه مناسبا لمصلحة مصر. وكان المرحوم عمر بك لطفى أحد الاعضاء فقر الرأى على ضرورة التعاون الزراعى لمصر وخصصت منه نوعين :

(١) النقابات الزراعية

(٢) وصناديق التسليف لتقرض الفلاحين مايحتاجون اليه من المال لاتمام أعمالهم

ووضعت هذه اللجنة مشروعاً مرفقاً بلائحة عامة شاملة على الاحكام الايضاحية للشركات المذكورة واليك نص كل منهما :

مشروع سنة ١٩٠٩[(١)]

المادة الاولى — تعامل شركات التعاون بمقتضى اتفاق المتعاقدين وبنصوص هذا القانون وباحكام القانون المدنى وتكون خاضعة فى

---

(١) نقلا عن كتاب نقابات التعاون الزراعية لعبد الرحمن بك الرافعى ص ١٩٤

التقاضى مهما كان شكلها لقواعد الاختصاص والاجراءات التجارية سواءا كانت مدعية أو مدعى عليها

المادة الثانية — يكون لشركات التعاون شخصية مدنيه ويجوز ان تقبل جميع التبرعات التى تحصل لمصلحتها سواءا كانت منجزة أو موٴجلة لما بعد الوفاة كالوقت وغيره

المادة الثالثة — فى جميع شركات التعاون ذات المسوٴولية المطلقة التى يمكن تأسيسها برأس مال أو بغير رأس مال يكون كل شريك مسوٴولا امام دائنى الشركة بكافة امواله ولكن فى الشركات ذات المسوٴولية المحددة لايكون الشريك مسوٴولا الا بقدر ماله أو ما اكتتب به من السهوم (الحصص) فى رأس مال الشركة .

واما فى شركات التعاون ذات المسوٴولية النسبية فيكون الشركات مسوٴولين بمقدار عدد مرات معينة من عدد السهوم أو الحصص التى دفعوها أو اكتتبوا بها فى رأس مال الشركة

ويجوز ان تكون المسوٴولية المطلقة قاصرة على اعضاء مجلس ادارة الشركة

المادة الرابعة — لايجوز ان يكون عدد الشركاء فى شركات التعاون اقل من سبعة اعضاء ويجب ان يستمد اسم الشركة من موضوع العمل الذى تأسست للقيام به ولا يجوز ان يشمل العنوان المذكور إسم احد الشركاء أو أى شخص آخر . وكل شركة جديدة

تتأسس بناحية من النواحى يلزم ان يكون اسمها مميزاً عن اسماء باقى الشركات الموجودة بتلك الناحية

ويجب ان تضع الشركة على كافة الاوراق والعقود والنشرات الصادرة منها بجانب اسم الشركة العبارة الآتية مكتوبة بكامل حروفها وهى (شركة تعاون ذات مسؤولية مطلقة)اوذات مسؤولية محدودة) او (ذات مسؤولية نسبية)وذلك بحسب نوع المسؤولية الواردة فى عقد تأسيس الشركة

المادة الخامسة ـ يجب ان يكون عقد الشركة رسمياً او عرفيا مع التصديق على توقيع الشركاء المؤسسين ويلزم تسجيله بتمامه بالمحكمة الجزئية التابع لها مركز الشركة بقيده فى دفتر خاص ويجب تسجيله بالجريدة الرسمية

وتسرى احكام هذه المادة على كافة التعديلات التى تدخلها الشركة على عقد تأسيسها وكذلك على حالة امتداد اجل الشركة .

ولكل شخص الحق فى الاطلاع على الدفتر المذكور مجانا وله أخذ صورة منه بعد دفع الرسوم المقررة

ويترتب على عدم مراعاة الاجراءات السالفة الذكر بطلان الشركةولكن هذا البطلان يزول اذا كانت الشركة تقوم قبل رفع أى دعوى باتمام الاجراءات المذكورة

المادة السادسة — يجب على مديرى شركات التعاون أن يعدوا

بالشركة دفترا تقيد فى أول صحيفة منه صورة عقد تأسيس الشركة ويتبعون ذلك بالبيانات الآتية:

(١) اسماء وصناعات ومحلات اقامة الشركاء

(٢) تواريخ قبولهم أعضاء فى الشركة وخروجهم أو اخراجهم منها

(٣) حساب المبالغ المدفوعة منهم وما استرده كل منهم من المبالغ المذكورة ويجوز الاطلاع على هذا الدفتر بغير نقله وبمجرد الطلب

واذا كان رأس مال الشركة مقسما الى سهوم يجب على الشركة أن تخصص دفتراً لانتقال السهوم

ويجب على المديرين أن يقدموا فى نهاية كل ثلاثة شهور ميزانية حساب أعمال الشركة عن المدة المذكورة الى قلم كتاب المحكمة الجزئية التابع لها محل الشركة وتكون تلك الميزانية مشفوعة بكشف باسماء الشركاء الذين استجدوا والذين انسحبوا والشركاء الباقين فى الشركة وصناعاتهم ومحلات اقامتهم فى مدة الثلاثة شهور المذكورة وتكون الميزانية والكشف المذكورين موقعا عليهما بامضاء كافة المديرين وتحفظ بقلم كتاب المحكمة المذكورة ولكل شخص الحق فى الاطلاع على الاوراق المذكورة

وعلى الشركة أن تتخذ لها دفتر يومية ودفتر كوبيا للمراسلات ودفتر جرد وهذه الدفاتر تكون مؤشراً عليها من قلم كتاب المحكمة الجزئية بغير مصاريف

المادة السابعة — اذا كان رأس المال مقسماً الى سهوم أو حصص فلا يجوز أن يكون السهم أو الحصة أقل من ٢٠ قرشا ولا أزيد من ٥٠٠ قرش

ولا يجوز تأسيس الشركة الا بعد سداد ثمن كل سهم بتمامه وكذلك لا يجوز ان يكون لاى شريك فى شركات التعاون حصة فى رأس المال ازيد من مبلغ ٤٠٠ جنيه ولا ان يكون له سهوم بازيد من هذا المبلغ بحسب قيمتها الاسمية وتكون السهوم اسمية ولا يجوز التنازل عنها الا بعد التصديق عليه من مجلس الادارة او الجمعية العمومية بحسب ما هو مشروط فى عقد الشركة

المادة الثامنة — يجوز زيادة رأس مال الشركة بقبول اعضاء آخرين أو تنقيصه باسترداد جزء من الحصص المدفوعة فيه ولكن لايجوز رد شيء من الحصص الا فى الاحوال الآتية :
(١) الاستعفاء (٢) الوفاة (٣) الافلاس (٤) الحجر (٥) الاخراج من الشركة

ولا يجوز على كل حال أن ينقص رأس المال بسبب الاسترداد المذكور عن قيمته فى وقت تأسيس الشركة .

وتحتسب قيمة المبلغ المطلوب رده من مال الشريك المنسحب من الشركة بحسب ما يظهر من ميزانية الثلاثة الشهور الاولي

للسنة المطلوب فيها الرد ولا يدخل فى ذلك المال الاحتياطى

المادة التاسعة — فى أحوال انفصال الاعضاء المذكورة فى المادة السابقة لا تزول مسؤولية الاعضاء المنفصلين عن الالتزامات المنصوص عنها فى عقد تأسيس الشركة الا بعد تصفية الاعمال السابقة على انفصالهم

ليس للعضو المستقيل أن ينسحب من الشركة الا فى بحر الثلاثة شهور الاولى من السنة الحسابية

المادة العاشرة — المال الاحتياطي غير محدود ويتكون من الآتى :

(١) رسوم الدخول

(٢) الفرق بين قيمة الاسهم الاسمية والثمن الذى تصدر به الاسهم الجديدة فى حالة اصدارها بعد تأسيس الشركة

(٣) نصف صافى الارباح على الاقل حتى تصل قيمة الاحتياطى الى ثلثاى رأس المال

(٤) من كمية الارباح التى تركها الشركاء أو قطعت عنهم

وفى شركات التعاون ذات المسؤولية المطلقة المؤسسة بدون رأس مال يجب ضم جميع صافى الارباح الى الاحتياطى ليكون بمثابة تأمين

ومع ذلك فيمكن أن ينص قانون الشركة على منح عشرة في المائة لاعمال خاصة بالمنافع العمومية عند مايبلغ الاحتياطي في الشركات ذات المسؤولية المحدودة أو النسبية ثلثي رأس المال ويمكن توزيع الزائد من الارباح على الاعضاء ولكن لايجوز بأى حال من الاحوال أن يخصص للاسهم أكثر من خمسة في المائة بنسبة قيمتها الاسمية وفي حالة انحلال الشركة يخصص الاحتياطي بقرار من الجمعية العمومية لعمل من أعمال الخير أو لعمل ذي منفعة عامة وذلك بعد وفاء ديون الشركة ودفع رأس المال اذا كانت الشركة ذات رأس مال

المادة الحادية عشرة — القرار القاضى بحل شركة تعاون يجب نشره حسب القواعد المنصوص عنها فى المادة الخامسة

تسقط الدعوى بمطالبة الاعضاء فيما يتعلق باعمال الشركة بعد ثلاث سنوات من نشر القرار القاضى بالحل أو الحكم الذى يصدر به

المادة الثانية عشرة — يصدر مجلس النظار فيما بعد لائحة عامة عن شركات التعاون وتكون مشتملة على كيفية وشروط تأسيسها وحقوق وواجبات الاعضاء واكتساب وفقدان صفه العضويه واعمال الشركة وتأسيسها وكيفية تأليف واختصاص مجلس الادارة والجمعية

العمومية ولجان المراقبة وكذا شروط حل هذه الشركات
ولايجوز أن يخالف احكام هذه اللائحة أي نص من نصوص
هذا القانون كما أنه يجوز التعديل والتغيير في نصوصها

اللائحة العامة

في تأسيس الشركات وتأليفها

المادة الاولى — تعتبر شركات التعاون الزراعى مؤلفة تأليفا قانونيا اذا اتبعت هذه اللائحة واحكام قانون شركات التعاون الزراعي

المادة الثانية — يجب ان يبين في عقد تأليف كل شركة تعاون زراعي ما يأتى :.

(١) اسم الشركة (٢) غايتها (٣) مركزها ومنطقة اعمالها
(٤) مدتها التى لا يجوز ان تتجاوز ٥٠ سنة (٥) الطريقة المكون بها رأس مال الشركة اذا كانت ذات رأس مال
(٦) نوع مسؤولية الشركاء (٧) شروط قبول الشركاء وانسحابهم واخراجهم (٨) كيف ومن يدير الاعمال المشتركه ويراقبها
(٩) طريقة تعيين المديرين العاملين وعزلهم وأعضاء مجلس الادارة

وسلطتهم ومدة تعينهم (١٠) حقوق الشركاء وطريقة دعوتهم للاجتماع وغالبية الاصوات لتكون القرارات قانونية وطريقة أخذ الاصوات (١١) توزيع الارباح وتكوين الاحتياطى

المادة الثالثة — يجب أن تعين فى عقد كل شركة تعاون زراعية منطقة أعمالها.

المادة الرابعة — لاتستطيع الشركة مباشرة الاعمال الا بعد اتمام الاجراءات المذكورة فى المادتين ٥و٨من قانون شركات التعاون الزراعى.

المادة الخامسة — يشترط للعضوية في شركة التعاون الزراعي — (١) ان يكون العضو بالغاً سن الرشد (٢) ان يكون مقيما فى الاقاليم المذكورة في عقد تأسيس الشركة (٣) أن يكون مالكا أو مزارعا أو مشتغلا أشغالا تتعلق بالزراعة (٤) ألا يكون عضواً في شركة مماثلة تعهد أعضاؤها بمسئولية مطلقة (٥) ألا يكون مفلسا أو محجوراً عليه (٦) اذا كانت الشركة مؤلفة برأس مال يجب أن يكون مالكا على الاقل سهما وحصة (٧) ان قبول الشريك يجب ان يقرره مجلس الادارة

المادة السادسة — تفقد صفة الشريك : (١) بالاستعفاء (٢) بالوفاه . ولا يتمتع الورثة بحق من حقوق وامتيازات

مورثيهم (٣) بزوال الشروط المذكورة في المادة السابقة (٤) باخراج الشريك اخراجا يقرره مجلس الادارة :

(١) اذا حكم على الشريك بعقاب جناية أو عقوبة مخلة باشرف

(٢) اذا حكم عليه بالافلاس أو حجز عليه

(٣) اذا لم يقم بعهوده نحو الشركة . واذا لم ينفق المبالغ التى استلفها في الشؤون المعينة لها . أو اذا اضطر الشركة ان تلجأ ضده الى الطرق القضائية. والشريك الذى لا يرضى حكم مجلس الادارة يمكنه استئنافه الى لجنة المراقبة التى تحكم الحكم النهائي واكتساب صفة الشريك أو فقدانها يجب اثباته قبل الشريك والشركة والاشخاص الخارجين عن الشركة بقيده بالجدول المشار اليه في المادة السادسة من قانون شركات التعاون الزراعى

المادة السابعة — قبول الشركاء أو اخراجهم من الشركة باختامهم أو بتواقيعهم بجانب أسمائهم على الجدول المذكور

ويجب على المستعفى ان يقيد ذلك بيده الى جانب اسمه

وهذه القيود والقيود التى يجب ادراجها على جدول نقل الاسهم والحصص تسطر بحضور اثنين من مجلس الادارة اللذين يوقعان

بصفة شهود بخطهما أو بختمهما

المادة الثامنة — ليس للشريك أن يعمل عملا بالنيابة عن الشركة وانما لمجلس الادارة ان ينوب عن الشركة أمام الغير ويتعاقد بالنيابه عنها على حسب أحكام العقد الاساسى للشركة

فى أعمال الشركات

المادة التاسعة — شركات التعاون المسماة صندوق التعاون الزراعي يكون غرضها ان تجد المال لصغار وأواسط المزارعين لقضاء حاجات حرفتهم بسعر قليل وفائدة صغيرة جهد الطاقة بواسطة الاعتماد الشخصى . وهذه الصناديق لا يمكنها أن تشتغل من أشغال البنوكة الا الاشغال الآتية —

(١) تسليف اعضائها وحدهم سلفا لآجال قريبة لا يلزم ان تتجاوز بوجه عام السنة . ويستطيع الصندوق ان يسلف بوجه الاستثناء لمدة أطول ولكنها لا تتجاوز خمس سنين اذا كان الموضوع يتطلب بطبيعته أجلا بعيدا . وهذه السلف لا تسلف الا للشركاء الذين يثبتون نفع سلفهم وصفتها الزراعية ويقدمون الضمانات التى تعد كافية . ولا يمكن أن يقبل عقد سلفة بامضاء المستلف وحده

(٢) قطع السندات الناتجة عن عمـل زراعى اذا كانت من الاعضاء وحدهم

(٢) قبض قيمة هذه السندات بعد قطعها اذا كانت شركة صندوق التعاون محلية اما بواسطة شركة صندوق التعاون الزراعى المركزية واما بواسطة أحد البنوك

(٤) القيام بقبض المبالغ أو دفعها لحساب الشركاء

(٤) قبول ايداع المبالغ من أعضائها فى حساب جار اما بفائدة وربح واما بغير فائدة .

(٦) اقتراض الاموال الضرورية لمدة لا تتجاوز خمس سنين لانفاذ أشغالها وذلك بفائدة لا يجوز أن تتجاوز الفائدة القانونيـة بأى وجه من الوجوه ولاى علة من العلل

(٧) تشغيل الاموال الموقوف الانتفاع بها مؤقتا .

وتستطيع شركات صناديق التعاون الزراعى أن تعـمل فوق ذلك أعمال النقابات الزراعية للشراء والبيع على النحو الآتى .

١ — تنظيم مشترى الحاجات بالجملة كالسباخ والآلات والمواشى والبـذور (التقاوي) وكل المواد الاولية أو المصنوعة النافعة للزراعة وكل بضاعة للغذاء أو لحاجات المنـازل سواء أكانت

الشركة وسيطة فى الشراء لحساب أعضائها أو مبتاعة على حسابها كمية كبيرة بالجملة لتبيعها هى باسمها لاعضائها بالمفرق

٢ — الحصول على كل آلة زراعية أو آنية أو مواشى وكل الحاجات النافعة للانتاج الزراعي لتؤجرها لاعضاء الشركة لخدمتهم الخاصة بهم

٣ — تسهيل وتنظيم بيع المحصولات النافعة

٤ — بناء وتأجير الشون ومعامل الحليج والمخازن والمستودعات وكل المحلات النافعة للاعمال المذكورة آنفاً

٥ — تنظيم بيع الحاصلات الزراعية

ويمكن كذلك لشركات صناديق التعاون الزراعى أن تقوم بالاعمال الآتية :

١ — أن تنشط وتنظم وتعضد المنشآت الاقتصادية كصناديق التوفير وصناديق التأمين من الاخطار الزراعية وصناديق المساعدة الاخوية للتأمين من الامراض

٢ — أن تنشئ معامل التحليل الزراعية لمقاومة أمراض النبات وبالاخص دودة القطن وأن تنشط عمل التجارب الزراعيـة فى استخدام السباخ والتقاوى (البـذور) والآلات الحديثـة . وان

تنشر بين الجمهور المبادئ الضرورية الاولية للزراعة بواسطة المحاضرات والوسائل الاخرى

٣ — أن تبدى النصائح الخاصة بكل مايتعلق بالمسائل الزراعية. وأن تحرر نماذج لعقود تأجير الاطيان . وأن تعمل لحل المسائل المختلف فيها بواسطة الخبراء والمحكمين

٤ — أن تنشط الزراعة بعمل مسابقات بين الزراع

المادة العاشرة — لا يجوز لشركات صناديق التعاون الزراعى أن تعقد سلفا لمدة تتجاوز خمس سنين و بفائدة تتجاوز الفائدة القانونية

مجلس الادارة

المادة الحادية عشرة — يتولى ادارة صناديق التعاون الزراعى مجلس ادارة يؤلف من ثلاثة أعضاء على الاقل يعينهم الشركاء . ويؤدى أعضاء هذا المجلس وظائفهم مجانا بلا مقابل

المادة الثانية عشرة — يمثل الشركة امام القضاء رئيسها سواء أكان مدعيا أو مدعى عليه

المادة الثالثة عشرة — لا يجوز للمديرين أن يعملوا عملا باسم الشركة الا ضمن حدود السلطة المخولة لهم بالنظام و بقرارات الجمعية العمومية

المادة الرابعة عشرة — يعاقب بغرامة من جنيه واحد الى ٠٠٠ المديرون الذين :

١ — يهملون أن ينظموا يوميا السجل المذكور فى المادة السادسة من قانون شركات التعاون

٢ — أو يرفضون أن يسمحوا بالاطلاع مجانا على ذلك السجل أو يعطون نسخة او خلاصة منه مقابل مبلغ يتناولونه

٣ — أو يهملون أن يودعوا خلال المدة المعينة فى المادة الخامسة من ذلك القانون النسخة المذكورة فى المادة السادسة فى قلم كتاب المحكمة الجزئية الموجود مركز الشركة فى دائرة اختصاصها

الجمعية العمومية

المادة الخامسة عشرة — الجمعية العمومية تؤلف من جميع الشركاء وتكون قراراتها نافذة باغلبية الاصوات . وليس لعضو واحد الحق فى أكثر من صوت واحد مهما كان عدد حصصه أو عدد الاسهم التى يملكها . ويجوز له ان ينيب عنه أحد الشركاء ولا يجوز للشريك ان ينوب الا عن شريك واحد فقط

المادة السادسة عشرة — تقرر الجمعية العمومية :

(١) الحد الاقصى لمجموع السلف التى يستطيع مجلس الادارة أن يقترضها خلال السنة على انه يجوز للجمعية العمومية فى كل وقت بناء على طلب مجلس الادارة ان تسمح له باقتراض قروض اضافية

(٢) المناقشة فى الحسابات والمصادقة عليها

لجنة المراقبة

المادة السابعة عشرة — تؤلف فى شركات صناديق التعاون الزراعى لجنة مراقبة مكونة من ثلاثة أعضاء على الاقل تنتخبهم الجمعية العمومية

المادة الثامنة عشرة — تكون مهمة لجنة المراقبة :

(١) مراجعة القيود والحسابات وأعمال الصندوق وان تكتب فى ذلك تقريراً للجمعية العمومية السنوية .

(٢) تقرير ما تراه فى الطلبات التى يقدمها أعضاء مجلس الادارة للشراء بالدين وقبول هؤلاء الاعضاء بمثابة ضامنين

(٣) الموافقة على قرار مجلس الادارة الذى يسمح للرئيس بتسوية ما يحدث للشركة من الخلاف بقبول التحكيم فى ذلك الخلاف

(٤) اصدار القرار النهائى فى كل شكوى من قرارات مجلس

الادارة . اما لرفضة قبول عضو فى الشركة واما لطرده عضوا منها

لجنة الخصم

المادة التاسعة عشرة — تؤلف فى شركات صناديق التعاون الزراعى لجنة للخصم مؤلفة من ثلاثة أعضاء من مجلس الادارة ينتخبهم زملاؤهم . وهذه اللجنة تقرر السلف التى تعطى للشركاء أو ترفضها وتقرر الكمبيالات التى تقبل الخصم أو لا تقبل

وتراعى بكل دقة ان تعطى السلف لغرض زراعى فقط وان تكون السلفة على قدر حاجة الفلاح كبيرا كان أو صغيرا فى منطقة الشركة . وهذه القرارات لا تقبل الاستئناف

المادة العشرون — لا تحل الشركة بوفاة أحد الشركاء أو بافلاسه أو بالحجر عليه أو باضاعة أمواله . بل تستمر على حالها القانونية بين الشركاء الاخرين

المادة الحادية والعشرون — فى حالة حل الشركة تنتخب الجمعية العمومية باغلبية الاصوات مصفيا أو عدة مصفين يوكل اليهم تقدير ممتلكات الشركة التى يحول الزائد منها بعد دفع الديون واستهلاك الاسهم الى عمل الخير أو عمل نافع عام أو خدمة زراعة الجهة أو

البلد الذى تعينه الجمعية العمومية . فاذا لم تفعل ذلك الجمعية العمومية فى خلال ثلاثة أشهر من انذار مدير الجهة التابعة لها الشركة يكون هذا المدير حرافى أن يحول الزائد الى مايراه من الاعمال الخيرية أو المنافع العمومية أو خدمة الزراعة على وجه عام .

وقد قدمت اللجنة تقريرها للجمعية الزراعية سنة ١٩٠٩ مذيلا بمشروع القانون واللائحة السابقة الذكر بعد اجراء تعديل قليل أدخله المرحوم جوزيف ريبيه المفتش العام فى وزارة الزراعة الفرنسية الذى دعى لابداء رأيه عن مشروع التعاون فى مصر . فقدمتهما بعد ذلك الجمعية الزراعية الى الحكومة وسعى المرحوم حسين باشا كامل رئيس الجمعية وقتئذ لاستصدار القانون الخاص بالتعاون ولكن لم ينجح فى مسعاه . وبات المشروع واللائحة فى عالم النسيان الى ان عرض على الجمعية التشريعية فى اوائل ابريل سنة ١٩١٤ ففحصتهما فى جلسات ١٤ و ١٥ و ١٦ يونيه من تلك السنة واقرته بعد تعديلها ومع ذلك لم يصدر به المرسوم حتى الان

المشروع الذى أقرته الجمعية التشريعية سنة ١٩١٤
ولم يعمل به حتى الان (١)

المادة الاولى — فضلا عن شركات التعاون الزراعية التى يصح تأليفها بمقتضى القانون العام يجوز أيضا تأليف شركات زراعية فيما بين رعايا الحكومة المحلية فقط طبقا لاحكام هذا القانون

ويجب تأليف هذه الشركات من عشرة أعضاء على الاقل يكونون من المزارعين سواء أكانوا من أصحاب الاطيان أم من مستأجريها أم من المستغلين بالاعمال المرتبطة بالزراعة وتكون تلك الاطيان تابعة لناحية واحدة أو نواح متجاورة ويكون الغرض من هذه الشركات منحصراً فيما يأتى كله أو بعضه :

١ — ان تشترى بطريق المشاركة جميع الاسمدة والادوات والالات والمواشى والتقاوى وجميع المواد الاولية أو المصنوعة النافعة للزراعة وجميع المواد الغذائية والمنزلية سواء أكان ذلك بحصر طلبات اعضائها وتوسطها فى قضائها لهم أو بشراء تلك اللوازم بالجملة لحساب

---

(١) نقلا عن كتاب التعاون فى الزراعة لصادق بك حنين ص ٢٤٨ طبعة سنة ١٩١٧

الشركة وباسمها على ان تبيعها بالقطاعى الى أعضائها

٢ — ان تستحضر جميع الادوات أو الالات الزراعية والمعدات والمواشى وجميع الاشياء النافعة للاستغلال الزراعى لاجل تأجيرها لاعضائها أو لمن ترى فائدة من تأجيرها اليهم عند زيادتها عن حاجة الاعضاء

٣ — ان تبيع لحساب اعضائها محصولات الزراعة أو ما ينتج منها

٤ — ان تعطى اعضاءها دون سواهم سلفيات نقدية أو عينية لصرفها أو لاستعمالها فى الاعمال النافعة التى يجيزها قانون الشركة

٥ — ان تقبل ودائع نقدية بفائدة أو بدونها طبقا للقيود والشروط المدونة فى عقود الشركة وقانونها

٦ — ان تباشر اعمالا او مشروعات لها ارتباط بالزراعة مما يكون الغرض الاصلي منه انتفاع الاعضاء

المادة الثانية — تتكون شركات التعاون الزراعية بعقد رسمى او عرفى مصدق على توقيعات المتعاقدين فيه

المادة الثالثة — الشركات التى تتألف بمقتضى هذا القانون تكون شركات مدنية تابعة للحكومة المحلية وانما يتبع فى شأنها مهما كان نوعها قواعد الاختصاص والمرافعات التجارية سواء

اكانت مدعية او مدعى عليها

وتعرف الشركة باسم الناحية او احدى النواحى التى يكون انشاؤها لاجلها مضافا اليه موضوع عملها ولا يدخل فى هذه التسمية اسماء المشتركين ولا اسم اى شخص آخر

ويكون رئيس الشركة ممثلا لها . وتديرها لجنة ادارة تعين لمدة محدودة طبقا لاحكام عقد الشركة او لاحكام قانونها

المادة الرابعة — يجوز تكوين شركات التعاون الزراعية برأس مال او بدون رأس مال ويكون اعضاء الشركة مسؤولين عن تعهداتها بالتضامن المطلق او المحدود على حسب ما يتفقون عليه فى عقدها ولكن التضامن فى الشركات التى تتألف بدون رأس مال لا يكون الا مطلقا

انما لا يجوز مداعاة احد الشركاء ولا التنفيذ عليه بدين على الشركة الا بعد ظهور عجزها . ومسؤولية العضو القديم أو شركة العضو المتوفى فيما يتعلق بتصفية الاعمال التى حصل التعاقد عليها قبل خروج العضو من الشركة او قبل وفاته تبقى لمدة خمس سنوات ابتداء من يوم خروج العضو من الشركة او وفاته . وكل دعوى للشركة او لاحد مدايتيها على عضو من اعضائها تسقط بمضى خمس

سنوات من تاريخ انحلالها

المادة الخامسة — اذا تكونت الشركة برأس مال منقسم الى حصص فيجب ان لا تقل قيمة كل حصة عن مائتى مليم وان لا تزيد عن اربعة جنيهات مصرية . ويجوز زيادة رأس المال بمبالغ جديدة يدفعها المشتركون كما يجوز زيادته بقبول اعضاء مستجدين ويصح ان ينقص بانفصال بعض الاعضاء لوفاة او استقالة اوفصل من العضوية طبقا لاحكام قانون الشركة

تغير رأس المال بالزيادة فيه او النقص منه لا يؤثر فى حقيقة الشركة فيحتج به على الغير بدون احتياج الى نشر خاص

ولا يجوز لاى عضو ان يمتلك حصصا تزيد قيمتها عن عشر رأس مال الشركة ولا يصح ان يترتب على استعفاء الاعضاء نقص فى رأس المال الاصلى وعلى كل حال ليس للعضو المستقيل حق فى شىء من المال الاحتياطى

المادة السادسة — تكون الحصص دائما اسمية ولا يجوز الحجز عليها كما لا يجوز نقل ملكيتها للغير الا برضاء لجنة ادارة الشركة بالكيفية المنصوص عليها فى قانونها وعلى كل حال لا تكون الحصة الواحدة قابلة للانقسام

المادة السابعة — يجوز لشركات التعاون الزراعية ان يحصل

على ما يلزم من النقود لادارة اعمالها بواسطة سلفيات تعقدها او ودائع يودعها اشخاص خارجون عن الشركة بحيث يكون ذلك فى دائرة الحدود التى تقررها الجمعية العمومية وتصادق عليها وزارة المالية بعد أن تكون قد أخذت رأى وزارة الزراعة

المادة الثامنة — يجب ان يكون لشركات التعاون الزراعية مال احتياطى ويتكون هذا المال من الاوجه الآتية :

أولا — رسوم الدخول فى الشركات التى ليس لها رأس مال

ثانيا — المبالغ التى ترك أربابها المطالبة بها حتى سقط الحق فيها بمضى المدة

ثالثا — التبرعات

رابعا — ما يخصص للاحتياطى من الارباح

خامسا — الفرق بين القيمة الاسمية والحقيقية للحصص الجديدة بحسب ما تقدره الجمعية العمومية سنويا

المادة التاسعة — فى الشركات التى ليس لها رأس مال تخصص الارباح جميعها للاحتياطى ولا يجوز توزيع شىء منها على الشركاء وانما يجوز للجمعية العمومية ان تخصص عشرة فى المائة على الاكثر من هذه الارباح لمشروع ذى منفعة عامة تعود على الناحية

اما فى الشركات الاخرى فيخصص للاحتياطى خمسون فى المائة على الاقل من الارباح حتى يبلغ المتجمد منها مثل رأس المال الحالى على الاقل . وما يزيد من الارباح عما تخصص للاحتياطى يجوز توزيعه

على الشركاء بصفة أرباح أو بصفة مكافأة بنسبة قيمة المعاملات التى يكون قد أجروها مع الشركة فى خلال السنة وذلك بحسب ما تقدره الجمعية العمومية للشركة انما لا يجوز فى اى حال من الاحوال ان يوزع بصفة ارباح ما تزيد قيمته على ستة فى المئة من رأس المال المدفوع فعلا ويجوز استعمال المال الاحتياطى فى أعمال الشركة ما دامت قائمة . فاذا انحلت جاز تخصيصه بقرار من الجمعية العمومية لعمل ذى منفعة عامة يعود على الناحية أو النواحى التى تأسست فيها الشركة كما يجوز توزيعه على الاعضاء وفى هذه الحالة الاخيرة يجب ان يصدق على قرار الجمعية من مجلس المندوبين المنوه عنه فى المادة الخامسة عشرة فان لم يحصل هذا التوزيع او التخصيص بقرار من الجمعية عند انحلالها حصل بمعرفة مجلس المندوبين المنوه عنه فى المادة الخامسة عشر

المادة العاشرة ــ يجب تسجيل عقد الشركة وقانونها وكل تعديل يحصل فيهما فى سجل خاص بشركات التعاون الزراعية ينشأ فى المحكمة الجزئية التابعة لها الشركة ويكون التسجيل بناء على قرار يصدر من قاضى هذه المحكمة بعد سماع اقوال طالب التسجيل والنيابة العمومية وتحقق القاضى من مطابقة احكام عقد الشركة وقانونها لاحكام هذا القانون

يجوز استئناف القرار المذكور من النيابة او من مندوب

الشركة مهما كان مقدار رأس المال

طلب التسجيل يقدم من الشريك المعين لذلك فى عقد الشركة

المادة الحادية عشرة — تعفى شركات التعاون الزراعية من كافة الرسوم النسبية وغيرها الخاصة بتحرير عقود الشركة وقوانينها وما يطرأ عليها من التعديلات وبالتصديق على الامضاء وبالتسجيل . وينشر مجانا فى الجرائد الرسمية قرار التسجيل وعقد الشركة وقانونها والتعديلات التى تحصل فيها

ويجوز لكل انسان ان يطلع مجاناً على السجل المنوه عنه فى المادة العاشرة . ويأخذ صورة او ملخصا منه على مصاريفه

المادة الثانية عشرة — يجب استيفاء الاجراءات المبينة فى المادتين السابقتين والا كان العمل باطلا ولكن يزول هذا البطلان اذا حصل استيفاؤها قبل تقديم الدعوى

المادة الثالثة عشرة — يجب ان يكون فى كل شركة العدد اللازم من الدفاتر لضبط اعمالها وحساباتها . ويجب ان يكون من بين هذه الدفاتر :

(١) دفتر يشتمل على البيانات الآتية :

اولا — عقد تكوين الشركة فى أول صحيفة منه

ثانياً — اسماء وصناعات ومحال اقامة الشركاء وحصة كل واحد منهم

ثالثاً — تاريخ قبولهم او انسحابهم او اخراجهم

رابعاً ـ حساب المبالغ المدفوعة والتى سحبها كل واحد منهم ويمكن لكل انسان أن يطلع على هذا الدفتر فى محله

(٢) دفتر آخر يشتمل على بيان انتقال الحصص من شخص لآخر

يجب تقديم دفاتر الحسابات للشركة الى المحكمة الجزئية التابع لها مركز الشركة قبل العمل فيها للتأشير عليها من القاضى

المادة الرابعة عشرة — يجب على رئيس لجنة الادارة أن يقدم فى ظرف الخمسة عشرة يوما التالية لآخر كل ستة أشهر الى قلم كتاب المحكمة الجزئية التابع لها مركز الشركة ميزانيتها مدة الستة أشهر الماضية مع كشف باسماء الشركاء الذين دخلوا فى الشركة والذين خرجوا منها أو بقوا فيها فى المدة المذكورة وبيان أسمائهم والقابهم ومحال اقامتهم وحصة كل منهم . وان تبعث بصورة من هذه الاوراق الى وزارة الزراعة لنشرها مجاناً فى الجرائد الرسمية

يجب ان يكون كل من الميزانية والكشف المذكورين موقعا عليه من رئيس لجنة الادارة وأمين صندوق الشركة وان يحفظ بقلم الكتاب . ولكل شخص الحق فى الاطلاع عليها وكل مغايرة بينها وبين المثبوت فى الدفاتر تستوجب مسؤولية الموقعين عليهما

بالتضامن مدينا عما قد ينشأ عن ذلك من الضرر . وفضلا عن هذا يجوز أن يحاكم عليهما بغرامة لا تتجاوز الف قرش بناء على طلب النيابة العمومية أو أحد الشركاء أو أحد المدائنين

وكذلك يجوز أن يحكم بهذه الغرامة على رئيس لجنة الادارة اذا تأخر عن ايداع الميزانية والكشف فى المواعيد المذكورة آنفا

المادة الخامسة عشرة يجب على وزارعة الزراعة أن تمد شركات التعاون الزراعية بالارشادات التى تلزم لها ويتألف فى كل مديرية او محافظة مجلس من مندوبى شركات التعاون الزراعية المؤلفة فيها ويرأس هذا المجلس مندوب من موظفى وزارة الزراعة يعينه وزيرها ويجتمع بدعوة منه فى كل سنة مرة على الاقل فى مركز المديرية أو المحافظة

وكل شركة يكون رئيسها هو الممثل لها فى هـذا المجلس فاذا حدث له ما يمنعه قام مقامه وكيل الشركة أو أى مندوب آخر من لجنة ادارتها

يختص هـذا المجلس فضلا عما ذكر فى المادة التاسعة بابداء الرأى فى المسائل ذات الفائدة المتعلقة بحركة التعاون فى المديرية أو المحافظة

المادة السادسة عشرة — يسقط العضو من العضوية فى الاحوال الآتية :

(١) الافلاس (٢) الحجر (٣) الحكم عليه بسبب فعل مخل بالشرف

ويجوز فصل العضو من الشركة بقرار من الجمعية العمومية :

(١) اذا لم يدفع قيمة ما عليه للشركة (٢) اذا حصل منه ما يشوش على الشركة فى أعمالها

لا يكون للعضو الساقط أو المفصول حق فى شئ من المال الاحتياطى

المادة السابعة عشرة — اذا اتخذت احدى الشركات نظامها وسيلة للاشتغال بالمضاربات أو لغرض آخر خارج عما هو منصوص عليه فى المادة الاولى فللقاضى الجزئى أن يحكم بحلها بعد سماع أقوال النيابة بناء على طلبها أو طلب أحد الشركاء

وينظر فى هذه القضايا بطريق الاستعجال ويجوز استئناف الاحكام الصادرة فيها فى ظرف عشرة أيام من تاريخ اعلانها

والحكم الصادر بحل احدى الشركات وتصفيتها ينشر بمعرفة النيابة العمومية فى الجرائد الرسمية بمجرد صيرورته نهائيا . ومن ابتداء تاريخ هذا النشر لا يكون للشركة وجود الا فيما يتعلق باعمال

التصفية وكل عمل من الاعمال الجديدة تباشره الشركة بعد ذلك يكون باطلا بطلانا مطلقا وذلك مع عدم الاخلال بما للاشخاص الذين لحقهم ضرر من الحق فى مطالبة من قام بهذه الاعمال دون سواه بالتعويضات امام المحاكم

ولا يجوز لاى عضو فى شركة حكم بحلها أن يكون عضوا فى شركة أخرى من شركات التعاون الزراعية الا بعد اخلاء مسؤوليته من تعهدات الشركة المنحلة

المادة الثامنة عشرة — اذا اشتغلت احدى الشركات بالامور السياسية التى من شأنها الاخلال بالامن العام جاز لوزير الداخلية أن يأمر بحلها بقرار يصدر من مجلس الوزراء وله عمل تحقيق تكميلى ولا يجوز الرجوع امام أى سلطة قضائية بالنسبة لهذا القرار

المادة التاسعة عشرة — فيما عدا ذلك من أحوال انحلال شركة من شركات التعاون الزراعية ينشر فى الجرائد الرسمية أيضا العقد أو القرار الذي يتضمن انحلال الشركة أو يكون مثبتا له. وهذا النشر يكون بمعرفة لجنة ادارة الشركة وتحت مسؤوليتها وتكون أحكام الفقرات الثلاث الاخيرة من المادة السابعة عشرة سارية انما يعتبر عدم وجود الشركة من تاريخ نشر العقد أو القرار المذكورين

المادة العشرون — على وزراء الداخلية والمالية والحقانية والزراعة تنفيذ هذا القانون كل منهم فيما يخصه

يظهر لنا مما تقدم ان ليس لمصر حتى الساعة تشريع خاص بشركات التعاون رغم انتشارها فى بلادنا كما سنبينه فيما بعد. ولكن أملنا عظيم فى أن تهتم المراجع العليا بسن قوانين خاصة بالتعاون مناسبة لنهضتنا الحاضرة بعد فك الاغلال والقيود التى وجدت فى مشروع سنة ١٩١٤ وترك الحرية التامة لشركات التعاون فى تكوينها واعمالها التى لا يمكن أن تعود على البلاد بغير سعادتها ورفاهيتها

— ٤ —

ان عدم قبول المشروع الذى قدمته لجنة الجمعية الزراعية الى الحكومة سنة ١٩٠٩ لم يثبط عزم المرحوم عمر بك لطفى على الاستمرار فى طريقه الاصلاحى . فأخذ فى تنفيذ مشروعه مستندا فى عمله على أحكام القوانين العامة الحالية وبدأ بتأسيس :

(١) شركات التعاون المالى .

(٢) النقابات الزراعية

(٣) شركات التعاون المنزلى

وسنذكر فيما يلي كلمة مختصرة على كل منها :

شركات التعاون المالى

اتبع المرحوم عمر بك لطفى عند انشائه هذه الشركات برامج مصارف التعاون الايطالية . وغايته منها اقراض الاعضاء المال اللازم لهم فى عملهم . وتكونت هذة الشركات بمقتضى عقد ابتدائى فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٩ وصدر بها الامر العالى فى تاريخ ٢٧ يناير سنة ١٩١٠

ولقد لاقت بنوك التعاون فى السنين الاولى صعوبات كثيرة فى سبيل تأسيسها بطريقة قانونية لان واضع القانون لم يك يتوقع انشاء شركات التعاون (١) فلم يخصص لها نصوصا . وليس من السهل تطبيق قواعد القانون العام على هذه الشركات . ومع ذلك تأسست أول شركة تعاون مصرية بفضل حسن تصرف قلم قضايا الحكومة لتذليله تلك العقبات :

---

(١) كتب المرحوم عمر بك لطفى مقالا فى هذا الصدد فى مجلة مصر العصرية بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩١٠ عدد نمرة ٣

من مبادئ التعاون أن يكون رأس مال شركاتها قابلا للزيادة والنقصان بزيادة ونقص الاعضاء ولكن بما ان القانون يحتم تحديد قيمة رأس المال الذى تنشأ به الشركة فقد حددناه بمبلغ ٣٤١٢جنيه مصرى دفع بأكمله مع امكان زيادة أو نقص هذه القيمة سنوياً بمقتضى قرار من الجمعية العمومية للشركة(١)

ولذلك ارتفع رأس مال الشركة الى ٢٠٠٠٠ جنيه مصرى لسنة ١٩١٠ . وبهذه الطريقة وفقنا بين جعل رأس المال قابلا للزيادة والنقصان طبقالمبادئ التعاون

وهناك عقبات لم نتوصل لتذليلها منها :

١ — نصت المادة (٤٣) من القانون التجارى على انه لا يجوز أن تقل قيمة السهم فى أى شركة عن أربعة جنيهات مصرية اذا كان رأس مالها لا يزيد على ثمانية آلاف جنيه مصرى واما اذا زاد على ذلك فلا تقل قيمة السهم عن عشرين جنيها مصرياً

ولكن هذا القيد مخالف لروح التعاون الذى يأمر بجعل قيمة الحصص صغيرة ليتمكن الفقير قبل الغنى من الانتفاع بمزاياالتعاون.

---

(١) المادة الثانية من قانون الشركة

وهذه العقدة هي السبب الوحيد الذى حال دون تأسيس شركات التعاون المنزلى على شكل شركات مساهمة حتى الآن . ومع ذلك فقد خفت وطأة هذه العقبة الكؤود بفضل ما جاءت به المادة الخامسة عشرة من قانون الشركة الذي يخول « لمجلس الادارة أن يقبل بصفة أمانة ثمن سهم أو جملة أسهم تدفع على أقساط متوالية فى مواعيد معينة من كل شخص يقبل أن يدفع رسم الدخول ويكون حائزا لجميع الصفات اللازمة لقبوله مساهما فى الشركة »

حقيقة ان هذا الحل مفيد للشركة التى تم تأسيسها ولكنه لا ينفع الشركات التى تريد التكوين برأس مال ضئيل وزيادة على ذلك فان هذا الشرط يحول شركات التعاون عن مجراها الطبعى ويجعلها تساعد الغنى بدل مساعدتها للفقير المحتاج لتتميم أعماله . ويحتكرها الغنى ويبتعد عنها من هم أولى بالمساعدة ولا تلبث هذه الشركات طويلا حتى تنقلب الى شركات تجارية محضة. وهذا عكس المطلوب

(٢) يسمح التشريع المصرى لان يكون للعضو أصواتاً عند الاقتراع فى الجمعية العمومية للشركات المساهمة بقدر ماله من الاسهم ولكن هذا لا يتفق مع مبادئ التعاون التى لا تجيز لان يكون لعضو أكثر من صوت واحد مهما كان عدد مايمتلكه من الاسهم

لكيلا يستأثر أهل الثروة بالاصوات فيضر ذلك بالغاية التى تأسست لها شركات التعاون

ولكن المادة الرابعة والخمسون من قانون شركة التعاون المالى قد وضعت حدا لهذا التسامح كالآتى : « كل من بيده من سهم الى خمسة أسهم له صوت واحد . وكل من بيده مقدار يزيد عن ذلك فله من الاصوات صوت واحد عن كل خمسة أسهم يمتلكها لغاية مائة سهم . وأما الاسهم الزائدة عن هذا العدد الاخير فتعطى حقا الى صوت واحد عن كل عشرين منها وذلك لغاية مائتى سهم . وما زاد عن مائتى سهم فليس لصاحبها حق فى أصوات عنها »

ونصت المادة السابعة من هذا القانون ما يأتى : « لايجوز لاى مساهم أن يمتلك أكثر من مائتى سهم »

فعملا بمبادئ التعاون ورغم الصعوبات السابقة الذكر تأسست الشركة بهذه الشروط :

(١) الاسهم اسمية غير قابلة التنازل عنها الا بقرار من مجلس الادارة

(٢) لا تقرض الشركة غير الاعضاء الا اذا كان ما لديها من المال يزيد عن طلبات الاعضاء

(٣) لا تقبل عضوية المفلس والمحجور عليه والمحكوم عليه بأحكام جنائية ولا الذين قاموا بأعمال يعتبرها مجلس الادارة مشينة

(٤) يقوم بادارة الشركة مجلس ادارة تنتخبه الجمعية العمومية وبجانبه لجنتان . الاولى — لجنة الخصم التى تقوم بتحديد مقادير السلف التى تسمح بها الشركة أو ترفضها للاعضاء. والثانية — لجنة التحكيم وهى عبارة عن هيئة استئنافية للنظر فى الشكاوى التى يقدمها العملاء ضد قرارات مجلسى الادارة ولجنة الخصم

النقابات الزراعية

ظهر للمرحوم عمر بك لطفى عند ما شرع فى عمله ان حالة البلاد لا تساعد على كثرة أنواع جمعيات التعاون فحض على التعاون الزراعى فى قالب نقابات زراعية التى يكون غرضها :

(١) أن تسهل لاعضائها الحصول على البذرة والسماد والآلات والمواشى وجميع المواد اللازمة للزراعة سواء اكان بالتوسط فى مشتراها للاعضاء أو ان تشتريها النقابة لحسابها وتبيعها لاعضائها

(٢) الحصول على آلات زراعية للرى وغيره لاجل تأجيرها لاعضاء الشركة

(٣) تسهيل محصولات الاعضاء

(٤) تشييد أو بناء مخازن أو شون أو معامل كيماوية أو معامل حليج أو غير ذلك مما هو لازم للزراعة

(٥) تشجيع تقدم وترقى الفلاحة بواسطة القاء محاضرات أو دروس زراعية أو اعمال تجاريب زراعية واعطاء الاستعلامات اللازمة عن عن المحصولات وغيرها مما يهم الشؤون الزراعية

(٦) تسليف الاعضاء ما يلزمهم من النقود بشرط أن تستعمل فى الشؤون الزراعية وتقبل حفظ نقودهم بصفة وديعة بخزينتها

فينتج من البرنامج السابق أن النقابات الزراعية المصرية تقوم باعمال النقابات الزراعية وصناديق التسليف وشركات التعاون فى بيع المحصولات

وقد صادف المرحوم عمر بك لطفى عقبات كثيرة للتوفيق بين القانون العام ومبادىء التعاون التي منها :

(١) أن تكون النقابة جمعية مؤلفة من مزارعين يعرفون بعضهم بعضا بصرف النظر عن كونهم كبارا أو متوسطين أو صغارا

(٢) عدم تحديد عدد الاعضاء

(٣) أن تتوفر فى الاعضاء شروط خاصة فلا يقبل العضو الا بعد

التحقق من أخلاقه وبعد تصديق مجلس الادارة ولا تأثير للمال فى العضوية

(٤) الدفاع عن المصلحة المشتركة

(٥) بما ان النقابات قائمة على الاشخاص فيجب أن تكون الحصص التى يكتتب فيها الاعضاء اسمية لا يجوز التنازل عنها الا بتصديق مجلس الادارة . ولا يصح أن يزيد عدد ما يمتلكه العضو من الحصص عن مقدار معلوم وليس للعضو فى الجمعية العمومية أكثر من صوت واحد مهما تعددت حصصه

(٦) يجب أن يكون رأس مال النقابة قابلا للزيادة والنقصان

(٧) يجب حصر مكاسب النقابة فى أعضائها دون سواهم

ولقد اهتم المرحوم عمر بك لطفى بفحص ما اذا كانت النقابات الزراعية تتفق مع مبادئ الشركات التجارية أومع الشركات المدنية فقر رأيه على أن الشركات المدنية أكثر اتفاقا مع مبادئ التعاون من غيره اذ الشركات التجارية مادية محض — أى جل مرادها الكسب — وفوق ذلك عرضة للافلاس . وأما عيوب الشركات المدنية فقد يمكن تجنبها بواسطة نص العقد الذى تؤسس عليه شركة التعاون . مثال ذلك :

تنص المادة (٤٤٣) من القانون المدنى الاهلى على انه « اذا كان الشريك مأذونا بالمعاملة مع الغير باسم الشركاء أو باسم الشركة كان كل واحد من الشركاء ملزما لهذا الغير بحصة مساوية لحصة الآخر لا على وجه التضامن لبعضهم الا اذا وجد شرط بخلاف ذلك » . ولما كان تقييد أعضاء شركات التعاون بنوع واحد من المسؤولية « المسؤولية المطلقة » يحرم عليهم حرية اختيار المسؤولية التى يتحملون عبئها فقد اختارت النقابات في عهد المرحوم عمر بك لطفى (المسؤولية المطلقة بالتضامن) أى أن الاعضاء مسؤولون بالتضامن مسؤولية مطلقة عن جميع تعهدات النقابة ومعاملاتها مع الغير مع العلم بأن هذه المسؤولية لا تتجاوز نصيب كل واحد منهم في حصص النقابة هذا فيما يختص بالشركاء بين بعضهم بعض . وتزول هذه المسؤولية نحو الغير بعد خمس سنوات من يوم انفصال العضو من النقابة لكيلا تكون المسؤولية التضامنية خطراً للاعضاء مدة خمسة عشر عاما

وكذلك تنص المادة (٤٤٥) من القانون المدنى الاهلى فى بندها الرابع بخصوص حل الشركة ما يأتى « بموت أحد الشركاء أو بالحجر عليه أو بافلاسه اذا لم يشترط فى عقد الشركة شىء في شأن ذلك مع عدم الاخلال بالاصول المخصوصة المتعلقة

بالشركات التجارية التى لا تنفسخ بموت أحد الشركاء الغير المتضامن أو افلاسه أو الحجر عليه » وبما أن اتباع هذا الشرط مضر بمصلحة النقابات فقد اختار المرحوم عمر بك لطفي فى قوانين النقابات الزراعية عدم جواز انحلال النقابة لأى سبب من الاسباب قبل الزمن المحدد لها فى قانونها

وكذلك تنص المادة (٤٤٦) من القانون المدنى الاهلى على أنه «يجوز للمحاكم أن تفسخ الشركة بطلب أحد الشركاء لعدم وفاء شريك آخر بما تعهد به أو لوقوع منازعة قوية بين الشركاء بمنع جريان أشغال الشركة أو لاي سبب قوى غير ذلك »

وبما أن هذا الحق يهدد دائما النقابات فقد نص في قوانين النقابات على ان أعضاءها يتنازلون صراحة عن هذا الحق

وقد اتبع المرحوم هذه التعديلات حتى تمكن من الخلاص مما ينافى مبادىء التعاون

ولقد أصبح عدد النقابات الزراعية فى القطر المصرى عظيماً أهمها:

نقابة شبرا النملة — نقابة نشيل — نقابة ناهيا — نقابة سنتماي — نقابة عزبة الشاذلى — نقابة كوم النور — نقابة نامول نقابة أوليلة — نقابة كفر المقدام — نقابة دياي — نقابة ميت القرشى — نقابة كفر الحمام — نقابة خربتا — نقابة ميت حواى — نقابة شبراتنا — نقابة بشتيل — نقابة صهرجت

نقابة دماص — نقـابة بنى سويف — نقابة النـويرة — نقابة دقادوس — نقابة الشرقية — نقابة ميت العامل

وأقدم هذه النقابات نقابة شبرا النملة التى أسست بفضل سليمان أفندى زكى العبد عمدة هذه البلدة في ٢٥ ابريل برأس مال قدره ٣٠٩ جنيه وستمائة مليما عن ١٥٤٧ حصة باعتبار ثمن كل منها مائتى مليم

شركات التعاون المنزلى

الغرض من هذه الشركات التعـاون على قضـاء لوازم الاعضـاء المنزلية . فتشتريها بالجملة لتوزعها عليهم حسب ما يحتاج اليه كل منهم وتضمن لهم بهذه الطريقة جودة النوع ورخص ثمنه .

وتكونت هذه الشركات على قاعـدة الشركات المدنيـة مع عدم تضامن الاعضاء في المسؤولية . وأهم هذه الشركات ما يأتى :

شركة الاسـكندرية . المنصورة . بنى سويف . منوف . التعاون لموظفى الحـكومة بالقاهرة . لعمال الصناعات اليدوية . لمستخدمى البنوك . الاعيان بالعباسية . بحلوان . بفاقوس . بطنطا . بالعياط . بالمنيا . بميت غمر . بكوم امبو . بأبى كبير . بالسويس

النقابة العامة للتعاون الزراعى والمنزلى

لما توفى المرحوم عمر بك لطفى فى ٤ نوفمبر سنة ١٩١١ قام

بعده شقيقه الاستاذ احمد بك لطفى وأسس فى سنة ١٩١٢ النقابة العامة للتعاون الزراعى والمنزلى بالقطر المصرى . وهى شركة تعاون مدنية . أجلها خمسون عاما ابتداء من سنة ١٩١٢ . ويجوز اطالة مدتها بقرار من الجمعية العمومية للشركة . ومركزها القاهرة

وأما الغرض من هذه النقابة العامة فهو (المادة الثانية من قانونها):

أولا — مشترى ما يلزم الشركاء سواء ا كانوا أفرادا أو نقابات زراعية أو شركات تعاون منزلى من بذرة واسمدة وآلات زراعية وحاجات منزلية

ثانيا — بيع محصولات الشركاء المذكورين

ثالثا — تأجير آلات زراعية للاعضاء

رابعا — تسليف الاعضاء ما يلزمهم من النقود لمزروعاتهم أو للقيام بأغراض النقابات وشركات التعاون المدونة فى قوانين تأسيسها

خامسا — اعطاء ما يلزم من المعلومات عن أسعار المحصولات والمأكولات وغيرها مما يتعلق بالزراعة أو الحاجات المنزلية

سادسا — اتخاذ الوسائل المؤدية لنشر التعاون وتشجيع تأسيس النقابات الزراعية وشركات التعاون المنزلى

سابعا — انشاء معامل للتحليل ومعامل للحليج وغيرها عند الاقتضاء

هذا مختصر ما وصلت اليه نهضة التعاون (الاهلى) أى التى

قامت بها الافراد حتى الآن فى مصر ولكن هذه النهضة ستزداد انتشارا وتقدما كلما تنورت الافكار بضوء العلم . واهتدت النفوس الى فعل الخير . وعمد الجميع الى حب السعادة لغيره كما يحبها لنفسه

— ٥ —

اهتمت الحكومة المصرية بأمر التعاون اهتماما تشكر عليه اذ انشأت منذ عهد ليس ببعيد ادارة خاصة بالتعاون وسمتها « ادارة التعاون » وهى تابعة لمصلحة التموين . واختصت هذه الادارة — على ما علمنا — بمراقبة اعمال شركات التعاون فى الاستهلاك التى أسست لبيع لوازم المعيشة الغذائية للموظفين المشتركين فيها

واذ لم يتيسر لنا الاطلاع على أعمال هذه الادارة والشركات التعاونية الاستهلاكية التابعة لها لا يسع المقام الا التنويه عن هذا التعاون « الحكومى » اذا صح تسميته كذلك ليفرق بينه وبين التعاون « الاهلى » الذي قام بتأسيسه الاهالى ولا يزالون مجدين فى اتقانه

ولما قرب أجل انحلال مصلحة التموين لانتهائها مما أسند اليها من الاعمال وخشى على زوال ادارة التعاون باندثار هذه المصلحة

فكر أولو الامر وخصوصا صاحب المعالى وزير المالية فى المحافظة على هذه الادارة والعناية بها ورفع شأنها وجعلها ذات أهمية فعلية كبيرة ونظام ثابت دعائمه المعرفة والعلم الصحيح . فدعا سعادة عبد الحميد باشا مصطفى وكيل وزارة المالية جميع رؤساء شركات التعاون بالقطر لاجتماع عقد بوزارة المالية فى يوليو من هذه السنة . وقد استقر الرأى فى هذا الاجتماع على ما يأتى :

(١) استمرار ادارة التعاون فى أعمالها رغم انفضاض مصلحة التموين

(٢) انشاء لجنة استشارية للتعاون أعضاؤها رؤساء شركات التعاون « الاهلى » بالقاهرة لتعمل بجانب هذه الادارة فيما يهم هذه الشركات التعاونية

(٣) يجوز لاعضاء شركات التعاون التى بالاقاليم الانضمام الى هذه اللجنة

ولقد وزعت وزارة المالية منشورا على شركات التعاون هذا نصه : (١)

حضرة رئيس شركة

نظرت الحكومة المصرية بعين الاهتمام الى المجهودات التى

---

(١) نقلا عن جريدة اللواء المصري يوم الاحد ٢٠ اغسطس سنة ١٩٢٢

تبذلها جمعيات التعاون المختلفة بالقطر المصرى. وقدرت الخدمات الثمينة التى أدتها شركات كثيرة منها للبلاد فى سنوات الغلاء الماضية. ولذلك رأت أن تستمر على الاتصال بهذه الهيئات للنظر فيما يمكن عمله لتشجيعها ومعاونتها على اداء مهمتها النافعة

وقد عهدت وزارة المالية الى مصلحة عموم الاحصاء بانشاء قسم خاص فيها يتولى العمل لصالح الشركات والجمعيات التعاونية ويؤدى الاعمال التى كان يقوم بها قسم التعاون التابع لمصلحة التموين كما رأت تشكيل لجنة من حضرات: الاستاذ حامد بك فهمى المحامى وكيل شركة التعاون المنزلى بالزقازيق والاستاذ محمد افندى زكى على المحامى رئيس شركة تعاون عمال الصنائع اليدوية بمصر واميل بك كساب رئيس شركة تعاون موظفى تنظيم مصر ومحمد بك شريف رئيس شركة التعاون بحلوان لتجتمع بصفة دائمة فى صباح يومى الجمعة الاول والثالث من كل شهر برئاسة مراقب عموم الاحصاء بفندق سافواى وتتولى درس كل ما يعرض عليها من المسائل والاقتراحات المتعلقة بشركات التعاون. وتجيب على الاستعلامات التى تطلب منها. وتكون واسطة اتصال بين الشركات التعاونية ثم ترفع الى الحكومة ما ترى وجوب رفعه اليها لفائدة الشركات

ولسائر حضرات رؤساء شركات التعاون المنزلى وجمعيات التموين الخيرى أن يحضروا جلسات هذه اللجنة اذا شاؤا

وستعقد اللجنة جلستها الاولى فى الساعة العاشرة صباحا من يوم الجمعة الموافق ١٨ أغسطس القادم بمصلحة عموم الاحصاء بفندق سافواى

ونعتقد أن هذا النظام من شأنه أن يؤدى الى ترقية الشركات ونجاحها وذلك غرض من الاغراض التي نسعى اليها . ولنا الامل فى تحقيقه بمعونتكم واخلاصكم

فأرجو منكم تبليغ هذا المنشور الى ادارة شركتكم مع وافر تحياتى

وزير المالية
اسماعيل صدقى

ولم تجتمع اللجنة يوم ١٨ أغسطس بسبب غياب بعض أعضائها ومنكرتيرها بالاسكندرية وينتظر أن تعقد جلستها أول يوم جمعة فى شهر سبتمبر القادم

بقى علينا أن نقول كلمة وجيزة و بعض ملاحظات تهم جميع شركات التعاون بوجه عام (أهلية كانت أو حكومية)

أن ما يخشاه التعاون المصرى (١) الآن ثلاث عاهات : سوء الادارة . وتشتيت قوى التعاون بتأسيس شركات عديدة تعاونية ضعيفة المجهود فى جهة واحدة . والجهل .

سوء الادارة (٢)

كثيرا ما تنشأ سوء الادارة فى شركات التعــاون عن عدم اختصاص المدير بالاعمال التى يناط بها أو لاشتغاله باعمال أخرى تستغرق منه جل وقته أو كله وقواه العقليــة . فلا تستفيد منه هذه الشركات الا فائدة سطحية ضعيفة (٣) ومن المديرين من ليس لهم دراية بالامور التجارية ولا يعرفون دقائقها وخباياها . فيجهلون فن الشراء فى الاوقات المناســبة ومن جهات مخصوصة مشهورة بحسن

---

(١) على الاخص التعاون فى الاستهلاك

(٢) كتب المسيو (م . سرنسون) مقالا وافيا فى مجـلة العالمين Deux Mondes فى ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٨ بخصوص عيوب شركات التعاون الاستهلاكية الباريسية التى تفشى فيها مساوىء سوء الادارة .

(٣) يناط غالبا بالادارة شخص فى غنى عن الاجر

بضائعها ومتانتها . ومنهم العاجزون عن تقدير أثمان البيع بعد اضافة النفقات والارباح المقبولة اللازم كسبها ليوزع بعضها على المشتركين ويبقى البعض للاحتياطى . فتلافيا لهذا النقص تلجأ بعض شركات التعاون الى تعين مدير مسؤول — على شرط المامه بما يسند اليه من الاعمال — وتعطيه أجرا معلوما نظير حسن ادارته وتجازيه على سوءها.

وقد لا يكون المدير هو السبب المباشر لسوء الادارة بل قد يعرقل مساعيه الطيبة نفر من القائمين بالمراقبة من أعضاء لجنة الادارة مدفوعين الى ذلك بعوامل الحمية كما يدعون . فيتدخلون فى كل كبيرة وصغيرة الى أن ينقلب أقدامهم وحماستهم الى ما لا يحمد عقباه (فشل التعاون وانحلاله) . وقد تثبت قدم المدير فى أعماله رغم الصعوبات التى تلاقيه فيجتازها بمهارته وخبرته ومع ذلك فان هذا لا يمنع أهل الغواية والاغراض السافلة الطعن فى ذمته ليثلموا شرفه ويصموه بوصمة عار ليتخلى لهم عن منصبه ليحتلوه من بعده .

حتى فى أعمال التعاون . أعمال الخير . أعمال الاخاء . أعمال المحبة تلعب فئة الوصوليون (١) (Arrivistes) بأذنابها فتلدغ

---

(١) هذه فئة من الناس تعمل كل الوسائل حتى السافلة منها للوصول الى مرغوبهم

وتسم وتميت أقدر الناس على العمل وأولاهم بالمعروف.

قال الاقتصادى الكبير شارل جيد « رأينا بأنفسنا ان مدير شركة تعاونية ينسحب من وظيفته بعد أن قضى فيها خمسا وعشرين سنة مضاها فى اصلاح هذه الشركة حتى بلغت فى عهده شأوا كبيرا من النجاح الخارق للعادة بسبب وشاية مفتر لم يصدقها أحد ولكنها كانت الضربة القاضية على بقائه فى ادارته فاخلى مكانه ليشغله من كانوا ينتظرون بفروغ صبر زوال دولته » (١)

فنحن والحالة هذه بين نارين نار سوء الادارة المحتم اذا اسندت الادارة الى غير الاختصاصيين ونار الوشايات اذا بقى المدير الحازم فى ادارته مدة طويلة . وللتخلص من هذين الشرين يجب : تقسيم الاعمال تقسيما دقيقا فتفصل الهيئة المكلفة بالمراقبة عن الهيئة المنوطة بالتنفيذ . وتحدد وظيفة كل من الطرفين تحديدا واضحا وذلك بعد اختيار من درسوا ومارسوا هذه الاعمال . وفى جميع هذه الامور لابد من حسن النية وسلامة الطوية وطهارة النفس والذمة .

---

(١) شارل جيد فى كتابه — شركات التعاون فى الاستهلاك — ص ١٧٤ من الطبعة الثانية سنة ١٩١٠

تشتيت قوى التعاون

ان الاكثار من شركات التعاون الاستهلاكية فى جهة واحدة (١) ولخدمة فئة واحدة تضر ضررا كبيرا بالتعاون :

(١) لان هذه الشركات نفسها تناضل بعضها بعضا بالمنافسة السيئة فينتج عن ذلك سوء سمعتها . فتضعف ثقة المشتركين فى معاملتها فيقل عددهم شيئا فشيئا حتى تنفك عرا رابطة تعاونهم . فتنحل الشركة

(٢) تعدد الشركات فى جهة واحدة يستلزم تعدد المخازن والمديرين والعمال وكل هذا يستدعى نفقات جسيمة تقوم بعبئها كل من هذه الشركات على حدتها . واننا نخشى أن يكون هذا عيباً موجودا الآن فى شركات التعاون الحكومى لان لوزارة المالية شركة قائمة بالبيع للمشتركين فيها من موظفى المالية وكذلك شركة تعاون موظفى تنظيم مصر وشركة تعاون وزارة المعارف فلو سارت جميع الوزارات على هذا النمط وتأسس لكل منها شركة خاصة بموظفيها كانت العاقبة وخيمة والفائدة معدومة من هذه الشركات.

---

(١) قال جيد فى كتابه السابق الذكر فى التعاون « اذا وجد فى بلد واحد أو فى قرية واحدة عددا كبيرا من هذه الشركات التعاونية فهذا دليل على عاهة لاقوة » ص ١٧٧

وهذا العيب موجود فى شركات التعاون الاستهلاكية الفرنسية فى افينيون (Avignon) لأن لكل قسم من موظفى السكة الحديدية فى هذا البلد شركة خاصة لهم (١)

وهذه الخطة — خطة تجمع هذه الشركات فى شركة واحدة كبيرة — متبعة بنجاح فى انجلترا . فبينما عدد الشركات يتناقص فان عدد الاعضاء يتزايد (٢)

ومن فوائد مزج هذه الشركات التعاونية الاستهلاكية الموجودة فى جهة واحدة ما يأتى :

(١) قلة عدد المخازن تستدعى قلة العمال وقلة العمال ان لم تستدع قلة النفقات فهى تمكن الادارة من اختيار عمال اكفاء ولو بأجر أكثر من سلفهم لان العبرة بكفاءة العمال لا بكثرتهم

(٢) تحسين الادارة لانها تنحصر فى قبضة مدير كفء خاص لهذا العمل

(٣) يتوفر عند هذه الشركات مال كثير يسمح لها بتحسين حال الشركة وتسهيل طرق نقل المشتروات لاصحابها مهما بعدت المسافات

الجهل

الجهل سبب كل آفات الاجتماع . وسر انحطاط الامم . فكيف

---

(١) شارل جيد — شركات التعاون فى الاستهلاك — ص ١٧٨

(٢) « « « « ص ٤١

به اذا كان منتشرا بين أعضاء شركات التعاون . اننا لا نريد أن يكون أعضاء هذه الشركات فلاسفة عصرهم . ولا أن يكونوا أشبه بالحيوانات . عقولهم كعقول الديكة . وأجسامهم كأجسام الفيلة . بل أن تستنير أذهانهم بالمعرفة . وتتهذب مداركهم بالعلم لتنقشع عنهم غياهب الكآبة وعلامات الجمود فيدرك كل منهم حقيقة الواجب. ويؤنبه ضميره اذا حاد عن جادة الصواب . ويردعه دينه عن السير فى الطريق المعوج .

التعليم الاولي (١) الاجبارى المجانى نافع لكل أمة انتشر فيها. وهو مفيد ضمنا للتعاون . ولقد قرأنا فى جرائد اليوم (٢) ما يقوى عزيمتنا وعزائم غيرنا ويشجعنا على السير فى خدمة الانسانية المتألمة وهو أن لجنة الدستور قد اهتمت بهذه المسألة الحيوية فوضعت مادة خاصة بالتعليم الاجبارى المجانى وهى المادة السابعة عشرة التى عدلت نصها كالآتى :

« التعليم الاولى الزامي للمصريين من بنين وبنات وهو مجانى فى المعاهد الاميرية ويصير وضع قانون لتنظيم جميع أجور التعليم العام فى كل درجاته »

وفقنا الله الى ما فيه الخير للجميع وهدانا الى السراط المستقيم

---

(١) لا نقصد بالتعليم الاولي ما يتلقاه التلاميذ فى الكتاتيب فقط بل وما يدرس فى المدارس الابتدائية

(٢) جريدة اللواء المصرى يوم الثلاثاء ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢٢

فهرست الكتاب

صحيفة

صحيفة

صحيفة

الفصل الخامس

المنافسة والتعاون

الفصل السادس

الاساس النفسي للتعاون

صحيفة

تصحيح الخطأ

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
نما	بما	١٧	١
الفوضيون	الفوضويون	١٧	١٤
ل	بل	٢٠	١
مما	ممن	٢٠	١٦
وارد	واراد	٢١	١١
نشئتها	نشأتها	٢٧	٣
Raiff-ejisen	Raiffe-isen	٢٨	١٠
منها	ومنها	٢٩	٤
في	ان	٣٠	٢
سبب	سببت	٣٠	١٣
لا	الا	٣٠	١٤
حضور	حضوري	٣٢	١
الرفع	لرفع	٣٢	١٠
كا	ما	٤١	١
متاب	كتاب	٤١	٢
الصور	الصدد	٤١	١٠
اضهادها	اضطهادها	٦٢	٢
بما	فيما	٦٢	٧
نفر	انفرد	٧٠	١
الاباح	الارباح	٨٢	٦
الذي	التي	١٠٥	١٨
الطبيمة	الطبيعية	١٥١	١١
سطيحة	سطحية	١٥٢	١٤
طبقة	طبعة	١٦٠	١٠
الجوهرة	الجوهر	١٧٧	١
واب	وب	١٨٤	٦
محاها	مهاها	١٨٩	١٣
تستسلم	تستلم	١٩٠	٨
مان	مال	٢٠٨	١٥


Bibliotheca Alexandrina
04408593